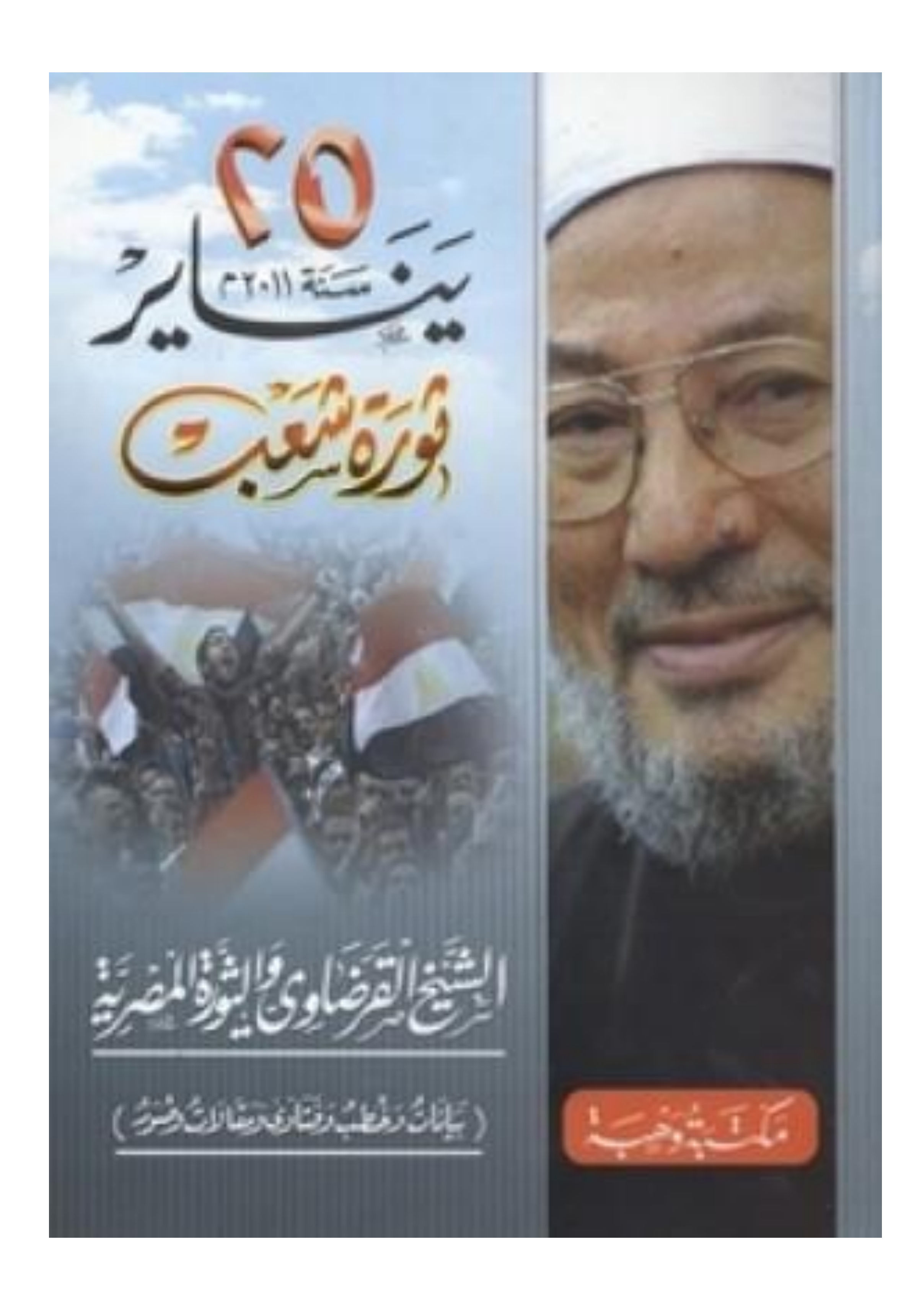

٢٥
يناير سنة ٢٠١١م
ثورة شعب
الشيخ القرضاوي والثورة المصرية
(بيانات وخطب وفتاوى ومقالات وصور)
مكتبة وهبة

25
يناير
سنة 2011م
ثورة شعب

الشيخ القرضاوي والثورة المصرية
(بيانات وخطب وتصريحات ومقالات)

مقدمة

بقلم أ. د. يوسف القرضاوي

ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئتَ من شيء بعد، وصلاة وسلاما على رحمتك المهداة، ونعمتك المسداة، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومَن اتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(وبعد)

فقد اقترح عليَّ عدد من الإخوة والأصدقاء في قطر وفي مصر وفي غيرهما، ومنهم أ. د. محمد خليفة حسن مدير مركز القرضاوي للوسطية الإسلامية والتجديد، وأعضاء المركز، ورابطة تلاميذ القرضاوي، وغيرهم: أن تُجمع أفكاري ومواقفي وبياناتي وخطبي وفتاواي، حول ثورة مصر الشبابية التحريرية الكبرى، التي عُرفت بثورة 25 يناير 2011م، والتي اتَّخذت ميدان التحرير بالقاهرة مقرًّا لها، مع مقارِّها في سائر محافظات مصر، والتي انتهت بالنصر في 11 فبراير 2011م.

وقال الإخوة: إن مواقفك في تأييد هذه الثورة ومساندتها، والاحتجاج لها، والدفاع عنها من أول يوم، من الوضوح والقوَّة والتنوُّع والكثرة، بحيث لا تخطئها عين، ولا تنكرها أذن، ولا يجحدها مراقب، ولكن من الخير أن نجمعها ونوثِّقها، ونقرِّبها للناس، حتى لا يأتي بعد ذلك مَن يحاول أن يخطفها أو يجحدها أو يُزوِّرها ويدَّعيها لنفسه، أو لفلان وعلاَّن من الناس، ممَّن ليس له في الثورة نقير ولا قطمير، ولا هو في العير ولا في النفير.

وكنتُ متردِّدا في أول الأمر، ولكن بالمناقشة والتأمُّل، تبيَّن لي صواب هذا الأمر، لعدَّة أسباب:

أولها: أهمية التوثيق، وهو الآن سهل، ومصادره موفورة، من وسائل الإعلام، ومن الشباب الذين شاركوا في صنع الثورة، ومَن ناصرهم.

وهذا التوثيق مهم للمؤرِّخ الذي يكتب بعد ذلك، في تاريخ هذه الثورة والعناصر المؤثِّرة في نجاحها، والعقبات التي وقفت في طريقها، والذين حاربوها بفتاويهم ومقالاتهم ومناوراتهم، والذين دافعوا عنها.

كما أن هذا التوثيق مهم لي أنا شخصيا، فقد أنسى هذه المواقف وتختلط في ذاكرتي، وتضيع معالمها، فمن الخير أن أسجِّلها مجتمعة.

ولقد أتيح لي في زيارتي لمصر لجمعة النصر أن ألتقي ببضعة عشر شابًّا، ممَّنْ شاركوا في صنع الثورة من أول يوم، إلى أن حقَّق الله النصر، وقد زاروني في منزلي، وحدَّثوني بصراحة وصدق، وكيف مرَّت عليهم ساعات كاد يصيبهم الإحباط، وكيف كانت كلماتي وبياناتي وخطبي وأدعيتي ومواقفي تمدُّهم بعزائم ونفحات وبيِّنات، تشدُّ أزرهم، وتسند ظهرهم، وتقوِّي حججهم، وتفتح لهم أبواب الأمل والرجاء.

ومما ذكروه لي ما رأوه بأعينهم في يوم الجمعة، الذي أعلنتُ قبله فتواي بفرضيَّة ذهاب كلِّ مسلم لا عذر له إلى ميدان التحرير؛ لمساندة إخوانه هناك، وتقوية ظهورهم، بعد الفتاوى الشهيرة التي حاولت صرف الناس من حولهم، وصد الشباب عنهم، وكيف شاهدوا أثر ذلك، منذ الليل يأتيهم الناس من كلِّ فج عميق، حتى صلاة الجمعة، وكان هذا فتحا من الله انجلت به غشاوة الإحباط والقنوط.

وفي يوم الجمعة 11 فبراير – وقد أصاب الناس اليأس بعد خطاب مبارك – حين شاهدنا وسمعنا خطبتك في الشاشات الموزَّعة في الميدان، وأنت تقسم إن الثورة منتصرة، **{إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}** [الصافات:172، 173]، دخل علينا يقين أن الثورة غالبة.

قالوا: ولا زلنا نذكر أوَّل خطاب لك لمبارك في أوائل الثورة، وأنت تقول له بكلِّ قوَّة: ارحل يا مبارك على رجليْك، قبل أن يُجبرك الشعب على الرحيل رغم أنفك.

الحقُّ أنّ الله تعالى جنَّدك لتحرس هذه الثورة ببيانِك وعلمك، في مواجهة مَن أرادوا اغتيالها في مهدها، ولولا تجنيد الله لك ما بلغتْ مداها

لقد كان هؤلاء الشباب الأطهار يحدثونني ودموعي تسيل على خدودي؛ فرحا بفضل الله ونعمته عليَّ، **{ومَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَة فمِنَ الله}** [النحل:53]، **{قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}** [يونس:58]، **{وأمّا بنعْمَةِ رَبِّكَ فحَدِّثْ}** [الضحى:11].

ثانيها: أن تأخذ الأجيال العبرة من هذه الثورة المعلِّمة، وما تركته من رصيد تربوي للأجيال المصرية، وغير المصرية أيضا، حيث كانت الثمانية عشر يوما في ميدان التحرير، مدرسة في تعليم الإيثار والبذل والتضحية، بعد أن كان هؤلاء المعتصمون مثلا يُحتذى في الصبر والاحتمال وحسن السلوك، لم يعتدِ واحد على الآخر، لم يُعاكس شاب فتاة، ولم يختصم زميل مع زميله، بل يجوع الواحد ليشبع أخوه، ويعرى ليتغطَّى أخوه، ويعرِّض صدره للرصاص ليحمي أخاه، وخصوصا في أوقات الشدائد، مثل يوم وقعة البغال والجمال والخيول، ويوم إحاطة القناصَّة بالميدان، يقتلون الناس بغير حساب.

ثالثها: انتهاز هذه الفرصة لتقديم (فقه الثورة) أو (فقه الثورات) للأمة، من خلال هذه التجربة العملية، التي دخل فيها بعض مشايخ الدين، دخولا كاد يضلِّل شباب الثورة عن طريقهم الصحيح، حين زعموا أنهم **{ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}** [الكهف:104]، وأنهم أيقظوا الفتنة النائمة، ولعن الله مَن أيقظها، وأنهم وقفوا ضدَّ الشرعية، وأنهم يدعون إلى الفوضى وعدم الاستقرار، وأنهم ... وأنهم ... لولا أن الله ألهمنا أن نردَّ هذه المتشابهات بالمحكمات البيِّنات. والحقُّ أبلج والباطل لجلج، **{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}** [الرعد:17].

لقد أدرك الدارسون والمراقبون للثورة من أول أيامها، أن أشدَّ الأخطار عليها، ما تُثيره المؤسسة الدينية الرسمية حولها من شبهات، بل ما توجِّه إليها من اتهامات، من الخروج على ولي الأمر الشرعي، والدعوة إلى الفتنة، وإثارة الفوضى، وحمل فكر الخوارج، الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة[1].

ونحن أمة دينية تؤثِّر فيها كلمة الدين، والرأي الشرعي أكثر من أيِّ شيء آخر.

وساند الرأي الرسمي كثير من الفئات الشعبية، من السلفيين[2] والصوفيين، الذين اتَّفقوا في هذا الموضع، رغم الاختلاف الدائم بينهما.

لهذا كان رأي القرضاوي الذي دافع عن شباب الثورة، وحقِّهم في التظاهر السلمي، وهو نوع من الجهاد بالكلمة، "أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر"[1]، وغير ذلك من النصوص، كان أمضى سلاح، وأقوى ردع تدافع به الثورة عن نفسها.

---

[1]- متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (3610)، ومسلم في الكسوف (1064)، عن أبي سعيد الخدري.

[2]- ولكي أكون منصفا، لا بد أن أذكر أني عرفت أن هناك من السلفيين من وقف مع شباب الثورة، مثل الشيخ محمد عبد المقصود، والشيخ محمد اسماعيل المقدم، والشيخ محمد حسان شارك في بعض الأوقات، وهو رجل عرفته في قطر، واضح الوجهة، صادق النظرة.

ومن بركات الفقه الذي أشاعته الثورة وثبَّتته، ما قلناه وكرَّرناه بين الناس: وهو تحريم قتل المتظاهرين والمحتجِّين المسالمين، فمَن أطلق الرصاص على واحد منهم لا يحمل سلاحا، فقد ارتكب كبيرة من أعظم الكبائر، وهو مستوجب للعنة الله وغضبه، وأعدَّ له عذابا عظيما. ولا يعفيه من الاثم أن يصدر إليه الأمر من رئيسه المباشر؛ لأن رئيسه يخالف القانون، ويخالف الشرع، إذ لا يوجد قانون يجيز إطلاق الرصاص على مسالم، وقول الشخص: أنا عبد مأمور. ليس عذرا له. وفي الحديث الصحيح: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[2].

رابعها: تصحيح مفاهيم مغلوطة لدى كثير من الناس، تكونت بالوهم لا بالبيِّنة والبرهان، مثل ما نسج حول نزولي إلى القاهرة لإلقاء خطبة (جمعة النصر) في ميدان التحرير، التي استقبلها كلُّ (أبناء مصر) مسلمين ومسيحيين، بالترحيب والتهليل والتكبير، كما شهد بذلك الملايين، وما قاله مَن قال من تشبيه ذلك بعودة الخميني إلى طهران.

وقد ذكر الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل – وهو رجل أحترم قلمه ورأيه السياسي – أني أقحمت نفسي على الثورة، مع أني لم أشترك فيها، ولم أكن من رموزها، وكان أحرى بي أن أبتعد عن مسرحها! ويؤسفني جدًّا أن أسمع هذا الكلام من هيكل، برغم أنه يعتبر نفسه مؤرِّخا للحركة السياسية في مصر، فإذا كانت هذه رؤيته، فإنها رؤية بائسة قاصرة وعاجزة عن رؤية العناصر الحقيقية والأساسية، التي كان لها دورها في إشعال الثورة، وفي تثبيت الثورة ضدَّ مَن أراد اغتيالها بالفتاوى الشرعية، والبيانات الدينية، حتى من كبار شيوخ الأزهر ومفتي مصر، وكثير من السلفيين والصوفيين، وقد علم الناس وشباب الثورة مَن الذي وقف بقوَّة وأصالة في وجه هذه الحملة الظالمة، ومن أبطل هذه الفتاوى بالبيانات والأدلَّة، ودافع عن الثورة وشبابها ومواقفهم؟

كنتُ أودُّ أن تكون دراسة هيكل للثورة وجذورها وأسبابها العميقة، وشيوخها المحرِّكين لها، ومراجعها الأصلية، التي يستند إليها، ويعولون عليها، بدل نظريته السطحية، التي تنظر من بعيد، ولا تكاد ترى شيئا! وأحمد الله أن أبناء الشعب المصري عامَّة، كانوا أصدق حسًّا

[1]– رواه أحمد (18828) وقال مخرجوه: إسناده صحيح، والنسائي في البيعة (4209)، عن طارق بن شهاب.

[2] – متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (7144)، ومسلم في الإمارة (1839) عن ابن عمر.

وأكثر وعيا بدوري وموقفي من الأستاذ هيكل. لقد عرَفوا موقفي، وشهدوا به، وعبَّروا عنه، ولله الفضل والمنَّة.

وقد تجلَّى ذلك بكلِّ وضوح في يوم جمعة النصر، وفي استقبال شباب ميدان التحرير، كلِّ الشباب – وهم بالملايين – للقرضاوي وتحيَّته التي استمرَّت لدقائق، وهذا مسجَّل في القنوات المصرية والجزيرة وغيرها.

وقد قال لي هؤلاء الشباب من صناع الثورة: نريد أن نُسرَّ إليك بحقيقة لمسناها بأنفسنا، وهي أن العدد الذي زاد على أربعة ملايين في ميدان التحرير يوم جمعة النصر، منهم عدد كبير جاء من أجلك، والاستماع إليك، من الإسكندرية والغربية وسائر محافظات الوجه البحري والصعيد.

ويبدو أن هيكل – والمفروض أنه يقوم بدور المؤرِّخ – لم يتابع دور القرضاوي في الثورات العربية كلِّها، في تونس ومصر واليمن وليبيا وسوريا، حتى سمَّاه بعضهم (أبو الثورات).

ولقد أنصف الكاتب المعروف الأستاذ قطب العربي، حين ردَّ على هيكل بالمنطق القوي، الذي لم يجد معه ما يقوله.

والحقيقة التي يعرفها كثيرون من المشاركين في الثورة، حتى من غير الإخوان: أني عزمتُ على الحضور للمشاركة في ميدان التحرير، رغم ظروفي الصحيَّة، قبل ذلك بأسبوعين، ولكن الإخوة في مصر من الإخوان وغيرهم، نصحوني ألا أحضر الآن، حتى لا يتخذ حضوري لحسبان الثورة على الإسلاميين عامة، وعلى الإخوان خاصة. وهي الفزَّاعة التي يفزِّعون بها الغرب، وقد استجبتُ لهم.

خامسها: كان الإخوة القائمون بأمر الجهاد في العالم العربي، مهتمين دائما بموقفي، وضرورة التنبُّه له، والتنبيه عليه، والتمسُّك به، من أمثال أبي الوليد خالد مشعل، ورمضان عبد الله شلّح، ومنير شفيق، وبشير نافع، ومَن سار على دربهم.

وقد اتَّصَلَ بي عدد منهم أكثر من مرَّة، يريدوني أن أخطب الجمعة في ميدان التحرير، فكنتُ لا أريد أن أفرض وجودي فرضا على الشباب الموجودين في ميدان التحرير، واتَّصِلُ ببعض القيادات، مثل: الدكتور محمد سليم العوا، والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح،

والدكتور عصام العريان، فيتحدَّثون بعضهم مع بعض، ومع إخوانهم، فترى الأغلبية التأجيل إلى حين.

إلى أن جاءت الجمعة الفاصلة، التي توافق فيها الإخوة في مصر على ضرورة حضوري، وأعتقد أن الخير كان فيما اختاره الله، فهذه الجمعة هي أول جمعة بعد إعلان النتيجة بتنحّي مبارك في آخر الجمعة الماضية، ولا بدَّ أن نتهيَّأ للسفر لها من الدوحة.

ولم أكن أعرف مَن الذي سيتهيَّأ لها معي، حتى أخبرني محمد ابني الأكبر أنه سيسافر معي هو وابنتي أسماء وزوجها د. هشام المرسى، وبنتها يُسْر، ثم فوجئتُ حين ركبت الطائرة بأن ابنتي إلهام موجودة للسفر هي وزوجها د. أحمد مكي، وابنته أميرة، وابنه يوسف، فقد وجدوا أماكن في الدرجة الأولى، فحجزوا، وتوكلوا على الله. كما حجزوا في القاهرة في فندق سميراميس حيث يكون مَن هناك كأنما هو في صدر الموقع.

وفي يوم الخميس السابق للجمعة مباشرة ، وصلنا إلى مطار القاهرة، فاستقبلنا أسامة ابني الذي يعمل في سفارة مصر، ومعه كبار القوم، ويسَّروا لنا الأمور، وكان عبد الرحمن ابني مدعوا خارج القاهرة يومها، وسرعان ما اتصل بي الدكتور العوا، والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، والدكتور إبراهيم تاج، والدكتور صفوت حجازي، وطمأنوني أن الأمور تسير على خير، وأن عليَّ أن استقرَّ في مكاني، وكلُّ شيء سيرتب إن شاء الله على أحسن ما يرام.

طمأنوني على أني سأذهب في الصباح مع أبنائي محمد وأسامة، وهشام زوج ابنتي في سيارة مرسيدس صغيرة، وأن بنتي أسماء وبنتها، ومعها ابنتي علا وبنتها وآخرين مرافقين لهم، سيذهبون في باص صغير، إلى المكان المعروف.

وعندما وصلنا إلى قرب المكان، اضطررنا أن ننزل من السيارة المرسيدس، ويحوط بنا الشباب الذين كانوا ينتظروننا، وبعد التكبير والتهليل والتحميد، وصلوا بنا إلى المنصة، التي أقيمت في قلب ميدان التحرير، وما أن رآني الناس على المنصة حتى ارتفعت صيحات التكبير والاستبشار، واضطررت أن أقف مواجها للناس في كلِّ الجهات الممكنه، محييا ومكبِّرا ومشيرا، والناس كذلك، حتى أُشير إلى الناس أن يصمتوا، ويتبعوا الأوامر والتوجيهات من المنصة.

وكان من حولي الدكتور البلتاجي، والدكتور حجازي، والشيخ محمد جبريل، والشيخ مظهر شاهين، الذي خطب الجمعة الماضية وغيرهم.

وكان الميدان شيئا كبيرًا حقًا، أرى أوله من عندي، ولا أرى آخره، أرى يميني يتجه شرقا إلى (الإسعاف) ولا أرى له آخر، وأرى يساري يتجه إلى ناحية القصر العيني، ولا أرى آخره أيضًا، وأرى أمامي النيل، كوبري قصر النيل، والناس يقفون عليه، ويمتدون فيه، ولا أعرف أين يقف أخرهم.

هذه ثالث مرة أو رابع مرة أقف فيها أمام هذه الجموع الحاشدة.

أول مرة كان في السبيعنات في صلوات الأعياد، التي بلغ أعلاها نصف مليون في عيد الفطر في ميدان عابدين بالقاهرة الذي قدروه العدد فيه بنصف مليون. وتحدث عنه الرئيس السادات بأنهم يقولون عنه: ربع مليون، وهو ليس أكثر من مائة ألف!

وبعد ذلك صليت صلاة جنازة في مدينة لاهور في باكستان في أكبر ملعب فيها؛ وذلك في صلاة جنازة الإمام المودودي، وقد ذهبنا إلى هناك، حيث صلينا وصلى معنا الرئيس الباكستاني ضياء الحق، واختارني العلماء الحاضرون من البلاد المختلفة للقيام بالصلاة على الرجل الكبير.

وبعد ذلك اتيح لي أن أشارك في مهرجان هندي للاحتفال المئوي لمرور مائة عام لمهرجان جامعة الهند الشهيرة (ديوبند) وقد ذهب إليها نحو مليونين من البشر وقد افتتحته رئيسة وزراء الهند أنديرا غاندي. وكان لي ولغيري من العلماء كلمات.

ثم كان هذا المؤتمر الرابع الذي قدره بعضهم بثلاثة ملايين، وبعضهم بأربعة ملايين، وبعضهم بأكثر من ذلك.

سادسها: من المهم أن تتميَّز لدى جماهير الأمة مَن ناصر حقَّها ممَّن خذلها، مَن سار في ركاب الظالمين إلى نهاية الشوط، ثم ألحق نفسه بالثورة كأنه من أبطالها، ومَن رفع راية الحقِّ من أول يوم.

ولقد أخبرني بعض الشباب أن بعض الذين يتكلَّمون باسم الدين، ظلُّوا يناصرون الظالمين وأعوانهم إلى آخر يوم، حتى قال أحدهم: حسني مبارك حفظه الله!! وحبيب العادلي دام ظلُّه!!

والعجيب أنه في اليوم التالي لسقوط الطاغية، خلع ثوب المدَّاحين والمطبِّلين لفرعون وهامان ولبس ثوبا آخر، دخل به ميدان التحرير، كأنه من صنَّاع الثورة!! وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال:"إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فافعل ما شئتَ"[1].

وإني لأحمد الله تباركت آلاؤه، وتعالت أسماؤه؛ أن وفَّقني للوقوف مع الحقِّ الناصع، مع هذه الثورات كلِّها، لم أتردَّد ولم أتلعثم منذ ثورة تونس، فثورة مصر، وثورة اليمن، وثورة ليبيا، وثورة سورية، وكلُّ ثورة تتحدَّث باسم الشعب، وباسم الحقِّ والعدل إن شاء الله. ولقد نذرت نفسي لنصرة هذه الثورات، وإن جلبت علي ما جلبت.

ولقد حذَّرني بعض مَن أعرف حين كانت ثورة مصر: أني أجازف بنفسي وبمستقبلي في أمر مجهول المصير، وإذا تعرَّضت هذه الثورة للإخفاق والفشل، فإن الأمر جدُ خطير.

فقلتُ لصاحبي: الأمر عندي أمر مبادئ وقيم، لا أمر مصالح ومساومات، فقد اتَّضح الحقُّ لي، فلن أتخلَّى عنه، ولو بذلتُ عمري فيه، وما بقي من عمري إلا القليل، ووالله ما استبدل الباطل بالحقِّ، ولا أبيع الدين بالدنيا، ولا أشتري بآيات الله ثمنا قليلا.

ولقد ساءني أن أجد أحد إخواني وتلاميذي ممَّن كانوا في قطر سنين طويلة، ثم رجع إلى مصر، اتَّصل بي وقال لي: كيف تناصر ثورة تعمل من أجل البرادعي؟

قلتُ له: أنا لا أناصر ثورة تعمل من أجل البرادعي ولا غيره، ولكن أناصر ثورة تعمل على إسقاط نظام ظالم فاسد؛ نظام { الَّذِينَ **طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ** }[الفجر:11، 12]، نظام حسني مبارك وزبانيته ولصوصه وأمنه وبلطجيَّته، ومَن توقَّف – وهو قادر – عن تأييد هذه الثورة فهو من القاعدين الآثمين، على الأقل تأييدها بالكلام والتشجيع والدعاء.

إن هذه الثورة، ثورة مصر كلِّها، وليست ثورة البرادعي ولا غيره، على أن البرادعي أو غيره هو خير من مبارك، المهم أن يأتي نتيجة انتخاب حرٍّ لا مزوَّر تزويرا مكشوفا، كما رأينا في الانتخابات الأخيرة في مصر.

1 – رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (3483)، وأحمد (17107)، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو.

ولا أكتم القراء: أن بعض إخواني الثقات، نقل إليَّ وهو يرتجف: أن بعض الجهات التي اشتعلت فيها الثورة تبيِّت لي كيدا، وتدبِّر لي أمرا؛ لأنهم يعتبرونني مسؤولا مسؤولية أولية عن قيام الثورة، أو على الأقل عن استمرارها وثباتها.

وقالوا لي: يجب أن تحتاط لنفسك، وتأخذ حذرك، وقد علَّمتنا وجوب الأخذ بالأسباب، وأنه لا ينافي التوكل، وقد قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}**[النساء:71]، وقد اختفى النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين في الغار، واتَّخذ الحرَّاس، ولبس الدروع، وحفر الخندق وقاية من اقتحام المشركين، وتداوى وأمر بالتداوي، ولك فيه أسوة حسنة.

قلتُ: نأخذ الحذر كما أُمرنا، ونتقي الأعداء ما استطعنا، وإن كان الحذر لا يغني من القدر، ونقرأ: **{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ}**[التوبة:51، 52]، وقال تعالى: **{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}**[آل عمران:54]، **{وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}**[النمل:50]، **{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا}** [الطارق:15-17].

ومما أحمد الله عليه: أن ظهر في هذا الوقت، مراجعة الطبعة الأولى لكتابي: كتاب أخي الحبيب، وابني المتميز الأستاذ وصفي عاشور أبو زيد (القرضاوي الإملم الثائر: دراسة تحليلية أصولية في معالم اجتهاده للثورة المصرية)، وهو ما لم أكن أتوقعه منه، فلله الفضل والمنة.

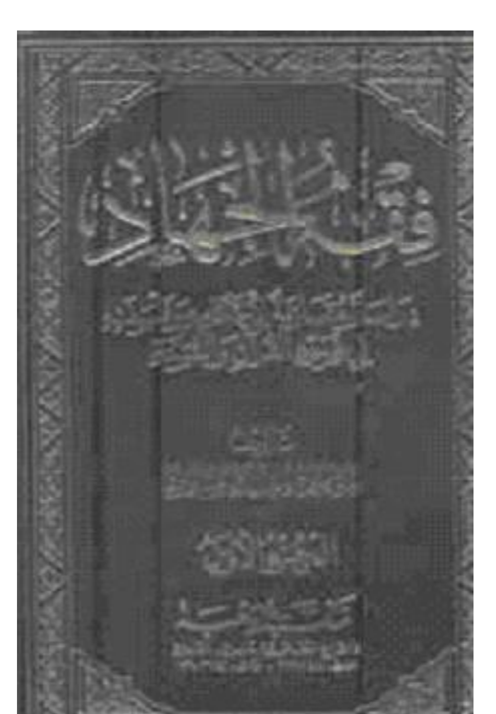
على أن ما ندعو به الله جلَّ وعلا: أن يختم لنا بشهادة خالصة في سبيله، يغفر لنا بها ما مضى من ذنوبنا، ويكفِّر عنا سيئاتنا، ويتوفَّانا مع الأبرار.

اللهم اجعل خير أعمارنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاك.

يوسف القرضاوي

من يحكم بفساد الحاكم؟

من كتابنا (فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة)



لقد ذكرنا في كتابنا فقه الجهاد تحت عنوان (رِدَّة السلطان) ما نصُّه[1]:

وأخطر أنواع الردَّة: رِدَّة السلطان، أو رِدَّة الحاكم، الذي يُفترَض فيه أن يحرس عقيدة الأمة، ويقاوم الردَّة، ويطارد المرتدِّين، ولا يُبقي لهم من باقية في رحاب المجتمع المسلم، فإذا هو نفسه يقود الردَّة سرًّا وجهرا، وينشر الفسوق سافرا ومقنَّعا، ويحمي المرتدين، ويفتح لهم النوافذ والأبواب، ويمنحهم الأوسمة والألقاب، ويصبح الأمر كما قال المَثَل: (حاميها حراميها) ... أو كما قال الشاعر العربي:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ... فكيف إذا الرعاة لها ذئاب؟!!

نرى هذا الصنف من الحكام، مواليا لأعداء الله، معاديا لأولياء الله، مستهينا بالعقيدة، مستخفًّا بالشريعة، ومصادرها المعصومة من القرآن العزيز والحديث الشريف، غير موقِّر للأوامر والنواهي الإلهية والنبوية، مهينا لكلِّ مقدَّسات الأمة ورموزها، من الصحابة الأبرار، والآل الأطهار، والخلفاء الأخيار، والأئمة الأعلام، وأبطال الإسلام! وهؤلاء يعتبرون التمسُّك بفرائض الإسلام جريمة وتطرُّفًا، مثل الصلاة في المساجد للرجال، والحجاب (أي لبس الخمار) للنساء. حتى إن المرأة المحجَّبة لتُمنع من التعلُّم في المدارس والجامعات، ومن التوظيف في وظائف الحكومة والقطاع العام، ومن العلاج في المستشفيات العامة، حتى الولادة، تُمنع منها ما لم تخلع حجابها!

---

[1] – فقه الجهاد (1/209–204)، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى 2009م.

ولا يكتفون بذلك، بل يعملون وَفق فلسفة (تجفيف المنابع) التي جاهروا بها، في التعليم والإعلام والثقافة، حتى لا تنشأ عقلية مسلمة، ولا نفسية مسلمة، ولا شخصية مسلمة[1].

ولا يقفون عند هذا الحدِّ، بل يطاردون العلماء والمعلِّمين، والدعاة الحقيقيين للإسلام، ويغلقون الأبواب في وجه كلِّ دعوة أو حركة صادقة، تريد أن تجدِّد الدين، وتنهض بالدنيا على أساسه.

والغريب أن بعض هذه الفئات – مع هذه الردَّة الظاهرة – تحرص على أن يبقى لها عنوان الإسلام، لتستغلَّه في هدم الإسلام، ومطاردة دعاته، ولتعاملهم الأمة على أنهم مسلمون، وهم يسخرون من الإسلام، ويقوِّضون بنيانه من الداخل، وبعضها تجتهد أن تتمسَّح بالدين، بتشجيع التديُّن الزائف، وتقريب ممثليه من الدجاجلة والمرتزقة، من المنافقين الذين يحرقون لها البخور، ممَّن يتزيون بزي مشايخ الدين، والدين منهم براء! ممَّن سمَّاهم الناس (علماء السلطة، وعملاء الشرطة)!

وهنا يتعقد الموقف، فمَن الذي يقيم الحدَّ – حدَّ الردَّة – على هؤلاء؟ بل مَن الذي يفتي بكفرهم أولاً، وهو كفر بَوَاح كما سمَّاه الحديث الصحيح[2]؟ ومَن الذين يحكم بردَّتهم، وأجهزة الإفتاء الرسمي والقضاء الرسمي في أيديهم؟ ليس هناك إلا (الرأي العام) المسلم، والضمير الإسلامي العام، الذي يقوده الأحرار من العلماء والدعاة وأهل الفكر، والذي لا يلبث – إذا سُدَّت أمامه الأبواب وقُطِّعت دونه الأسباب – أن يتحوَّل إلى بركان ينفجر في وجوه الطغاة المرتدين. فليس من السهل أن يفرِّط المجتمع المسلم في هُويَّته، أو يتنازل عن عقيدته ورسالته، التي هي مبرِّر وجوده، وسرُّ بقائه.

وقد جرَّب ذلك الاستعمار الغربي الفرنسي في الجزائر، والاستعمار الشرقي الروسي في الجمهوريات الإسلامية في آسيا، ورغم قساوة التجرِبة وطولها هنا وهناك، لم تستطع اجتثاث

---

[1]– هذا للأسف ما يحدث جهارا نهارا في بلد عربي مسلم عريق– أو هكذا يفترض – مثل تونس، وبلد إسلامي آخر، قاد الأمة الإسلامية لعدة قرون، هو تركيا. انظر: كتابنا (التطرف العلماني في مواجهة الإسلام) نموذج تركيا وتونس. صـ121 – 149 طبعة دار الشروق بالقاهرة.

[2]– إشارة إلى حديث: دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: "أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا...". وهو متفق عليه: رواه البخاري في الفتن (7056)، ومسلم في الإمارة (1709)، كما رواه أحمد (22679)، عن عُبادة بن الصامت.

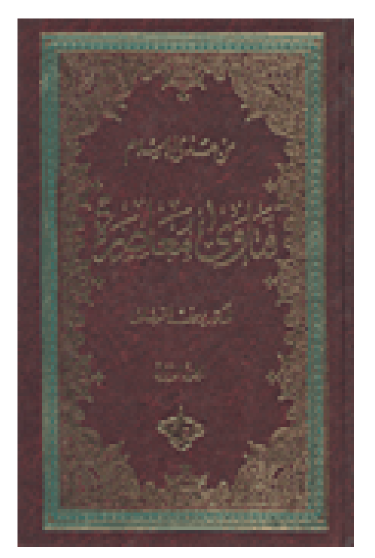
جذور الهُويَّة الإسلامية، والشخصية الإسلامية، وذهب الاستعمار والطغيان، وبقي الإسلام وبقي الشعب المسلم.

غير أن الحرب التي شُنَّت على الإسلام ودعاته من بعض الحكَّام (الوطنيين)! العلمانيين والمتغرّبِين في بعض الأقطار العربية والإسلامية – بعد استقلالها – كانت أحدّ عداوة، وأشدّ ضراوة، وأعتى قساوة، من حرب المستعمرين[1].

[1]- انظر: رسالتنا (جريمة الردة وعقوبة المرتد) صـ68- 73 من رسائل ترشيد الصحوة الإسلامية. طبع مكتبة وهبة. القاهرة. وانظر: كتابنا (التطرف العلماني في مواجهة الإسلام) نموذج (تركيا وتونس) صـ111 – 148 طبعة دار الشروق.

هل يجوز شرعا تسيير المظاهرات السلمية الاحتجاجية[1]؟

من كتابنا (فتاوى معاصرة)



السؤال: ما رأي فضيلتكم فيما ذكره بعض العلماء من عدم مشروعية تسيير المسيرات والمظاهرات، تأييدا لمطالب مشروعة، أو تعبيرا عن رفض أشياء معيَّنة في مجال السياسة، أو الاقتصاد، أو العلاقات الدولية، أو غيرها.

وقال هذا العالم: إن تنظيم هذه المسيرات أو الدعوة إليها، أو المشاركة فيها حرام.

ودليله على ذلك: أن هذه بدعة لم يعرفها المسلمون، وليست من طرائق المسلمين، وإنما هي مستوردة من بلاد اليهود والنصارى والشيوعيين وغيرهم من الكفرة والملحدين.

وتحدَّى هذا العالم مَن يأتيه بواقعة واحدة، سارت فيها مظاهرة كبيرة أو صغيرة، في عهد الرسول أو الصحابة.

وإذا كانت هذه المسيرات تعبِّر عن الاحتجاج على الحكومة، فهذا خروج على المنهج الإسلامي في إسداء النصيحة للحكام، والمعروف: أن الأولى في هذه النصيحة أن تكون بين الناصح والحاكم، ولا تكون على الملأ.

على أن هذه المسيرات كثيرا ما يستغلُّها المخرِّبون، ويقومون بتدمير الممتلكات، وتخريب المنشآت. ولذا وجب منعها سدًّا للذرائع.

فهل هذا الكلام مسلَّم من الوجهة الشرعية؟ وهل يسوغ للناس في أنحاء العالم: أن يسيِّروا المظاهرات للتعبير عن مطالبهم الخاصة أو العامة، وأن يؤثِّروا في الرأي العام من

---

1 – فتاوي معاصرة (4/819– 830)، نشر دار القلم، الطبعة الأولى 1430هـ – 2009م.

حولهم، وبالتالي يؤثّرون على الحكام وأصحاب القرار، إلا المسلمين دون غيرهم، يحرم عليهم استعمال هذه الوسيلة التي أصبحت عالمية؟

نرجو أن نسمع منكم القول الفصل، الموثَّق بأدلَّة الشرع، في هذه القضية الخطيرة، التي غدت تهمُّ كلَّ الناس في سائر الأقطار والقارات.

وفَّقكم الله وسدَّدكم.

عدد من طلاب العلم الشرعي

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن ابتع هداه.

(أما بعد)

فمن حق المسلمين – كغيرهم من سائر البشر – أن يسيروا المسيرات وينشئوا المظاهرات، تعبيرا عن مطالبهم المشروعة، وتبليغا بحاجاتهم إلى أولي الأمر، وصنّاع القرار، بصوت مسموع لا يمكن تجاهله. فإن صوت الفرد قد لا يسمع، ولكن صوت المجموع أقوى من أن يتجاهل، وكلما تكاثر المتظاهرون، وكان معهم شخصيات لها وزنها: كان صوتهم أكثر إسماعا وأشد تأثيرا. لأن إرادة الجماعة أقوى من إرادة الفرد، والمرء ضعيف بمفرده قوي بجماعته. ولهذا قال تعالى: **{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى}** [المائدة:2]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا" وشبّك بين أصابعه[1].

ودليل مشروعية هذه المسيرات: أنها من أمور (العادات) وشؤون الحياة المدنية، والأصل في هذه الأمور هو: الإباحة.

وهذا ما قررته بأدلة – منذ نحو نصف قرن – في الباب الأول من كتاب: (الحلال والحرام في الإسلام) الذي بين في المبدأ الأول أن القاعدة الأولى من هذا الباب: (أن

---

1 – متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (481)، ومسلم في البر والصلة (2585)، كما رواه أحمد (19624)، والترمذي في البر والصلة (1928)، والنسائي في الزكاة (2560) عن أبي موسى.

الأصل في الأشياء الإباحة). وهذا هو القول الصحيح الذي اختاره جمهور الفقهاء والأصوليين.

فلا حرام إلا ما جاء بنصٍّ صحيح الثبوت، صريح الدلالة على التحريم. أما ما كان ضعيفا في مسنده، أو كان صحيح الثبوت، ولكن ليس صريح الدلالة على التحريم، فيبقى على أصل الإباحة، حتى لا نحرم ما أحل الله.

ومن هنا ضاقت دائرة المحرمات في شريعة الإسلام ضيقا شديدا، واتسعت دائرة الحلال اتساعا بالغا. ذلك أن النصوص الصحيحة الصريحة التي جاءت بالتحريم قليلة جدا، وما لم يجئ نص بحله أو حرمته، فهو باق على أصل الإباحة، وفي دائرة العفو الإلهي.

وفي هذا ورد الحديث: "ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئا". وتلا: **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}** [مريم:64] [1].

وعن سلمان الفارسي: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفراء فقال: "الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرّم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا لكم"[2]، فلم يشأ عليه الصلاة والسلام أن يجيب السائلين عن هذه الجزئيات، بل أحالهم على قاعدة يرجعون إليها في معرفة الحلال والحرام، ويكفي أن يعرفوا ما حرم الله، فيكون كل ما عداه حلالا طيبا.

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها"[3].

---

1 – رواه البزار (4087) وقال: إسناده صالح، والحاكم في التفسير (375/2) : وصححه إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه البزار والطبراني في الكبير، وإسناده حسن، ورجاله موثقون (171/1)، عن أبي الدرداء.

2 – رواه الترمذي في اللباس (1726) وقال: حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وكأن الحديث الموقوف أصح، وقال: قال البخاري في الحديث المرفوع: ما أراه محفوظا، وابن ماجه (3367)، والحاكم (115/4) وصححه ووافقه الذهبي، كلاهما في الأطعمة، وحسنه الألباني (2715).

3 – رواه الدارقطني في سننه كتاب الرضاع (183/4)، والطبراني في الكبير (221/22)، والبيهقي في الكبرى كتاب الضحايا (12/10)، عن أبي ثعلبة، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (1597)، وحسنه النووي في الأربعين النووية، الحديث الثلاثون.

وأحب أن أنبه هنا على أن أصل الإباحة لا يقتصر على الأشياء والأعيان، بل يشمل الأفعال والتصرفات التي ليست من أمور العبادة، وهي التي نسميها: (العادات أو المعاملات) فالأصل فيها عدم التحريم وعدم التقييد إلا ما حرّمه الشارع وألزم به، وقوله تعالى: **{وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ}** [الأنعام:119]، عام في الأشياء والأفعال.

وهذا بخلاف العبادة فإنها من أمر الدين المحض الذي لا يؤخذ إلا عن طريق الوحي، وفيها جاء الحديث الصحيح: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[1]، وذلك أن حقيقة الدين تتمثل في أمرين: ألا يُعبد إلا الله، وألا يُعبد إلا بما شرع، فمن ابتدع عبادة من عنده – كائنا من كان – فهي ضلالة ترد عليه، لأن الشارع وحده هو صاحب الحق في إنشاء العبادات التي يُتقرب بها إليه.

وأما العادات أو المعاملات فليس الشارع منشئا لها، بل الناس هم الذين أنشأوها وتعاملوا بها، والشارع جاء مصححا لها ومعدلا ومهذبا، ومقرا في بعض الأحيان ما خلا عن الفساد والضرر منها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان: عبادات يصلح بها دينهم، وعادات يحتاجون إليها في دنياهم، فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع.

وأما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه. والأصل فيه عدم الحظر، فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن الأمر والنهي هما شرع الله، والعبادة لا بد أن تكون مأمورا بها، فما لم يثبت أنه مأمور به – أي من العادات – كيف يحكم عليه بأنه محظور؟

ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون: إن الأصل في العبادات التوقيف، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله، وإلا دخلنا في معنى قوله تعالى: **{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ}** [الشورى:21].

1- متفق عليه: رواه البخاري في الصلح (2697)، ومسلم في الأقضية (1718)، كما رواه أحمد (26033)، وأبو داود في السنة (4606)، وابن ماجه في المقدمة (14) عن عائشة.

والعادات الأصل فيها العفو، فلا يحظر منها إلا ما حرّمه الله، وإلا دخلنا في معنى قوله تعالى: **{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً}** [يونس:59].

وهذه قاعدة عظيمة نافعة، وإذا كان كذلك فنقول:

البيع، والهبة، والإجارة، وغيرها من العادات التي يحتاج الناس إليها في معاشهم – كالأكل والشرب واللباس – فإن الشريعة قد جاءت في هذه العادات بالآداب الحسنة، فحرمت منها ما فيه فساد، وأوجبت ما لا بد منه، وكرهت ما لا ينبغي، واستحبت ما فيه مصلحة راجحة في أنواع هذه العادات ومقاديرها وصفاتها.

وإذا كان كذلك، فالناس يتبايعون ويستأجرون كيف يشاءون، ما لم تحرم الشريعة، كما يأكلون ويشربون كيف شاءوا ما لم تحرم الشريعة – وإن كان بعض ذلك قد يستحب، أو يكون مكروها – وما لم تحد الشريعة في ذلك حدا، فيبقون فيه على الإطلاق الأصلي)[1] انتهى.

ومما يدل على هذا الأصل المذكور ما جاء في الصحيح عن جابر بن عبد الله قال: كنا نعزل والقرآن ينزل، فلو كان شيء ينهى عنه لنهى عنه القرآن[2].

فدل على أن ما سكت عنه الوحي غير محظور ولا منهي عنه، وأنهم في حل من فعله حتى يرد نص بالنهي والمنع، وهذا من كمال فقه الصحابة رضي الله عنهم، وبهذا تقررت هذه القاعدة الجليلة، ألا تشرع عبادة إلا بشرع الله، ولا تحرم عادة إلا بتحريم الله.

والقول بأن هذه المسيرات (بدعة) لم تحدث في عهد رسول الله ولا أصحابه، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار: قول مرفوض؛ لأن هذا إنما يتحقق في أمر العبادة وفي الشأن الديني الخالص. فالأصل في أمور الدين (الاتباع) وفي أمور الدنيا (الابتداع)[3].

ولهذا ابتكر الصحابة والتابعون لهم بإحسان: أمورا كثيرة لم تكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما يعرف بـ(أوليات عمر) وهي الأشياء التي ابتدأها عمر رضي

---

1 – القواعد النورانية الفقهية لشيخ ابن تيمية ص112،113، وعلى أساس هذه القاعدة قرر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وعامة فقهاء الحنابلة: أن الأصل في العقود والشروط الإباحة، فكل عقد لم يرد نص بتحريمه بخصوصه، ولم يشتمل على محرم فهو حلال.

2 – متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (5208)، ومسلم في النكاح (1440)، كما رواه أحمد (14318)، والترمذي في النكاح (1137)، وابن ماجه في النكاح (1927).

3 – انظر: كتابنا (السنة مصدرا للمعرفة والحضارة) صـ245، طبعة دار الشروق.

الله عنـه، غيـر مسبوق إليهـا، مثـل: إنشـاء تـاريخ خـاص للمسـلمين، وتمصـير الأمصـار، وتدوين الدواوين، واتخاذ دار للسجن، وغيرها.

وبعد الصحابة أنشأ التابعون وتلاميذهم أمورا كثيرة، مثل: ضرب النقود الإسلامية، بدل اعتمادهم على دراهم الفرس ودنانير الروم، وإنشاء نظام البريد، وتدوين العلوم، وإنشاء علوم جديدة مثل: إنشاء علم أصول الفقه، وتدوين علوم النحو والصرف والبلاغة، وعلم اللغة، وغيرها.

وأنشأ المسلمون (نظام الحسبة) ووضعوا له قواعد وأحكاما وآدابا، وألّفوا فيه كتبا شتّى.

ولعل مما يؤيد هذا المسلك، الحديث الصحيح: "من سن سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"[1]. فهو يحث على المبادرة واتخاذ الموقف القدوة، الذي يرغب الآخـرين فـي تقليـده واتباعـه، فيكـون لـه أجـرهم. وقـد قيـل: الفضـل للمبتـدي، وإن أحسـن المقتدي!

ولهذا كان من الخطأ المنهجي: أن يطلب دليل خاص على شرعية كل شأن من شؤون العادات، فحسبنا أنه لا يوجد نص مانع من الشرع.

ودعوى أن هذه المسيرات مقتبسة أو مستوردة من عند غير المسلمين: لا يثبت تحريما لهذا الأمر، ما دام هو في نفسه مباحا، ويراه المسلمون نافعا لهم." فالحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها"[2].

وقد اقتبس المسلمون في عصر النبوة طريقة حفر الخندق حول المدينة، لتحصينها من غزو المشركين، وهي من طرق الفرس.

واتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم خاتما، حيث أشير عليه أن يفعل ذلك، فإن الملوك والأمراء في العالم، لا يقبلون كتابا إلا مختوما[3].

واقتبس الصحابة نظام الخراج من دولة الفرس العريقة في المدنية والتنظيم.

---

1 – رواه مسلم (1017)، والنسائي (2554)، كلاهما في الزكاة، وابن ماجه في المقدمة (203) عن جرير.

2 – رواه الترمذي في العلم (2687)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وابن ماجه في الزهد (4169) عن أبي هريرة، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (506). ولكن معناه صحيح بالإجماع.

3 ـ متفق عليه: رواه البخاري في العلم (65)، ومسلم في اللباس (2092)، عن أنس بن مالك.

واقتبسوا كذلك تدوين الدواوين من دولة الروم، لما لها من عراقة في ذلك.

وترجم المسلمون الكتب التي تتضمن (علوم الأوائل) أي الأمم المتقدمة، التي طورها المسلمون وهذبوها وأضافوا إليها، وابتكروا فيها مثل: (علم الجبر) بشهادة المنصفين من مؤرخي العلم.

ولم يعترضوا إلا على (الجانب الإلهي) في التراث اليوناني؛ لأن الله تعالى أغناهم بعقيدة الإسلام عن وثنية اليونان وما فيها من أساطير وأباطيل.

ومن نظر إلى حياتنا المعاصرة في شتى المجالات: وجد فيها كثيرا جدا مما اقتبسناه من بلاد الغرب: في التعليم والإعلام والاقتصاد والإدارة والسياسة وغيرها.

ففكرة الدستور، والانتخابات بالصورة المعاصرة، وفصل السلطات، وإنشاء الصحافة والإذاعة والتلفزة، بوصفها أدوات للتعبير والتوجيه والترفيه، وإنجاز الشبكة الجبارة للمعلومات (الإنترنت).

والتعليم بمؤسساته وتقسيماته وترتيباته ومراحله واختباراته وآلياته المعاصرة، مقتبس في معظمه من الغرب.

والشيخ رفاعة الطهطاوي، حين ذهب إلى باريس إماما للبعثة المصرية، ورأى من ألوان المدنية ما رأى، بهرته الحضارة الحديثة، وعاد لينبه قومه إلى ضرورة الاقتباس مما سبق به الأوربيون، حتى لا يظلوا يتقدمون ونحن نتأخر.

ومن يومها بدأ المصريون، وبدأ معهم كثير من العرب، وقبلهم بدأ العثمانيون في اقتباس ما عند الغربيين.

كل هذه مقتبسات من الغرب الذي تفوق علينا وسبقنا بها، ولم نجد بدا من أن نأخذها عنه، ولم تجد نكيرا من أحد من علماء الشرع ولا من غيرهم فأقرها العرف العام. وقد أخذ الغرب عنا من قبل واقتبس منا، وانتفع بعلومنا أوائل نهضته: **{وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}** [آل عمران:140].

المهم أن نأخذ ما يلائم عقائدنا وقيمنا وشرائعنا، دون ما يناقضها أو ينقضها. فالناقل هو الذي يأخذ من غيره ما ينفعه لا ما يضره. وأهم ما يأخذه المسلم من غيره: ما كان

متعلقا بشؤون الحياة المتطورة، وجله يتصل بالوسائل والآليات التي طابعها المرونة والتغير، لا بالأهداف والمبادئ التي طابعها الثبات والبقاء.

علـى أن مـا ذكـره السـائل أو السـائلون، مـن نسـبة هـذه المظـاهرات أو المسـيرات إلـى الشيوعيين الملحدين: غير صحيح، فالأنظمة الشيوعية لا تسمح بهذه المسيرات إطلاقا؛ لأن هذه الأنظمة الشمولية القاهرة تقوم على كبت الحريات، وتكميم الأفواه، والخضوع المطلق لسلطان الحكم وجبروته.

قاعدتان مهمتان:

وأود أن أقرر هنا قاعدتين في غاية الأهمية:

1- قاعدة المصلحة المرسلة:

الأولى هي: قاعدة المصلحة المرسلة، فهذه الممارسات التي لم ترد في العهد النبوي، ولم تعرف في العهد الراشدي، ولم يعرفها المسلمون في عصورهم الأولى، وإنما هي من مستحدثات هذا العصر: إنما تدخل في دائرة (المصلحة المرسلة)، وهي التي لم يرد من الشرع دليل باعتبارها ولا بإلغائها.

وشرطها: أن لا تكون من أمور العبادات حتى لا تدخل في البدعة، وأن تكون من جنس المصالح التي أقرها الشرع، والتي إذا عرضت على العقول، تلقتها بالقبول، وألا تعارض نصا شرعيا، ولا قاعدة شرعية.

وجمهور فقهاء المسلمين يعتبرون المصلحة دليلا شرعيا يبنى عليها التشريع أو الفتوى أو القضاء، ومن قرأ كتب الفقه وجد مئات الأمثلة من الأحكام التي لا تعلل إلا بمطلق مصلحة تُجلب، أو ضرر يُدفع.

وكان الصحابة – وهم أفقه الناس بهذه الشريعة – أكثر الناس استعمالا للمصلحة واستنادا إليها.

وقد شاع أن الاستدلال بالمصلحة المرسلة خاص بمذهب المالكية، ولكن الإمام شهاب الدين القرافي المالكي (684هـ) يقول، ردا على من نقلوا اختصاصها بالمالكي: (وإذا افتقدت المذاهب وجدتهم إذا قاسوا أو جمعوا أو فرقوا بين المسألتين، لا يطلبون شاهدا بالاعتبار

لذلك المعنى الذي جمعوا أو فرقوا، بل يكتفون بمطلق المناسبة، وهذا هو المصلحة المرسلة، فهي حينئذ في جميع المذاهب)[1].

2- للوسائل حكم المقاصد:

والقاعدة الثانية: هي أن للوسائل في شؤون العادات حكم المقاصد، فإذا كان المقصد مشروعا في هذه الأمور، فإن الوسائل إليه تأخذ حكمه، ولم تكن الوسيلة محرمة في ذاتها.

ولهذا حين ظهرت الوسائل الإعلامية الجديدة، مثل (التلفزيون) كثر سؤال الناس عنها: أهي حلال أم حرام؟

وكان جواب أهل العلم: أن هذه الأشياء لا حكم لها في نفسها، وإنما حكمها بحسب ما تستعمل له من غايات ومقاصد. فإذا سألت عن حكم (البندقية) قلنا: إنها في يد المجاهد عون على الجهاد، ونصرة الحقِّ، ومقاومة الباطل، وهي في يد قاطع الطريق عون على الجريمة، والإفساد في الأرض، وترويع الخلق.

وكذلك التلفزيون: مَن يستخدمه في معرفة الأخبار، ومتابعة البرامج النافعة ثقافيا وسياسيا واقتصاديا، بل والبرامج الترفيهية بشروط وضوابط معينة، فهذا لا شك في إباحته ومشروعيته، بل قد يتحول إلى قربة وعبادة بالنية الصالحة. بخلاف من يستخدمه للبحث عن الخلاعة والمجون وغيرها من الضلالات في الفكر والسلوك.

وكذلك هذه المسيرات والتظاهرات، إن كان خروجها لتحقيق مقصد مشروع، كأن تنادي بتحكيم الشريعة، أو بإطلاق سراح المعتقلين بغير تهمة حقيقية، أو بإيقاف المحاكمات العسكرية للمدنيين، أو بإلغاء حالة الطوارئ التي تعطي للحكام سلطات مطلقة. أو بتحقيق مطالب عامة للناس مثل: توفير الخبز أو الزيت أو السكر أو الدواء أو البنزين، أو غير ذلك من الأهداف التي لا شك في شرعيتها: فمثل هذا لا يرتاب فقيه في جوازه.

ومثل ذلك: الاحتجاج على ما يحدث للإخوة في فلسطين، أو الحفريات تحت المسجد الأقصى، أو الحرب على العراق، أو الاحتجاج على الرسوم المسيئة لشخصية النبي عليه الصلاة والسلام.

---

1 – شرح تنقيح الفصول صـ171.

وأذكر أني كنت في سنة 1989م في الجزائر، وقد شكا إلي بعض الأخوات من طالبات الجامعة من الملتزمات والمتدينات، من مجموعة من النساء العلمانيات أقمن مسيرة من نحو خمسمائة امرأة، سارت في شوارع العاصمة، تطالب بمجموعة من المطالب تتعلق بالأسرة أو ما يسمى (قانون الأحوال الشخصية) مثل: منع الطلاق، أو تعدد الزوجات، أو طلب التسوية بين الذكر والأنثى في الميراث، أو إباحة تزوج المسلمة من غير المسلم، ونحو ذلك.

فقلت للطالبات اللائي سألنني عن ذلك: الرد على هذه المسيرة العلمانية: أن تقود المسلمات الملتزمات مسيرة مضادة، من خمسمائة ألف امرأة! أي ضعف المسيرة الأولى ألف مرة! تنادي باحترام قواطع الشريعة الإسلامية.

وفعلا بعد أشهر قليلة أقيمت مسيرة مليونية عامتها من النساء تؤيد الشريعة، وإن شارك فيها عدد محدود من الرجال، يقودهم عالم الجزائر: الشيخ أحمد سحنون رحمه الله.

فهذه المسيرة – بحسب مقصدها – لا شك في شرعيتها، بخلاف المسيرة الأخرى المعارضة لأحكام الشريعة القطعية، لا يستطيع فقيه أن يفتي بجوازها.

سد الذرائع:

أما ما قيل من منع المسيرات والتظاهرات السلمية، خشية أن يتخذها بعض المخربين أداة لتدمير الممتلكات والمنشآت، وتعكير الأمن، وإثارة القلاقل. فمن المعروف: أن قاعدة سد الذرائع لا يجوز التوسع فيها، حتى تكون وسيلة للحرمان من كثير من المصالح المعتبرة.

ويكفي أن نقول بجواز تسيير المسيرات إذا توافرت شروط معينة يترجح معها ضمان ألا تحدث التخريبات التي تحدث في بعض الأحيان، كأن تكون في حراسة الشرطة، أو أن يتعهد منظموها بأن يتولوا ضبطها بحيث لا يقع اضطراب أو إخلال بالأمن فيها، وأن يتحملوا المسؤولية عن ذلك. وهذا المعمول به في البلاد المتقدمة ماديا.

في السنة دليل على شرعية المسيرات:

أعتقد أن فيما سقناه من الأدلة والاعتبارات الشرعية، ما يكفي لإجازة المسيرات السلمية إذا كانت تعبر عن مطالب فئوية أو جماهيرية مشروعة.

وليس من الضروري أن يطلب دليل شرعي خاص على ذلك، مثل نص قرآني أو نبوي، أو واقعة حدثت في عهد النبوة أو الخلافة الراشدة.

ومع هذا، نتبرع بذكر واقعة دالة، حدثت في عهد النبوة، وذلك عندما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ولنستمع إلى عمر نفسه، وهو يقص علينا نبأ هذه المسيرة، يقول بعد أن دخل دار الأرقم بن أبي الأرقم معلنا الشهادتين: (فقلتُ: يا رسول الله، ألسنا على الحقّ إن متنا وإن حيينا؟

قال: "بلى، والذي نفسي بيده، إنكم على الحقِّ، إن متم وإن حييتم".

قال: فقلتُ: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن. فأخرجناه في صفين: حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد. قال: فنظرت إليّ قريش وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها. فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق)[1].

ومن تتبَّع السيرة النبوية، والسنة المحمدية، لا يعدم أن يجد فيها أمثلة أخرى.

والحمد لله ربِّ العالمين.

1 – انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (40/1) طبعة دار الكتاب العربي بيروت، وانظر: صفة الصفوة (104/1-130).

تصريح فضيلة الشيخ القرضاوي لجريدة الشروق القاهرية

(الخميس 27 يناير 2011م)

القرضاوي: إطلاق الرصاص على المتظاهرين حرام شرعًا .. ومَن خرجوا إلى الشوارع هم أبناء مصر

القرضاوي يصف الحركة الاحتجاجية بالانتفاضة المباركة

محمد سعد عبد الحفيظ

حيَّا الشيخ يوسف القرضاوى رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ما وصفه بـ(الانتفاضة المباركة للشعب المصري)، راجيًا أن يكون لها دور في إحداث التغيير، وأن تتحقَّق مطالب الشعب في الحصول على حقوقه من حريَّة وكرامة.

وقال القرضاوي لـ "الشروق": لا شكَّ أن ما حدث في تونس درس عظيم، ولا بدَّ أن يتكرَّر، وأن تتغيَّر الأوطان العربية إلى الأفضل، وأن تنال حقوقها وحريَّتها. وثمَّن القرضاوي دور "الأحرار الذين خرجوا ليعبِّروا عن غايتهم، ولم يدفعهم أحد، ولا يمثِّلون حزبًا أو قوَّة سياسية، لكنهم يمثِّلون مصر"، مضيفاً: "مصر التي تنشد الحريَّة والكرامة ومستوى الحياة اللائق بها، وأن يكون لها مقعدها تحت الشمس".

وأضاف "مَن خرجوا إلى الشوارع هم أبناء مصر، رأيتُهم بنفسي، وأنا أمرُّ في شوارع القاهرة، هؤلاء يتطلَّعون إلى غدٍ أفضل، وهذا من حقِّهم"، آسفاً على التعامل الأمني العنيف مع المتظاهرين، والذي وصل إلى حدِّ إطلاق الرصاص الحيِّ، الذي حصد (4) شهداء.

وتابع الشيخ "كنتُ أودُّ أن تكون مصر كغيرها من الدول، التي تتعامل مع المتظاهرين بتحضُّر، لا سيما أن المتظاهرين لم يتطلَّعوا إلى العنف، فالتعبير عن الرأي حقٌّ إنساني".

واستنكر القرضاوي تصريحات رموز الحكومة والحزب الوطني التي "لا تعبِّر عن رؤية أو إدراك لم يحدث"، مضيفاً "كلامهم دليل على ضيق أُفقهم، فهم لا يُحسُّون بالتغيير الذي حدث في نفوس الشباب المصري".

وأفتى القرضاوي بتحريم إطلاق الرصاص على المتظاهرين، وقال: "أيُّ شرطيٍّ يطلق النار على متظاهر لم يبدر منه ما يستحقُّ القتل مجرم وآثم". وطالبهم بعدم الاستجابة لقادتهم "ومَن يقول: إنه عبد المأمور. أقول له: أنت عبد لله، والقتل حرام".

وفي المقابل حرَّم القرضاوي تحريما قاطعا الاعتداء على رجال الشرطة من قِبَل المتظاهرين، وقال: "هم منا ونحن منهم، ودماؤهم محرَّمة، ولعلهم يشكون مما نشكو، ولو أُتيحت لهم الفرصة لانضموا إلى الجمهور". مشدِّدًا على حُرمة المساس بالممتلكات العامة والخاصة.

وترحَّم القرضاوي على شهداء "يوم الغضب" الذين سقطوا ضحيَّة، مؤكِّدًا أن دماءهم لن تذهب سُدى، ومن الممكن أن تتحوَّل هذه الدماء إلى الشرارة التي تشعل النار، وقال "فليحذر مَن يعيش في القصور بعيدًا عن مطامح الناس من تلك الشرارة".

وختم الشيخ كلامه: "من واجب السلطة أن يكون لها أذن تسمع، وقلب يعقل، وعين ترى، أما أن تُحدث تلك التحرُّكات والتغيرات وتكون عين السلطة عمياء، وأن تسمع السلطة تلك الأصوات وتسدُّ آذانها، وتغلق قلبها، فتلك هي المصيبة".

مداخلة الشيخ القرضاوي على قناة الجزيرة مباشر

(28 يناير 2011م)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه، وبعد:

فأحيِّي الشعب المصري الأصيل العريق، وأحيِّي أبناء هذا الشعب، خصوصا الشباب منهم، الذين ثاروا لكرامتهم، وثاروا لأمَّتهم، وخرجوا من بيوتهم ينشدون الحرية والكرامة للإنسان المصري، بعد أن قهرته الحياة، وبعد أن أصمَّت أُذنيها عنه حكوماته المختلفة، هؤلاء الذين عاشوا لأنفسهم، وتركوا الشعب يعاني ما يعاني، نهبوا أراضي مصر، واختلسوا وسرقوا ثروات مصر، وأصبحوا كما يقول المثل المصري: حاميها حراميها.

أو كما قال الشاعر العربي:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

الشعب المصري خرج بحرية وأصالة، لم يحركه أحد، لم يعمل لحساب حزب ولا جماعة، ولكن عمل لحق نفسه، ولكرامة نفسه، ولهذا نحيي هؤلاء الشباب، ونحيي تطلعاتهم، ونحيي ما ينشدونه من حياة حرة كريمة، يسعى إليها كل إنسان حر كريم.

نحيي هؤلاء الشباب ونترحم على شهدائهم، ونقول لهؤلاء الفراعنة الذين يحكمون مصر ما قاله أحمد شوقي للفرعون توت عنخ آمون من ثمانين سنة، حينما احتفى الناس لما اكتشفوا قبره:

زمان الفرد يا فرعون ولَّى ودالت دولة المتجبرينا

وأصبحت الرعاة بكلِّ أرض على حكم الرعية نازلينا

ويأتي الفراعنة الجدد الآن، يريدون أن يفرضوا أنفسهم على الناس، ولكن الشعوب الآن لها إرادتها، وإذا أرادت الشعوب لن يستطيع أحد إلا أن يستجيب لمطالبها.

مذيعة الجزيرة: فضيلة الشيخ بعض العلماء يتحدثون عن عدم مشروعية الخروج على الحاكم، ووجوب طاعة أولي الأمر، ويركزون على ذلك في هذه الأوقات، ونريد من فضيلتك أن تحسم هذا الجدل الديني.

هذا سوء فهم للدين؛ لأن الإسلام يجعل حق الطاعة لمَن أطاع الله ونفَّذ أحكامه في العدالة والكرامة والحرية، أما مَن خرج على الدين، وظلم الشعب، وسرق ونهب وثرواته،

فكيف يطاع، لا طاعة لأحد في معصية الله، والمسلمون مجمعون على أنه: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وفي الحديث: "لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف"[1].

وفي السنة، بين رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه سيكون أمراء ظلمة، وأمر بجهادهم، فقال: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريُّون وأصحاب، يأخذون بسنَّته، ويتقيَّدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمَن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل"[2].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة: "أعاذك الله من إمارة السفهاء".

قال: وما إمارة السفهاء؟

قال: "أمراء يكونون بعدي، لا يقتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمَن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني، ولست منهم، ولا يردوا علي حوضي. ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، وسيردوا عليَّ حوضي"[3].

بدأ بمَن يصدق هؤلاء الحكام ويعينهم على حكمهم. وقال: "فأولئك ليسوا مني، ولست منهم، ولا يردوا عليَّ حوضي".

فالإسلام لا يقبل إطلاقا أن ينصاع الناس للحاكم الظالم، والقرآن يجعل الطائع للحاكم الظالم مثله في الظلم، قال تعالى: **{إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}** [القصص:8]، **{فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ}** [القصص:40]، **{وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ}** [القصص:42].

وذمَّ الشعب المصري الذي أطاع فرعون: **{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}** [الزخرف:54].

1– متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (7145)، ومسلم في الإمارة (1840)، كما رواه أحمد (622)، وأبو داود في الجهاد (2625)، والنسائي في البيعة (4205)، عن علي بن أبي طالب.

2 – رواه مسلم (50)، وأبو عوانة (98)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

3 – رواه أحمد (14441)، وقال مخرجوه: إسناده قوي على شرط مسلم، وابن حبان في الصلاة (1723)، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب لغيره (2242)، عن جابر.

ولذلك فنحن نؤيد الشعب حين يرفض أن يستخف به فرعون. والمصريون عندهم مَثل يقول: قيل لفرعون ما فرعنك؟! قال: لم أجد أحدًا يردُّني!! والشعب اليوم قام يرد فرعون عن ظلمه. وهذا ما يأمر به الإسلام، يأمر أن يقف الناس في منظومات قوية، حتى يصلوا إلى حقوق أنفسهم بالتكاتف والتعاون.

قال تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**} [الصف:4].

مداخلة الشيخ القرضاوي على قناة الجزيرة
وفيها دعا الرئيس مبارك للرحيل
(29 يناير 2011م)

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

(وبعد)

ثلاث كلمات موجَّهة:

لي كلمات ثلاث: كلمة سأوجِّهها للشعب المصري الثائر، وكلمة أوجِّهها إلى الجيش المصري العزيز، والكلمة الثالثة أوجِّهها للنظام المصري الحاكم، على رأسه الرئيس حسني مبارك.

كلمتي للشعب المصري:

أما كلمتي للشعب، فأحيي هذا الشعب الذي قام بانتفاضته المباركة، ثائرًا على الأوضاع الفاسدة، التي صبر عليها كثيرًا وكثيرًا.

بعد أن صبر على الفقر والجوع والبطالة، وهو يرى الكثيرين: يستمتعون بثروات البلد، يسرقون أموالها، وينهبون أراضيها، ويحتكرون احتكارات كبرى.

رأى ذلك بعينيه وهو صابر، ولا بدَّ للصابر يومًا ما أن ينتفض، وأن يقول: لا.

وقد قال الشعب: لا. بهذه المسيرات، وهذه التظاهرات السلميَّة، لقد خرج هذا الشعب من بيوته، ونزل إلى الشارع، ليس معه عِصِي، وليس معه أي شيء، غير المسابح أو المصاحف، وهو يرفض أن يعيش هذه الحياة المهينة.

يريد الكرامة، والحرية، ولقمة العيش، والكسب الحلال، لكنه للأسف قُوبل بما قابله به رجال الأمن من مصادمات، ومن رصاص حيٍّ، إلى آخره.

وقد وجَّهتُ كلمة يوم الجمعة بجريدة الشروق المصرية، وقلتُ لأبناء هذا الشعب: لا تصادموا رجال الأمن، فهم منكم، وأنتم منهم، ولعل كثيرا منهم يشكون مما تشكون منه أو أكثر، ولو أُتيحت لهم الفرصة لانضمُّوا إليكم، فلا تقابلوهم إلا بالحسنى.

ولكن للأسف حدث ما حدث، ورأينا بالأمس عشرات الشهداء يسقطون، وأكثر من ألف جريح، وهذا ما جعل بعضهم يعتدون على أملاك الدولة، وأملاك الأشخاص.

ولكن أريد أن أؤكِّد أن المتظاهرين الحقيقيين الذين قاموا بهذه الانتفاضة لم يشاركوا في السلب والنهب، وأنا أدعوهم وأجدِّد الدعوة إلى ما قُلته بالأمس في جريدة الشروق، أقول: إياكم أن تمتد أيديكم إلى أيِّ مؤسسة من مؤسَّسات الدولة، أو ممتلَك من الممتلكات العامة أو الخاصة، هذا حرام .. حرام .. حرام.

هذا ما أوجِّهه للشعب، وأقول للشعب: استمر في انتفاضتك، استمر في هذه الانتفاضة، فاستمرارك هو الذي سيأتي لك بالحقِّ إن شاء الله.

هذا ما أوجِّهه إلى الشعب المصري العظيم، إلى إخواني وأبنائي وأحفادي من هذا البلد الكريم، أن يستمر في انتفاضته.

كلمتي للجيش المصري:

أما كلمتي إلى الجيش المصري العزيز علينا، والحبيب إلينا، فأدعوه أن يحمي مصر في الفترة القادمة – وهي فترة في غاية الأهمية – لا أدعوه إلى أن يتحمَّل الحكم، فنحن لا نريد أن نعيد الكَرَّة مرَّة أخرى، حكم العسكر، ثم تنتهي إلى حكم المدنيين شبه العساكر إلى آخره، نريد أن يُسلِّم الجيش الحكم إلى مدنيين.

ومَن أراد منهم أن يحكم فليخلع بَزَّته العسكرية، وليدخل فيما دخل فيه الآخرون، من المدنيات، وفق الأصول الشورية والديمقراطية.

ونريد من الجيش أن يقف كما أراه الآن أمامي في الصورة، لا يعتدي على أحد، بل يحافظ على الأمن من بعيد.

كلمتي للنظام المصري:

أما كلمتي إلى النظام المصري، وعلى رأسه حسني مبارك، فإني آسف أشدَّ الأسف أن أرى هذا النظام أعمى لا يبصر، وأراه أصم لا يسمع، وأراه غبيًّا لا يفهم.

منذ حوالي ثمانين سنة قال أمير الشعراء أحمد شوقي، يخاطب الفرعون توت عنخ أمون، حينما اكتُشف قبره، وما فيه من كنوز أذهلت العالم، قال شوقي:

زمان الفرد يا فرعونُ ولى ... ودالت دولة المتجبرينا

وأصبحت الرعاةُ بكل أرضٍ ... على حكم الرعية نازلينا

قال شوقي هذا منذ ثمانين سنة، ولكن فراعنة اليوم لم يفهموا هذا.

كنتُ أودُّ من الرئيس حسني مبارك الذي انتظرنا خطابه طويلا، ثم خرج علينا بخطاب كأنه يعيش في عالم غير عالمنا، لا يحسُّ بما يجري في الشارع المصري، لا يحسُّ بالشهداء الذين سقطوا، لا يحسُّ بالجرحى، لا يحسُّ بالجوعى، لا يحسُّ بآلام هذا الشعب.

وكلُّ ما خرج علينا به أنه سيحلُّ هذه الحكومة، وما فائدة حلِّ الحكومة؟!

لم يقُل شيئًا مما ينبغي أن يقال، لم يقل: إنه لن يترشَّح مرَّة أخرى!

لم يقُل: إنه لن يورِّث الحكم إلى أحد.

لم يقُل: أنه سيحلُّ مجلس الشعب ومجلس الشورى، اللذين قاما على تزوير على أعلى مستويات التزوير، مما لم يعرفه العالم قط!

لم يقُل: إنه سيلغي حكم الطوارئ، الذي حكم مصر، وقهر مصر عشرات السنين. لم يقُل شيئًا من هذا!

وهذا دليل على أن النظام لا يعي ولا يعقل.

ارحل يا مبارك:

لم يتَّعظ مبارك بالماضي القريب، والدرس الذي ما زال حيًّا، درس تونس، لذلك أنصح الرئيس مبارك أن يتخلَّى عن منصبه، وأن يرحل عن مصر.

ليس هناك حلٌّ لهذه المشكلة إلا أن يرحل مبارك، لا أن يخرب مصر. مصر في أيام معدودة خسرت عشرات المليارات، ونزل الجنيه المصري إلى أدنى المستويات، وتعطَّل الاقتصاد المصري، والعمال يُضرِبون عن العمل في مصانعهم.

لا تخربها يا مبارك، وتقعد على تلِّها، ارحل يا مبارك!

ارحم هذا الشعب، يكفيك ثلاثون سنة، كان ينبغي أن تحكم اثنتي عشرة سنة، فحكمت ثلاثين سنة!

إن كان الحكم غُرما، فيكفيك هذا الغرم، وإن كان الحكم غُنما، فحسبك ما غنمتَ!

ارحم هذا الشعب وارحل عنه، حتى لا يزداد خراب مصر.

لقد قُتل في يوم واحد العشرات، من أناس خرجوا يتظاهرون، يطالبون بحقِّهم في العدالة الاجتماعية، في الكرامة الإنسانية، في لقمة العيش الحلال، لكن جنودك قابلوهم بالرصاص الحيِّ في صدورهم!

لم يعد لك بقاء يا مبارك، أنصحك أيها الرئيس: أن تستفيد من درس زين العابدين بن علي، وتخرج على رجليك مختارًا، بدل أن تخرج مُكرهًا. لا أُريد أن تحاكمك الجماهير، أريد أن تُحاكَم بعد ذلك أمام محكمة عادلة، محكمة مدنيَّة، لا كالمحاكم العسكرية التي تُنشئها لمحاكمة خصومك، تحكم عليهم بأحكام ظالمة طاغية، أريدك أن تخرج من مصر، وتترك هذا الشعب يختار لنفسه.

إن للظالم نهاية، وقد حانت النهاية، وهبَّت رياح التغيير، وإذا هبَّت رياح التغيير من الشعب فلا يستطيع أحد أن يوقفها، لن يستطيع أحد أن يوقف التاريخ، أو يناطح المريخ، أو يحارب الأقدار، أو يؤخِّر طلوع النهار.

"إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"[1].

{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود:102].

إن الله يمهل ولا يهمل، ويملي، لكنه وضع لكلِّ شيء حسابًا وأجلا مسمًّى، و**{إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** [نوح:4].

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام:44، 45].

انظر إلى هذا التعليق: قطع دابر الظالمين نعمة تستحقُّ الحمد: **{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**.

أقول هذا باسمي، وباسم أبناء مصر، كلِّ مصر، كلُّهم يُعَبِّرون الآن، ويطلبون منك أن ترحل على رجليك.

أقول هذا باسم علماء الدين في مصر، مئات الآلاف من علماء الأزهر.

وأقول هذا باسم علماء العالم الإسلامي، أضعاف علماء مصر.

أدعوك باسم هؤلاء: أن ترحل وترحم أهلك، إن كان في قلبك ذرة من رحمة أو في رأسك ذرة من تفكير.

---

[1]- متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (4686) ومسلم في البر والصلة (2583)، كما رواه الترمذي في التفسير (3110)، وابن ماجه في الفتن (4018) عن أبي موسى.

بيان الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
بشأن الانتفاضة المباركة في مصر[1]
(30 يناير 2011م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن اتبع هداه.

(وبعد)

يتابع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بكلِّ اهتمام، وبقلق بالغ: الانتفاضة المباركة التي تجري في أرض مصر العزيزة على كلِّ عربي، وكلِّ مسلم، مصر بلد الأزهر، وقبلة الثقافة الإسلامية للأمة الإسلامية في كلِّ مكان.

هذه الانتفاضة المصرية الخالصة الحرَّة المستقلَّة، التي يقودها أبناء الطبقة المتوسطة، الجامعيون المتعلِّمون، الذين ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، بعد أن غرز فيهم وحش غلاء الأسعار أسنانه، وبعد أن طحنتهم مطالب الحياة التي لا ترحم، فالبطون الجائعة لا بدَّ لها من خبز، والأجسام العليلة لا بدَّ لها من دواء، والأسر المشرَّدة لا بدَّ لها من شقق تسكنها، والخريجون لا بدَّ لهم من عمل يعيشون منه.

ناهيك بما يشكو منه وطنهم العريق في حضارته وتاريخه من وهن وتأخُّر في التعليم والصحة والاقتصاد والقوَّة العسكرية، والانسحاب من دوره التاريخي في القضية العربية مع الدولة الصهيونية ... فكادت إسرائيل كيدها لتخرجها من معركة فلسطين أو معركة الأمة العربية والإسلامية، وأصبحت مصر وسيطة بين الطرفين، لا شريكا في الكفاح، وتخبَّطت مصر محليًّا، وضعفت مصر عربيًّا، ووهنت مصر إسلاميًّا، وتأخَّرت مصر دوليًّا، كانت ديون مصر أول ما تسلَّم مبارك الحكم (12) مليارا، فأمست ديونها الخارجية والداخلية (880) مليارا، وغدا (40%) أربعون في المائة من أبناء مصر تحت خطِّ الفقر، وكلُّ ذلك تراه أجيالها الجديدة، وتنكره بقلبها، صابرة على البلاء، مصابرة على البأساء والضرَّاء، وفي كلِّ يوم يزداد فقر الفقراء، ويتضاعف غنى الأغنياء، وفي كلِّ يوم يمرُّ، والمِرجَل يغلي، والنار تشتعل تحته، حتى أوشك للمِرجَل أن يتفجَّر أو يتكسَّر.

[1] – كتبت هذا البيان بقلمي، وتبنيته بنفسي، ولم أشرك معي أخي الأمين العام، كما هو معتاد، ونشر في الصحف القطرية الأربعة، وقناة الجزيرة وموقعها، وغيرها.

كان النظام المصري يسمع شكاوى الناس من كلِّ الطبقات، ولا سيما الطبقات الفقيرة والوسطى، ولكنه سدَّ أذنا من طين، وأذنا من عجين، وتعاون الثالوث المعروف: فرعون وقارون وهامان: فرعون المستكبر بسلطانه، المستخف بقومه، وقارون المغرور بكنوزه ومكاسبه، وهامان الواسطة بينهما، تعاون هذا الثالوث غير المقدَّس على نهب ثروات مصر، والعلو على شعب مصر، لحساب فئة قليلة، ظلَّت تسمن وأبناء مصر يهزلون، وتزداد تخمة وأهل مصر جائعون، ويطلبون الأطعمة لولائمهم وأعراسهم من باريس، وكثير من شعب مصر يئنون من الجوع أنين الملسوع.

كان الشعب يعيش في سجن كبير يحكمه قانون الطوارئ منذ عشرات السنين، لا يملك حرية سياسية حقيقية، فليس له حقٌّ تكوين الأحزاب، ولا حقُّ الاعتراض على تصرُّفات الدولة، وإلا فالمحاكم العسكرية بالمرصاد، وحتى الحرية الدينية مفقودة، فالدولة تسيطر على المساجد والمنابر وخطب الجمعة، ويجب أن تُغلق المساجد بعد الصلاة، ولا تمارس أيَّ نشاط.

والانتخابات تزوَّر علانية، جهارا نهارا، كما تجلَّى ذلك في انتخابات مجلس الشعب والشورى الأخيرة، التي بلغ فيها التزوير المكشوف أعلى المستويات، بعد أن أُبعد القضاء المصري المحترم عن الإشراف على الانتخابات، وبعد التدخُّلات المستمرَّة في قهر القضاء ليخرج عن استقلاله، ويمسي تابعا للحزب الحاكم.

لقد عمَّ البلاء، وضجَّ الناس بالشكوى، وأضحى الأمر كما قال الشاعر:

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة ولكن تفيض الكأس عند امتلائها!

وأخيرا: وبعد صبر طويل من الشعب المصري العريق، على المظالم والفقر والجوع، خرج شباب مصر الأحرار المتعلِّمون، بعد أن رأَوا أرض مصر تُنهب، وثرواتها تُسرق، ومؤسَّساتها تُباع بأرخص الأثمان، يتمُّ ذلك لحساب طواغيت الحكم المصري، وفراعنة الحزب الحاكم، من رجال الأعمال، الذين أُعطوا من الامتيازات والاحتكارات الكبرى، ما يميِّزهم وأقاربهم وأصهارهم عن سائر المصريين، الذين يعانون البؤس والحرمان.

والجيل الثائر الجديد من المصريين من الرجال والنساء، هو جيل من الطبقة المتوسطة من المتعلِّمين، نشأ في عهد الرئيس مبارك، ولم يعرف رئيسا غيره، اتَّفق بعضه مع بعض عن طريق الإنترنت، والفيسبوك والمحمول وغيرها من وسائل التواصل العصرية، على أن

ينزلوا إلى الشارع، معبِّرين عن ذواتهم، ثائرين على أوضاعهم، مطالبين بحقوقهم، من خبز لكلِّ جائع، وعمل لكلِّ عاطل، ومسكن لكلِّ مشرَّد، كما ينشد حقَّه في الحرية والكرامة والعدل، وحقَّ وطنه في التقدُّم والرقي، لم يكن هذا التحرك تابعا لأيِّ حزب أو هيئة، ولم يحرِّكه أيُّ تنظيم سياسي تقليدي في مصر، ومن هنا لا يعرف لهذه الانتفاضة، بل هذه الثورة قيادة معيّنة، بل هي تقود نفسها بنفسها.

ولكن مما يُؤسف له: أن النظام المصري لم يدرك حجم التغيير الذي حدث لهذا الشعب، كيف تغيَّر فكره، وكيف تغيَّر وجدانه، وكيف تغيَّرت عزيمته، فكلُّ ما قابل به التظاهر السلمي المقابلة الأمنية، التي تدرَّجت من عنف خفيف، إلى عنف ثقيل، حتى إنه في يوم جمعة الغضب سقط فيه مائة وخمسون شهيدًا من المتظاهرين، برصاص رجال الأمن، وحوالي أربعة آلاف جريح!

إن بعض الأنظمة للأسف لا تستفيد من الدروس من حولها، فهي عمياء لا ترى، صمَّاء لا تسمع، غبيَّة لا تفهم، وقد قال تعالى: **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}** [ق:37]، وهؤلاء لا قلب لهم، ولا سمع ولا شهود.

إن الحكومة يجب أن تكون في خدمة الشعب، فهي وكيلة عنه، أو أجيرة له، وليست سيدة له، أو مستكبرة عليه، ورحم الله أبا العلاء المعرّي حين قال:

مُلّ المقام فكم أعاشر أمة أمَرتْ بغير صلاحها أمراؤها

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعَدَوْا مصالحها، وهم أجراؤها!

إن مشكلة الحكم في مصر، أنه حكم شعبا لم يعرف حقيقته، وظنَّ أن هذا الشعب سيظلُّ أبد الدهر مستكينا صبورا حليما، ونسَوا أن الحليم قد يغضب، وأن الصبور قد يثور، وقد استثاروا الشعب، وأوقدوا شعلة غضبه، حين رأوا أن الذين ولَّاهم الله مسؤولية رعاية الناس، خانوهم وأضاعوهم، وأكلوا حقوقهم، وأصبح المثل السائر على كلِّ لسان: حاميها حراميها. وتمثَّل الجميع بقول الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب؟!

لقد ضجَّ المجتمع المصري من الفساد الذي انتشر انتشار النار في الهشيم، وانتهب هؤلاء الفسدة المفسدون المسنودون أراضي الدولة، وسرقوا ثروات الأمة، ولم يستطع أحد أن

يحاسبهم، أو حتى يسائلهم، والمصريون يقولون: هل يستطيع أحد أن يقول للغولة: عينك حمراء؟!

وأخيرا طفق هؤلاء يهربون بطائراتهم الخاصة، محملة بالصناديق المملوءة بما خفَّ حمله وغلا ثمنه، من الذهب وغيره، حملتها (19) طائرة خاصة، تحمل كبار رجال الحزب الوطني وسُرَّاق مال الشعب!! هربوا بأموالهم وكنوزهم، وهي أموال الشعب، وتركوا البلد يخرب ولم يبالوا.

مَن المسؤول عن دماء هؤلاء الشهداء، الذين لم يقترفوا جُرما، ولم ينتهكوا حُرمة، ولم يرتكبوا منكرًا؟ المسؤول عن هذا هو النظام الظالم، ممثَّلاً في وزير الداخلية ورجاله، ومباحث أمن الدولة، وقبل هؤلاء جميعا، نقول: إن المسؤول الأول هو رئيس الدولة السيد حسني مبارك، فهو الراعي المسؤول عن رعيته.

ونحن نقف مع الشعب المظلوم ضدَّ ظالمة، وقد شرع القرآن للمظلوم: أن يجهر بالسوء من القول ضد ظالمة، كما قال تعالى: **{لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ}** [النساء: 148]، وهؤلاء الثائرون لم يجهروا بالسوء من القول، وإنما جهروا بالحقِّ من القول.

ونحن نؤيِّد شعب مصر، الذي قدَّم تضحيات كبيرة من قتلى وجرحى في سبيل إصراره على تحقيق مطالبه في الحرية والكرامة والعزَّة، وقد حدَّدها الشعب المصري الكريم في جملة واحدة: أن يرحل مبارك، ونظامه، ورجاله، ويترك الشعب المصري يختار لنفسه مَن يراه.

وليس المراد أن يزول شخص مبارك، ويأتي مكانه شخص آخر من جنسه، ولكن المراد أن يزول هذا النظام بكلِّ رؤوسه ورموزه، وجذوره وفلسفته، ليقوم نظام آخر، له فلسفتة أخرى، يضع دستوره مجلس تأسيسي أو جمعية تأسيسية منتخبة، وقد يُضمُّ إليها مجموعة من حكماء مصر، الذين يأتمنهم الشعب على مستقبل الوطن.

وأن يقوم انتخاب لرئيس الجمهورية انتخابا نزيها شفافا، يشرف عليه القضاء إشرافًا كاملاً، ويكون الباب مفتوحا لكلِّ مصري مستوفٍ للشروط.

وكذلك ينتخب مجلس للشعب ومجلس للشورى.

وتبدأ مصر مرحلة جديدة من البناء وإقامة العدالة الاجتماعية، وحشد قوى الشعب في النهوض بهذا البلد العريق، وتجتمع كلُّ إمكانياته وفاعلياته للخروج من سجن التخلف، إلى باحة التقدم والترقي.

لقد رفض الشعب المصري المجالس النيابية التي تضمُّ رجالا من تجار المخدرات، وتجار الأغذية الملوثة بالإشعاع، وسرَّاق الأراضي.

وعلى العلماء أن يقفوا مع الشعب، فهو لا يجتمع على ضلالة. إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء: أن يبيّنوا الحقَّ للناس ولا يكتموه، ووصف الله العلماء المرضيين عنده بقوله: **{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ}** [الأحزاب:39]، وهذا هو شعار الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

وقد أمر الله المؤمنين أن يتواصوا بالحقِ والصبر، وأن يتعاونوا على البرِّ والتقوى، ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان، وأن ينصر كلٌّ منهم أخاه ظالما أو مظلوما، ومعنى "أن ينصره ظالما"[1]: أن يأخذ فوق يديه، يحجزه عن الظلم فذلك نصره، فـ"المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه"[2]. أي لا يتخلَّى عنه.

ومن هنا ننصح للرئيس حسني مبارك – "والدين النصيحة"[3] – أن يتَّقي الله في دماء المصريين، ولا ضرورة للمزيد من سفكها، وأن يتَّقي في اقتصاد مصر، وقد خسر عشرات المليارات، بل مئاتها، وكلُّ يوم تزداد الخسائر وتتضاعف! ونقول له ناصحين، وإن كنا نعلم أنه لا يحبُّ الناصحين: حسبك ثلاثون سنة أيها الرئيس، فارحل ودَع الشعب يصرِّف أموره بنفسه، ينشئ حكومة إنقاذ مؤقتة، تشرف على انتخاب جمعية تأسيسية جديدة، تضع دستورا جديدا، يتضمَّن كلَّ ما يصبو إليه الشعب من مبادئ وقيم، بعد تجربته الطويلة منذ سنة 1952م.

وعلى أساس هذا الدستور، تجري انتخابات رئاسية وتشريعية، لكلٍ من مجلسي الشعب والشورى.

على أن تقام محاكم مدنية تشكَّل من قضاة عادلين معروفين بنزاهتهم، لمحاكمة كلِّ مَن أجرم في حقِ الشعب، وخصوصا في أيام الانتفاضة والثورة، ولا سيما من رجال الأمن،

---

[1] – إشارة إلى قوله صل الله عليه وسلم: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما"، والحديث: رواه البخاري في المظالم (2443)، وأحمد (13079)، والترمذي في الفتن (2255)، عن أنس.

[2] – متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (2442) ومسلم في البر والصلة (2580)، كما رواه أحمد (5646)، عن ابن عمر.

[3] – إشارة إلى قوله صل الله عليه وسلم: "الدين النصيحة". قالوا: لمَن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم". والحديث رواه مسلم في الإيمان (55)، وأحمد (16940)، وأبو داود في الأدب (4944)، والنسائي في البيعة (4197)، عن تميم الداري.

الذين قتلوا الناس الآمنين، ونهبوا البيوت والمحلات، وأحرقوا السيارات في الشوارع، مع أنهم المسؤولون عن أمن الناس. ومن حقّ كلِّ مَن لديه مظلمة أن يتقدَّم إلى هذه المحاكم.

كما يجب أن يعوَّض كلُّ مَن ظُلِم، أو اتُّهم ظلما، أو أُسيء إليه بأيِّ طريقة من الطرق، ومَن لقي ربَّه، يُعوَّض أهله وذريته.

وما عند الله أوفى، وهو الذي يوفِّي كلَّ نفس بما كسبت، ولا يضيع عنده مثقال ذرة، **{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}** [إبراهيم:42].

ويبين الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين هنا: أن المائة وخمسين قتيلا الذين سقطوا برصاص رجال الأمن أو من يعمل لحسابهم من البلطجية والمجرمين، إنما هم شهداء عند الله؛ لأنهم خرجوا من جوامعهم في صلاة الجمعة، متوضئة أيديهم، طاهرة قلوبهم، محتسبين عند الله ما يصيبهم من أذى، يطلبون حقوقهم وحقوق أمتهم، غير باغين ولا عادين، لا يحملون سلاحا، ولا ينوون ظلما لأحد، فبُغي عليهم بغير حقٍّ، ووُجِّه الرصاص الحي إلى صدورهم، من أناس يفترض أن يحموهم.

فهؤلاء القتلى شهداء، لأنهم مقتولون ظلما وعدوانا، ولأنهم خرجوا من بيوتهم بنية الجهاد، وهم يدخلون في مضمون الحديث الشريف: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله"[1]. وهم شهداء أيضا؛ لأنهم قتلوا دفاعا عن دينهم وأنفسهم وأهليهم وأموالهم.

وفي الحديث الشريف: "مَن قتل دون ماله فهو شهيد"[2] وفي رواية: "ومَن قتل دون أهله فهو شهيد، ومَن قتل دون دينه فهو شهيد، ومَن قتل دون دمه فهو شهيد"[3].

أما قاتلوهم، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وننذرهم بقول الله سبحانه: **{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}**

---

1 – رواه الحاكم في معرفة الصحابة (195/3) وصحح إسناده، وقال الذهبي: الصفار – وهو أحد الرواة – لا يدرى من هو، والخطيب في تاريخ بغداد (53/6)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (374)، عن جابر بن عبد الله.

2 – متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (2480)، ومسلم في الإيمان (141) عن عبد الله بن عمرو.

3 – رواه أحمد (1652) وقال مخرجوه: إسناده قوي، وأبو داود في السنة (4772)، والترمذي في الديات (1421) وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (6445)، عن سعيد بن زيد.

[النساء:93]، وبقول رسوله صلى الله عليه وسلم: "لزوال الدنيا أهون عند الله من دم امرئ مسلم"[1].

وبخاصة أن القاتل هو المسؤول عن حماية أرواح الناس وأموالهم، فكيف يصبح حارس الإنسان قاتله، وحاميه سارقه؟

وآمروهم الكبار شركاؤهم في الإثم، بل هم أكبر جرما، وأعظم إثما، وسينتقم الله منهم في الدنيا والآخرة، **{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ}** [الشعراء:277].

وإنا لنحيي الجيش المصري، الذي هو درع الوطن، والذي تعامل مع المتظاهرين في ميدان التحرير بروح الوطنية الحقَّة، والأخوَّة الخالصة، كما أن الشعب قابل الجيش بالترحيب والتصفيق والمصافحة لجنود الجيش، وإنا لنناشد الجيش وضباطه الوطنيين المخلصين أن يتولَّوا هم حماية الشعب ومطالب ثورته، التي قدَّمت مائة وخمسين شهيدا وأربعة آلاف جريح، والجيش أهل لأن يتحمَّل مسؤولية الحماية المؤقَّتة، حتى يسلِّم الأمانة إلى نظام جديد، ورئاسة جديدة، تأتي نتيجة انتخابات حرَّة نزيهة، بناء على دستور جديد، تضعه جمعية تأسيسية منتخبة.

يا أبناء مصر الأحرار، لقد كانت هذه الانتفاضة أو الثورة الميمونة انتفاضة الشباب، أو الأبناء، وقد قاموا بالعبء الأكبر فيها، والآن نناشد جيل الآباء والشيوخ أن ينضمُّوا إلى أبنائهم، ويقفوا بجوارهم، ليشدُّوا أزرهم، ويسندوا ظهرهم، ويسدِّدوا خطاهم، ويتَّفقوا على المطالب الوطنية العليا، التي لا يختلف فيها اثنان، وهي رحيل هذا النظام الذي فقد شرعيته، ومبرر وجوده.

ندعو الأحزاب والقوى السياسية على اختلاف ألوانها واتجاهاتها، وندعو النخب الفكرية والثقافية على تنوُّع فلسفاتها، وندعو النقابات المهنية على اختلاف تخصُّصاتها، ندعو علماء الأزهر حيثما كانوا، في الجامعة أو المعاهد أو المساجد والأوقاف، أو التربية والتعليم، وندعو المفكرين ورجال الجامعات والأكاديميين، وندعو رجال القضاء والنيابة، وندعو المحامين على اختلاف درجاتهم، وندعو الصحفيين والإعلاميين والفنانين، وندعو الأطباء والمهندسين، وندعو المعلِّمين والموجِّهين، وندعو كلَّ النخب والمثقَّفين، وسائر

[1] – رواه الترمذي في الديات (1395)، والنسائي في تحريم الدم (3987)، والبيهقي في السنن الكبرى في النفقات (22/8). وصححه الألباني في صحيح الجامع (5077)، عن عبد الله بن عمرو.

النقابات، إلى أن يَدَعوا شواغلهم الخاصَّة، وينضمُّوا إلى هؤلاء الشباب الأطهار من أبنائهم، ولتتخلَّ كلٌّ فئة منهم عن طلباتها الخاصة، وأهدافها الخاصة، وتركِّز على طلب واحد، هو الذي يردده شبابهم وأبناؤهم، والمعبِّرون عنهم: أن يذهب النظام ويحل محله نظام جديد، لم تلوث يده بدمهم، ولم يفرض نفسه عليهم، ليبدأ الشعب صفحة جديدة، وحياة جديدة.

إن شعب مصر يكتب تاريخا جديدا، بل هو يصنع تاريخا جديدا، فلنشاركه صنع هذا التاريخ، فهذا يوم له ما بعده، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

ندعوكم جميعا يا رجال مصر، أن تقفوا يدا واحدة، وجبهة واحدة، حتى تحققوا أمل الشعب، فإن الاتحاد قوة، ويد الله مع الجماعة، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، **{إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}** [آل عمران:160].

يوسف القرضاوي

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

بيان من الشيخ القرضاوي إلى الشعب المصري العظيم[1]

(2 فبراير 2011م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

(وبعد)

فإن الحاكم في نظر الشريعة الإسلامية وكيل أو أجير عند الأمة، يعمل لحسابها، وليس مسلَّطا عليها، وهو مسؤول أمام الله، وأمام الناس عن مصالح الأمة المادية والأدبية، كما قال عليه الصلاة والسلام: "كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته"[2].

الإسلام يحمِّل الأمة في مجموعها مجاهدة الحاكم الظالم:

فإذا فرَّط الحاكم أو الإمام، أو انحرف عن أداء الأمانة والحكم بالعدل، فإن الأمة مسؤولة أن تنصح له، وتأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وتردعه عن ظلمه، وتُغيِّر المنكر الذي ظهر في المجتمع بما تقدر عليه، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَن رأى منكم منكرا فليغيِّره بيده، فمَن لم يستطع فبلسانه، فمَن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[3].

وروى مسلم أيضا، عن ابن مسعود مرفوعا: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريُّون وأصحاب، يأخذون بسنَّته، ويتقيَّدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمَن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل"[4]. ومن هنا اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم مقاومة الحاكم الظالم من الشعب بما استطاع: (جهادا) في سبيل الله.

ومن هنا حمَّل الإسلام الأمة في مجموعها مسؤولية تقويم الحاكم، ومجاهدة الظالم؛ ليرتدع عن انحرافه وظلمه، وتغيير ما يمارسه من منكر، باليد أو اللسان أو القلب، حسب

1- نشر في صحف مصر، وفي صحف قطر، وغيرها.

2- متفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (2409)، ومسلم في الإمارة (1829)، عن ابن عمر.

3 - رواه مسلم في الإيمان (49)، وأحمد (11150)، وأبو داود في الصلاة (1140)، عن أبي سعيد الخدري.

4- سبق تخريجه صـ .

قدرته واستطاعته، وإلا نزل عقاب الله تعالى بالأمة كلِّها، الظالم والساكت على الظلم، كما قال تعالى: **{وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً}** [الأنفال:25].

وروى سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الناس إذا رأَوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب من عنده"[1].

ولقد علمنا القرآن أن أعوان الظالم شركاؤه في الإثم، ولهذا جعل القرآن جنود فرعون مع فرعون، يؤثَّمون كما يؤثَّم، ويعاقبون كما يُعاقب، في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: **{إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}** [القصص:8]، **{فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ}** [القصص:40-42].

ولقد ظلم الحاكم في مصر، وطغى على الشعب، وضيَّع حقوقه، وأهدر حرماته، حتى تخرَّج الملايين ولم يجدوا لهم عملا يتعيشون منه، ولا يجد الشاب شقَّة يسكن ويتزوَّج فيها، في حين نرى فئات من الناس نهبوا أرض مصر، وسرقوا ثرواتها، لمجرَّد انتمائهم إلى الحزب الحاكم، أو قرابتهم من الحاكم، أو مصاهرتهم للحاكم، أو اشتغالهم في بلاط الحاكم.

كما زور الحاكم الفرعوني في مصر الانتخابات على كل مستوى: من مجلس الشعب، ومجلس الشورى والمحليات، إلى الانتخابات الرئاسية، وقد شاهد الناس التزوير على المكشوف في الانتخابات الأخيرة على أعلى مستوى.

ومكن جهاز أمن الدولة في مصر من التسلُّط على الشعب، فاختطف الناس من بيوتهم، وعُذِّبوا حتى مات منهم مَن مات تحت التعذيب، وحُوكم المدنيون محاكمة عسكرية، وعُوقب مَن عوقب بلا بينة، وقضوا في سجون الظلمة سنوات طوالا، وبعضهم حوكم أكثر من مرة، وسجنوا أكثر من مرة، وما سرقوا ولا قتلوا، **{وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}** [البروج:8، 9].

[1]- رواه أحمد (1) وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأبو داود في الملاحم (4338)، والترمذي في الفتن (3057) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في الفتن (4005)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1564).

ولقد بلغ من عدوان هذا النظام وعتوِّه: أنه استعان بعتاة البلطجية والمجرمين في إفساد الانتخابات، ومنع الناخبين من الوصول إلى لجان الانتخابات، يضربون الناس بالسكاكين، ولا يبالون بمَن جرحوا أو قتلوا، فظهورهم محمية، كما استخدمهم في تخريب البلاد والممتلكات العامة والخاصة، أيام ثورة الشباب السلمية الرائعة، ثورة 25 يناير، حتى إنه سلط هؤلاء البلطجية المتمرسين بالإجرام على المواطنين المتظاهرين الشرفاء في ميدان التحرير، ليصطدم بعضهم ببعض، ويقتل بعضهم بعضا، وهذا دليل واضح على إفلاس النظام، الذي لا يبالي في سبيل بقائه أن يسفك الشعب بعضه دماء بعض.

إن المظالم والمنكرات والجرائم التي ارتكبها النظام الحاكم في مصر، قد طفح بها الكيل، وانتهت إلى انتفاضة الشعب المصري، التي تحوَّلت إلى ثورة عارمة، ثورة تاريخية لا مثيل لها، تسجَّل مع الثورات الكبرى في تاريخ الشعوب، اشترك فيها أبناء الشعب بكلِّ فئاته وأطيافه: الجماهير والنُّخَب، وأهل الريف والمدن، والرجال والنساء، والمسلمون والمسيحيون.

تشديد الإسلام في الخروج المسلح:

إن الإسلام يشدد في الخروج المسلح على الحاكم، ويشترط له شروطا، وذلك حتى لا يؤدي الخروج بالسلاح إلى فتنة عمياء، تسفك فيها الدماء، ولا يتحرر الناس من الحاكم الظالم.

أما ما دون ذلك من وسائل المقاومة فالإسلام يشرعها، بل يرحب بها، بل يوجبها على مَن يستطيعها، حتى تظل الأمة حية الضمير، قوية العزم، قادرة على أن تقول: لا. بملء فيها. وفي الحديث: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"[1]، "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله"[2].

وسائل عصرية في المقاومة:

ولقد ابتكر عصرنا وسائل سلمية لمقاومة الحكَّام المستبدِّين والمتسلِّطين على شعوبهم، ومنها هذه الوسيلة الفعالة: وسيلة التظاهر السلمي، تقوم به الجماهير بالنزول إلى الشارع، والهتاف بمطالبها المشروعة، دون لجوء إلى أي عنف، وهي وسيلة ضغط معروفة في

---

1 – سبق تخريجه صـ

2 – سبق تخريجه صـ .

العالم كلِّه، وكثيرا ما تؤدِّي إلى سقوط الحكم الدكتاتوري رغم أنفه، دون طلقة نار، ولا سيَّما إذا تكاثر المتظاهرون وتكاتفوا.

ومن هنا ننادي جماهيرنا المؤمنة في مصر: أن تنزل بكثافة إلى الشارع في يوم الجمعة القادم (جمعة الحسم) والمسيرة الملايينية (4 فبراير 2011م)، للانضمام إلى سائر شعب مصر الغاضب، ليشارك في تكثيف الضغط على الرئيس المصري حسني مبارك، الذي فقد شرعيته، حيث ينادي أكثر من (90%) من شعب مصر بسقوطه، وكلَّما كثُر المتظاهرون كان ذلك أولى، لإجبار الرئيس على النزول مُكرَها على حكم الشعب.

النزول إلى الشارع يوم الجمعة واجب شرعا على كل قادر لا عذر له:

ولهذا كان النزول إلى الشارع – وخصوصا يوم الجمعة – للمشاركة في الاحتجاج: واجبا شرعا على كلِّ قادر على الوصول إلى أماكن التجمُّع، وليس له عذر يمنعه؛ لأن هذه وسيلة إلى التخلُّص من الفرعون، دون مزيد من الخسائر في الأرواح، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب.

النداء الأخير إلى الرئيس مبارك:

إننا لا نزال ندعو الرئيس حسني مبارك: أن يَدَع الغرور والكبرياء والمكابرة، ويستجيب لصيحات الشعب، ولا يعرِّض وطنه لمزيد من الاضطراب والخراب، وسفك الدماء: أكثر من (150) شهيدا، وأربعة آلاف جريح، وعدد من المفقودين أو المختفين. ويكفي الرئيس ثلاثون عاما من الحكم والتسلُّط والسلب والنهب، وإذلال الشعب، ولا داعي للألاعيب المكشوفة، مثل تسيير المظاهرات التي نراها تتكوَّن من عشرات الأفراد، أكثرهم من الشرطة السرية والمأجورين، في مقابلة المسيرات المليونية.

الجيش بيده سفينة الإنقاذ:

وإني لأحيي موقف الجيش المصري الباسل النبيل، الذي أثبت حقا أنه درع مصر، وحارسها وفخرها، والذي وقف في هذه المحنة موقفا سيكتبه له التاريخ بمداد من ذهب، مناديا بمبادئ ستة كلها مرضية عند الشعب، منها: أن حرية التعبير السلمي في الاحتجاج حقٌّ لكلِّ مصري، وأنه يتفهَّم مطالب الشعب المشروعة، وأنه لم ولن يستخدم القوة ضدَّ شعب مصر العظيم، وأنه يراقب الموقف حتى يستقر.

ولقد استقرَّ موقف الشعب على المناداة برحيل الرئيس، وأجمعت على ذلك المسيرات الشعبية الحاشدة، التي قدَّرتها بعض الجهات الأجنبية بثمانية ملايين في أنحاء مصر.

وإني لأرى أن الجيش هو الذي يستطيع أن ينقذ الموقف الآن، بتعيين رئيس مؤقَّت هو رئيس المحكمة الدستورية، حيث إن رئيس مجلس الشعب لا يصلح، لإجماع الشعب المصري، على أنه مجلس مزوَّر، على أعلى مستويات التزوير. وعلى الرئيس الجديد أن يكوِّن حكومة إنقاذ مختارة من سائر القوى تمثل اتجاه الأمة الجديد، كما تختار لجنة حكماء تضع مسودة دستور، إلى أن تنتخب جمعية تأسيسية.

نداء إلى علماء الأزهر وعلى رأسهم شيخ الأزهر:

وإني أنادي إخواني وأبنائي من علماء مصر، من خريجي الأزهر ودار العلوم وغيرهم: أن يشاركوا في مسيرات الاحتجاج في كلِّ محافظة بعمائمهم وزيِّهم، ويقودوا المسيرة السلمية، متمسِّكين بالوحدة الوطنية، داعين إلى حماية الكنيسة، من غيِّ الماكرين، الذين قد يلعبون على الفتنة الطائفية.

وإني أنادي كبار العلماء، وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية، على رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وفضيلة مفتي الجمهورية: أن ينضمُّوا إلى الاحتجاجات السلميَّة، حتى لا يعدُّهم الناس ممَّن يسمونهم: علماء السلطة، أو عملاء الشرطة! وليس يجوز في فقه الموازنات الشرعية: أن تجامل فردًا على حساب شعب، لا سيما وهو أقرب إلى الأموات منه إلى الأحياء.

وأنادي إخواني وأبنائي من خطباء المساجد في القاهرة وسائر المحافظات: أن يقودوا المصلِّين بعد الفراغ من صلاة الجمعة إلى أماكن تجمُّع المسيرات الشعبية، تضامنا مع إخوانهم، وشدِّ أزرهم، ويد الله مع الجماعة.

كما أنادي الجماهير العربية والإسلامية وأحرار العالم في كلِّ مكان: أن يُظهروا تضامنهم مع الشعب المصري المظلوم.

إني أحيي الشعب المصري العظيم، على وقفته الباسلة ضد الظلم والطغيان، وثورته المجيدة على علو فرعون وهامان.

وندائي إلى أبناء مصر الأحرار الأطهار، شباب ثورة الخامس والعشرين من يناير: أن يثبتوا في مواقفهم، ولا يبالوا بما يدبِّر لهم النظام من مكايد ومؤامرات، وما يُرسل إليهم من

بلطجية وشرطة سرية، يحملون أسلحة محرَّمة ... ولكنكم يا أبناء مصر قد خرجتم في مسيرتكم لإحدى الحسنيين: أن تعيشوا كرماء، أو تموتوا شهداء.

وسنَّة الله أن العاقبة للمتقين، وأن الهلاك والدمار للظالمين، ولكلِّ امرئ ما اكتسب من الإثم، { **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** } [الشعراء:227].

إن أمتنا اليوم تكتب تاريخا جديدا، بل تصنع تاريخا جديدا، وطوبى لمَن أسهم معها بجهد، وويل لمَن تخلَّف عنها، أو وقف في سبيلها، وإن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟

كلمة الشيخ القرضاوي ودعاؤه لشباب الثورة المصرية
على قناة الجزيرة
(2 فبراير 2011م)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى إخوانه من رسل الله جميعًا.

(وبعد)

ففي الحقيقة أني أتابع هذه المسيرة من يومها الأول، وهذا هو اليوم التاسع، والواقع أني كنت أتابع هذه المسيرة، مسيرة المتظاهرين المحتجين، بكثير من الاعتزاز والفخر، فهؤلاء الشباب الأبطال الشرفاء، كانوا على مستوى من الإيمان والأخلاق والمروءة بحيث لم يرتكبوا شيئا يعاب، وكان كل همهم أن يرفعوا صوتهم، وأن يرفعوا شأن بلدهم، وأن يحتجوا على المظالم التي تمت خلال سنين طويلة، منذ ثلاثين سنة، ربما كانت السنين الأولى منها كانت أقل ظلما، ولكنها ازدادت ثم ازدادت، وكل شيء زاد عن حده، انعكس إلى ضده، فطفح الكيل، وبلغ السيل الزبى كما يقول العرب. فكانت هذه الاحتجاجات.

لم يعتدِ الشباب في هذه المسيرات على أحد، لم يعتدوا فيها على مِلْك عام أو خاص، بل كانوا مثالا حيا للأخلاق الكريمة، لتسعة أيام.

بالأمس كانت هناك مسيرات مليونية، قدَّر بعضهم عدد المتظاهرين في أنحاء الجمهورية بثمانية ملايين، لم يحدث منهم أي شيء، إلى أن رأينا اليوم ما رأينا، رأينا أناسًا من (البلطجية) الذين تستخدمهم وزارة الداخلية المصرية دائما، في إفساد الانتخابات، في الاعتداء على الآمنين، في تخويف الناس، رأينا اليوم وزارة الداخلية، التي تخلت عن الأمن، وأخلت مصر تمامًا بعد يوم الجمعة الماضي، فلم يكن هناك أحد يحرس شيئا. حتى المرور لم يعد موجودا.

واليوم يظهرون في ميدان التحرير، بـ(جمال وحمير وخيول، وعربات كرو) ويحملون السكاكين والأسلحة البيضاء، ويرمون الناس بالمولوتوف من فوق الأسطح، ويستخدمون كل شيء ليقتلوا الناس، أو يصيبوهم بغير حق. ولذلك نقول ما قال الشاعر قديما:

ملكنا فكان العفو منا سجية   فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتمو قتل الأسارى وقبلها   مررنا على الأسرى نمن ونصفح

فحسبكمو هذا التفاوت بيننا فكل إنـاء بالذي فيه ينضح

نضح إناؤهم بكل ما فيه من شر ونجاسة، فعلها مبارك وبدأ يذبح شعبه، إذا كنتَ حقا محبا للشعب كيف تقتله، وكيف تسلط بعضه على بعض؟ كما فعل فرعون موسى، وقال الله عنه: {**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**}[القصص:4].

الرسالة الأولى: إلى الشعب المصري:

ولذلك نحن هنا نتوجه أولا إلى الشعب المصري، أن يتوجه إلى ميدان التحرير بكلِّ ما يسعف الناس، من مواد إسعاف، وتضميد الجراحات، وبكل ما يحتاج الناس إليه من أغذية وأغطية، وأن يذهبوا بكثافة، وأن يذهبوا في مجموعات، حتى لا يصطادهم هؤلاء الناس، ويحاولوا أن يناولوا منهم.

ندعو الجميع أن يؤيدوا إخوانهم هؤلاء فهم منهم، وهم جزء من هذا الشعب. ندعو الشعب المصري كله أن يقفوا مع هؤلاء الشباب الذين يعتبرون فخرا لمصر، والذين ضربوا الأمثلة في التضحية بأنفسهم، وبكل غال لديهم.

أدعو الجميع القضاة، وأدعو المحامين، والصحفيين، والإعلاميين، والأزهريين، وعلماء الدين، أدعوهم أن يقفوا بجوار هؤلاء الشباب، لقد دعوت شيخ الأزهر من أيام، وطلبت منه أن يقف مع الشعب، ولا يقف مع أعداء الشعب، ولكنه – للأسف- صدر منه تصريح اليوم، يدين المظلومين ولا يدين الظالمين، ويقول أن الذي يدعو إلى هذه المظاهرات، ليس في قلبه ذرة من إيمان. ولماذا لا تقول هذا عن الذين يقفون ضد هذه المظاهرات.

كل ما يطلبه أصحاب هذه المظاهرات، أن يتعيشوا من حلال، يطلبون الحرية، يطلبون الكرامة، أهذا ممنوع على الناس؟

نحن ننادي الإخوة العلماء الأزهريين، أن ينزلوا إلى الشارع بعمائمهم، وجببهم، ويقفون مع هذا الشعب، خصوصا يوم الجمعة.

أدعو أئمة المساجد وخطباءها أن ينزلوا مع المصلين إلى الشارع، وأدعو الشعب المصري كله بكل فئاته، أن يقفوا مع هؤلاء الشباب الذين يدافعون على الشعب كله.

وأنا أحيي هؤلاء الشباب الذين رفضوا أن يتركوا أماكنهم، ومواقعهم حتى يحققوا مطالبهم المشروعة، ولو سقطوا شهداء، وقد سقط منهم مائة وخمسون، ولم يسقط شرطي واحد، لأن

هؤلاء الشباب لا يحملون سلاحا، فسقط منهم مائة وخمسون وجرح منهم حوالي أربعة آلاف. وفيهم عشرات مختفين.

أنا أشد على أيديهم، وأقول لهم بارك الله فيكم، استمروا واثبتوا مكانكم، قفوا في أماكنكم إما أن تعيشوا كرماء سعداء أو تموتوا شهداء.

الرسالة الثانية: إلى الجيش المصري:

وكلمتي الثانية أوجهها إلى الجيش المصري، فأقول: عهدنا بالجيش المصري، أنه سند الشعب، وفخر الشعب، وكم سررنا حينما قال المتحدث الرسمي باسم الجيش: إننا نقدر مطالب هذا الشعب، ونتفهمها، ومن حقه أن يعبر عن نفسه، ولم ولن نستخدم القوة ضده. وهذا لا شك موقف رائع وجميل يشكر عليه. ولكن عليه أن يكمِّل هذا فلا يترك أولاد البلد يقتلون، وقد ضبط هو بعض الناس من الشرطة السرية، حتى حجزهم عنده، وكما سمعنا أن بعض المتظاهرين حجز بعض هؤلاء، فهم إما مجموعة من الشرطة السرية، أو مجموعة مستأجرة من البلطجية، أرأيت إنسانا يحمي البلد، بأن يسلط البلطجية القتلة المجرمين، على الشعب؟!

فأنا أنادي الجيش المصري، وأدعوه أن يحمي الشعب، أن يتدخل ليحمي الشعب، ولا يتركهم فريسة لهؤلاء البلطجية والمجرمين.

الرسالة الثالثة: إلى الرئيس مبارك:

وأما الكلمة الثالثة فأوجهها إلى الرئيس مبارك نفسه، وقد وجهت له كلمة منذ أيام، وأنا أكرر ما قلته: حرام عليك يا مبارك، أن تقتل شعبك، إذا كنت راعيا ومسؤولا عن رعيتك، فالواجب أن تحمي الشعب، لا أن تقتله، ولكن هو كما قال الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

يا مبارك، حرام عليك أن تترك الشعب للمجرمين والبلطجية، إن دموع اليتامى الذين فقدوا آباءهم، والثكالى اللائي فقدوا أبناءهن، والأرامل اللائي فقدن أزواجهن، دموع هؤلاء ودعواتهم ستصيبك وأنت في قعر بيتك، سنستعدي عليك سهام القدر، ونستعين عليك بدعاء السحر، وكل أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره، وهذه الدعوات لن تتركك أبدا، والرسول

صلى الله عليه وسلم يقول: "دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين"[1]، ولهذا يقول الشاعر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك، وعين الله لم تنم

لا تسخر من الأدعية، وتقول ماذا فعلت هذه الدعوات، فالشاعر يقول:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربي ويرسلها إذا ذهب القضاء

الرسالة الرابعة: كلمتي إلى الجهات المعنية ومؤسسات العالم:

مذيع الجزيرة: فضيلة الشيخ: هل من رسالة رابعة توجهها إلى المعارضة، التي أيَّد جزء منها اليوم التفاوض مع نائب الرئيس مبارك، والجزء الآخر يعارض ذلك.

الشيخ: قبل هذه الرسالة للمعارضة، أريد أن أرسل رسالة إلى الجهات المعنية، ارسل رسالة إلى الجامعة العربية وعمرو موسى، أرسل رسالة إلى المنظمة الإسلامية؛ منظمة المؤتمر الإسلامي، والدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو، أرسل رسالة إلى الأمم المتحدة وبان كي مون، وأرسل رسالة إلى كل مؤسسات العالم ليتدخلوا ويرفعوا الظلم عن هذا الشعب، ولا يتركوا هذا الشعب فريسة لهذا البغي، ولهذا العدوان.

الرسالة الخامسة: إلى القوى السياسية المصرية:

أما رسالتي إلى القوى السياسية المصرية عامة، فأرسل إليها رسالة ليقفوا صفا واحدا، فلا يجوز أن يختلفوا فيما بينهم، وهؤلاء الشباب يعرضون صدورهم للرصاص، ويعرضون حياتهم للموت، لا يجوز أن يختلفوا، بل يجب عليهم أن يتفقوا على مطالب هذا الشعب، فهؤلاء الشباب هم الحَكَم، والكلُّ ينبغي أن ينزل على رأيهم، أصبحوا هم السادة، بدمائهم وليس بكلامهم، فأنا أرجو من القوى السياسية المختلفة (قوى المعارضة) أن يشد بعضها أزر بعض، ويقفوا موقفا واحدا لحماية هؤلاء الشباب الذي ضحى بنفسه، والذي يصر على أن يستمر في موقفه.

---

[1] – رواه أحمد (9743) وقال مخرجوه: صحيح بطرقه وشواهده، والترمذي في الدعوات (3598) وقال حسن، وابن ماجه في الصيام (1752)، وحسنه ألباني لغيره في التعليقات الحسان (871)، عن أبي هريرة.

أحيي هذا الشباب وأدعو لهم، وأطلب من الأمة كلها أن تدعو لهم، وأطلب من الأئمة في المساجد أن يدعو دعاء القنوت (قنوت النوازل) في ركعاتهم الأخيرة من الصلوات، وخصوصا الصلوات الجهرية. فأدعو الأئمة، وأدعو الناس أن يتوجهوا بدعائهم لأن ينصر الله هذا الشباب، وأن لا يضيع سعيه هباء، وأن لا تضيع هذه الدماء الطاهرة سدى، وأنا اعتقد أن الله سبحانه وتعالى لن يخذلهم، فسنة الله تعالى أنه لا يخذل العاملين الجادين الأطهار البرءاء، بل إن سنة الله أن يخذل أعداءهم، وتكون العاقبة لهم، ربما تتباطأ قليلا، ولكن في النهاية، العاقبة للمتقين، **{فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}**[هود:49]، **{وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}**[طه:132]، **{إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}**[آل عمران:160].

إن الدعاء عندنا سلاح من الأسلحة، الدعاء سلاح المؤمن، والقرآن يقول: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}**[البقرة:186]، ويقول: **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}**[غافر:60]، ويقول: **{وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}**[النساء:32].

فنحن نتعبد لله تعالى بالدعاء، وخصوصا في الشدائد، عند الكربات يلجأ الناس إلى الله، ويقولون: يارب.

ونحن في شدة، الشعب المصري الآن في شدة؛ لأنه يعاني من هذه المكايد والمؤامرات التي تريد أن تفشل عمله، وسعيه خلال هذه المدة، فنحن نتوجه إلى الله بالدعاء، وأنا الآن سأدعو وأرجو من كل من يسمعني أن يؤمِّن على دعائي.

اللهم إنا ندعوك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك.

اللهم كن لأبنائنا في مصر، ولا تكن عليهم، اللهم كن لإخواننا المحتجين على الظلم والعدوان، كن لهم ولا تكن عليهم، أعنهم ولا تعن عليهم، وانصرهم ولا تنصر عليهم، امكر لهم ولا تمكر عليهم، واهدهم ويسر الهدى إليهم، وانصرهم على من بغى عليهم.

اللهم شد أزرهم، واسند ظهرهم، اللهم إنا نسألك أن تمدهم بروح من عندك، وأن تؤيدهم بجند من جندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام.

اللهم كن لهذا الشباب الطاهر المضحي المجاهد في سبيلك، الراغب في رحمتك، الخائف من عذابك.

اللهم إنا نسألك لهم فتحا مبينا، اللهم افتح لهم فتحا مبينا، واهدهم صراطا مستقيما، وانصرهم نصرا عزيزا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

اللهم عليك بالطغاة الظالمين، اللهم عليك بالطواغيت الفراعين، اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم خذهم ومن ناصرهم أو عاونهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم خذهم أخذا عزيزا أليما شديدا، اللهم إنهم طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، فصُب عليهم يارب صوت عذاب، وكن لهم بالمرصاد.

اللهم رد عن المصريين كيدهم، وفل حدهم، اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم سلط عليهم جندك، اللهم سلط عليهم ما يحجزهم عن عبادك المؤمنين، وشبابك الطاهرين الصادقين.

اللهم يا رب العالمين، ويا أمان الخائفين، ويا غوث المستغيثين، ويا جار المستجيرين، خذ بأيدي شبابنا المؤمنين الطاهرين، وخذ واضرب على أيدي هؤلاء الفاسدين المفسدين.

اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر، يارب العالمين،

اللهم يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، اللهم يا حي يا قيوم، برحمتك نستغيث، برحمتك نستغيث، فأغث لهفتنا، واكشف غمتنا، وفرِّج كربتنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك.

اللهم يا من أهلكت ثمود بالطاغية، وأهلكت عادًا بريح صرصر عاتية، خذ هؤلاء الظالمين الفراعين الطاغين أخذة رابية.

{رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الممتحنة:4، 5].

اللهم آمين، وصل على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

مذيع الجزيرة: فضيلة الدكتور العلامة الشيخ يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، هذا دعاء منكم يصل مباشرة، إلى جميع من قادوا

هذا الاحتجاج في مصر في يومه التاسع، وليس بين الأرض والسماء حاجب، شكرًا جزيلا لكم فضيلة الشيخ.

خطبة جمعة الرحيل

خمس رسائل

(4 فبراير 2011م)

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يضلل فلن تجد له وليًّا مُرشدًا، ومَن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خصَّنا بخير كتاب أُنزل، وأكرمنا بخير نبي أُرسل، وأتمَّ علينا النعمة بأعظم منهاج شُرع، منهاج الإسلام، {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**} [المائدة:3]، وجعلنا الله بالإسلام خير أمة أُخرجت للناس، نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونؤمن بالله.

وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومعلِّمنا محمدًا عبد الله ورسوله، أدَّى الأمانة، وبلَّغ الرسالة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده، وتركنا على المحجَّة البيضاء، ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. فمَن يطع الله ورسوله فقد رَشَد، ومَن يعصِ الله ورسوله فلا يضرُّ إلا نفسه، ولا يضرُّ الله شيئًا، فمَن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومَن كفر فإن ربِّي غني كريم.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على هذا الرسول الكريم، ذي الخلق العظيم، وعلى آله وصحابته، وأحينا اللهم على سُنَّته، وأَمِتنا على ملَّته، واحشرنا في زُمرته مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقًا.

(أما بعد)

أمة الإسلام: {**أَزِفَتِ الْآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ**} [النجم:57-58]، زهق الباطل وظهر الحقُّ، {**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**} [الإسراء:81].

أوجِّه في خطبتي هذه عدَّة رسائل:

1. رسالة إلى الأمة الإسلامية.
2. ورسالة إلى شباب مصر، الشباب المؤمن الحر الأصيل.
3. وإلى حكام مصر، فراعنة مصر.

4. وإلى شرطة مصر.

5. وإلى الجيش في مصر.

كلمتي الأولى إلى الأمة الإسلامية:

أما كلمتي إلى الأمة الإسلامية فهي: أن الحاكم في هذه الأمة ليس فرعونًا، الحاكم وكيل عن الأمة، وأجير عندها، كما قال أبو مسلم الخولاني – وهو من أئمة التابعين – عندما دخل على معاوية رضي الله عنه فقال: السلام عليك أيها الأجير. فثار من حوله، وقالوا: قُل أيها الأمير.

فقال: بل أيها الأجير. قالوا: قل أيها الأمير.

قال: بل السلام عليك أيها الأجير. فقال لهم معاوية: دعوا أبا مسلم فهو أعلم بما يقول[1].

الحاكم في الإسلام أجير عند الأمة، هي التي تُوليه، وهي التي تُعطيه أجره، وهي التي تراقبه وتحاسبه، وتعزله إذا استحقَّ العزل، هكذا شأن الحاكم مع الأمة.

حينما وُلِّي أبو بكر رضي الله عنه، أول خليفة في الإسلام، قال للناس كلمات موجزة مضيئة: أيها الناس، إني وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإن رأيتموني على حقٍّ فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدِّدوني، أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإذا عصيتُه فلا طاعة لي عليكم[2]. هكذا كان الخليفة الأول.

وكذلك قال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في خلافته، فعن الشعبي قال : خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال : ألا لا تغالوا في صداق النساء فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال. ثم نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين أكتاب الله تعالى أحق أن يتبع أو قولك؟ قال : بل كتاب الله تعالى، فما ذاك؟ فقالت : نهيتَ الناس آنفا أن يغالوا في صداق النساء، والله تعالى يقول في كتابه: **{وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا}** [النساء:20]. فقال عمر رضى الله

1– رواه حلية الأولياء لأبي نعيم (2/ 125).

2 – ذكره ابن هشام في السيرة (82/6)، وابن كثير في البداية والنهاية (414/9) وصحح إسناده، عن أنس بن مالك.

عنه : كل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثا ثم رجع إلى المنبر فقال للناس : إني كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق النساء ألا فليفعل رجل في ماله ما بدا له[1].

ولما قيل له: اتَّقِ الله، يا أمير المؤمنين في كذا وكذا. أنكر بعض أصحابه على القائل، قال: دعه، لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها.

وحينما وُلِّي الخلافة عمر بن عبد العزيز قال للناس: أيها الناس، إنما أنا واحد منكم، ولكن الله حمَّله الأمانة فأصبح أكثر الناس حملاً[2]. لأنه مسؤول.

"الإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته"[3]. مسؤول أمام الله، مسؤول أمام الشعب، مسؤول أمام ضميره، مسؤول في الدنيا، مسؤول في الآخرة.

هذا هو الحاكم المسلم، ليس الحاكم المسلم جبَّارًا في الأرض، ليس فرعونًا من الفراعين، وإنما هو واحد من الناس، شأنه شأن الرعيَّة، يصلِّي معهم، ويعيش معهم، ويحسُّ بآلامهم، ويفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم. هذا هو الحاكم الذي أراده الإسلام، وهو حاكم يحبُّه الناس ويحبُّونه، إذا كان حاكمًا مسلمًا حقيقيًّا.

روى الإمام مسلم في صحيحه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم"، يعني تدعون لهم ويدعون لكم، هذه الصلة: حبٌّ ودعاء متبادل. "وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم"[4]، هذا هو الحاكم المكروه المبغوض الملعون عند الناس، والملعون عند الله، والملعون عند الملائكة.

هذا ما يريده الإسلام: أن يكون الحاكم حاكمًا عادلاً، يعامل الناس كما يعامل أولاده، يشفق على صغيرهم، ويرعى كبيرهم، ويهتمُّ بمصالحهم.

---

1 – رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار (5059)، والبيهقي في الصداق (233/7) وقال: منقطع، ورواه من طريق آخر عن بكر بن عبد الله المزني عن عمر، وقال عقبه: مرسل جيد، وساقه ابن كثير في تفسيره (244/2–243) بإسناد أبي يعلي ، عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق عن عمر، وقال عقبه: إسناده جيد قوي، وكذلك قال الزيلعي في تخريج الكشاف (297/1–296)، و السخاوي في المقاصد (814)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (522/4–521): رواه أبو يعلى في الكبير وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف وقد وثق.

2 – رواه الدارمي في العلم (447).

3– متفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (2409)، ومسلم في الإمارة (1829)، كما رواه أحمد (4495)، وأبو داود في الخراج (2928)، عن ابن عمر.

4– رواه مسلم في الإمارة (1855)، وأحمد (23981)، وقال مخرجوه: إسناده جيد، رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (3258)، عن عوف بن مالك.

هذه كلمتي أوجهها إلى الأمة؛ لتعلم من هو الحاكم المطلوب الذي يحكم الأمة، وهكذا كانت أمَّتنا حين كان الحكم راشدًا، يدخل الإنسان الحكم ويتحمَّل مسؤوليته، لا يستفيد منه شيئًا.

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي لم يستفيدوا من الحكم شيئًا، بل خرجوا منه خفافًا كفافًا، لا لهم ولا عليهم.

قيل لعمر بن الخطاب: ألا تستخلف ابنك عبد الله؟ وعبد الله بن عمر عالم من علماء الصحابة، ومجاهد من مجاهدي الصحابة، رجل قوي في دين الله وفي طاعته، فقال لهم: بحسب آل الخطاب أن يُسأل منهم واحد.

وقال: والله لوددتُ أن أخرج منها كفافًا لا عليَّ ولا لِي.

هذا هو عمر بن الخطاب، لكنا أصبحنا في زمن يدخل الناس الحكم فقراء، ويخرجون منه أغنياء، لا يؤتمن على أموال الناس، بل يسرقها، أصبح الناس يقولون: حاميها حراميها. الحاكم الذي يُفترض أن يرعى الناس، هو الذي يفترسهم، كما قال الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

هذه كلمتي الأولى.

كلمتي الثانية إلى شباب مصر الأبرار:

أما كلمتي الثانية إلى شباب مصر الأحرار الأطهار الشرفاء، الذين خرجوا من بيوتهم ليقولوا كلمة الحقِّ، وليطالبوا بحقِّهم، وهذا أمر يقرُّه الإسلام، ويقرُّه العالَم كلُّه، تقرُّه منظَّمات حقوق الإنسان، ومواثيق حقوق الإنسان، وأصبح شيئًا معروفا، متداولا لا ينكره أحد. فلا خلاف بين أحد من العالم مسلمًا كان أم يهوديًّا أم نصرانيًّا أم ملحدًا، على الحقوق الإنسانية الطبيعية، من الحرية، والكرامة، والعزَّة، وكفالة العيش الكريم للإنسان.

والإسلام هو الذي قال خليفته: متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمَّهاتهم أحرارًا[1]. هذا هو الإسلام.

أنا قلتُ مرارًا على هذا المنبر وفي برنامج الشريعة والحياة: إن الحرية مُقدَّمة على تطبيق الشريعة الإسلامية، بل الحرية هي جزء أساسي من تطبيق الشريعة الإسلامية، بل

[1] – محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للمبرد، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الطبعة الأولى 2000م، (473/2).

الحرية هي ثمرة حقيقيَّة لتطبيق الشريعة الإسلامية. الناس يقولون: أعطونا حريَّتنا طالما انتهجتم هذه الحرية، أعيدوا لنا حقوقنا.

هؤلاء الشباب خرجوا ينادون بالحرية والكرامة، وأن يكون لهم حقُّهم في عيش كريم، لا يجوز أن يضع بعض الناس أيديهم على بطونهم يشكون من عضَّة الجوع، يئنون أنين الملسوع، وأناس آخرون يضعون أيديهم على بطونهم يشكون من زحمة التخمة، من كثرة ما أكلوا حتى إنهم يريدون المهضمات. كُلْ على قدرك ولا تأكل حقَّ الناس، إنما جاع الفقير لأن الغني أكل حقَّه.

أربعين بالمائة (40%) من أبناء مصر تحت خطِّ الفقر، وهناك آخرون يلعبون بالملايين، ناس لا يجدون الملاليم، وآخرون يلعبون بالملايين، وهذه الملايين كثيرًا ما كسبوها من أموال المجتمع، من أموال الدولة، نهبوا أموال الدولة، وأراضي الدولة، أصحاب مشروع (مدينتي) وغيرها. أخذوا هذه الأراضي بما يشبه المجانية، الناس كانوا ينادون في شوارع القاهرة والمدن المختلفة: (كيلو الطماطم بعشرة جنيه، ومتر مدينتي بنصف جنيه). خمسون قرشًا.

الحزب الوطني الذي كوَّن حكومة من رجال الأعمال نهبوا ثروات البلد، كيف يؤتمن رجال الأعمال على ثروة الوطن، وعلى حُرُمات الوطن، وعلى دماء الوطن، وعلى شباب الوطن، هم لا يحرصون إلا على مصالحهم.

ما الذي حرَّك هؤلاء الشباب ليطلبوا بحقوقهم؟ حرَّكهم إحساسهم بالظلم، والإنسان قد يصبر على الظلم يومًا ويومين، وشهرًا وشهرين، وسنة وسنتين، ولكن بعد ثلاثين سنة لا بدَّ للناس أن يتحرَّكوا، هناك قانون طبيعي في العلوم يقول: شدَّة الضغط تولد الانفجار. وقد اشتدَّ الضغط عليهم، الجوع آذاهم وآلمهم فانفجروا، ولكنهم انفجروا انفجارًا عاقلاً، خرجوا ومعظمهم من الشباب المتعلِّم، ومعظمهم شباب، خرجوا من يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من يناير، في هبَّة شعبية لم يحرّكها أحد، لا من الداخل ولا من الخارج. الآن يقولون هناك محرّكات خارجية، ومحرِّكات داخلية، والإخوان المسلمون.

إن كلمة الإخوان المسلمين – أيها الإخوة – إنما يقصدون بها تخويف الناس في الغرب، في أمريكا وأوروبا، (البُعْبع) الإسلامي، التيار الإسلامي، الإخوان المسلمين، وأنا أقول: الإخوان المسلمون موجودون كفئة من الشعب، ربما لا يزيدون عن عشرة بالمائة. أما

هؤلاء الشباب فمن كلِّ الفئات، وبعضهم غير مُسيَّسين إطلاقًا، لا ينتسبون إلى حزب من الأحزاب، ولا إلى هيئة من الهيئات.

أبناء مصر خرجوا ثائرين ثورة شعبية حقيقية، ما رأيتُ أعظم منها، ولا أطهر منها، ولا أشرف من هذه الثورة، خرجوا يطالبون بحقوقهم، ليس معهم سكين، ولا مِطواة، ولا قنبلة، ولا مسدس، ولا أي شيء، إلا مَن كان يحمل سبحة في يده، أو مصحفًا يتلو فيه.

خرج هؤلاء الشباب البرآء الشرفاء يطالبون بحقِّهم، ولكنهم للأسف ضُربوا وقمعوا.

كنتُ في مصر في ذلك الوقت، وكنتُ راجعًا من اجتماع في الأزهر الشريف، فكلَّما جئنا إلى مكان نجد الأمن المركزي قد أغلق الطريق، نرجع وندور ونذهب إلى طريق آخر، فنجد الأمن المركزي قد أغلق الطريق، ظللنا أكثر من ساعة نلف وندور، حتى رجعنا إلى الفندق، لماذا، لماذا لا تتركون هذا الشباب يعبِّرون عن أنفسهم؟ هم لا يسيئون إلى أحد، يقولون: أعطونا حقَّنا. ولما قُمعوا نادوا إخوانهم أن يؤيِّدوهم، فزاد عددهم أكثر فأكثر.

ثم ازداد قمعهم، وسقط منهم مَن سقط من الشهداء، فنادوا الأمة، وطبيعة الحال أن تحسَّ الأمة بأبنائها، وما يجري عليهم، فانضمَّ إليهم الكثيرون، انضمَّ إليهم جيل الآباء، من العلماء والقضاة والمحامين والصحفيين والأطباء والمهندسين والمعلِّمين والفنانين وغير هؤلاء، انضمَّ الكثيرون إليهم، وهذا طبيعي. ولكن الحكام الذين طمس على بصائرهم، قالوا: الإخوان دخلوا؛ بدليل أنهم أصبحوا يصلُّون جماعات. كأن الشعب المصري لا يعرف الصلاة، ولا الجماعة، والإخوان فقط هم الذين يصلُّون!!

الشعب المصري ثمانون بالمائة (80%) أو أكثر يؤدُّون الصلاة، فإذا كانوا في ميدان يؤدُّونها فيه، يصلُّون في جماعة، ولكن منذ رأَوا أول جماعة تصلِّي سلَّطوا عليها خراطيم المياه، عندما سجدوا لله، عندما سجد الناس لله سلَّطوا عليهم الخراطيم، هؤلاء لا يعرفون الله، لا يعرفون الآخرة، لا يعرفون حُرمة لأحد.

وجزى الله قناة الجزيرة خيرًا، أنها تقوم برسالة عظيمة، فهي التي توعِّي الناس، هؤلاء الناس لا يعقلون، عتَّموا على الشعب المصري، التلفزيون المصري يبث صورا وأخبارا كأن الأمور عادية ولا شيء يحدث في العالم، الجزيرة قامت بمهمَّتها في أداء الأمانة، أدَّت الأمانة، وعرَّفت الناس بالحقائق، فأغلقوها وسحبوا ترخيص مراسيلها، ولكنها لا تزال تؤدِّي رسالتها.

في يوم الجمعة الماضي كان هناك غليان، وتجمع الملايين من الناس، ولكنهم للأسف عاملوهم بمنتهى القسوة، سقط شهداء من المتظاهرين المسالمين، وقُدِّروا بمائة وخمسين شهيدًا، وحوالي أربعمائة جريح، من النساء والأطفال والرجال، فلم يكن أمام هؤلاء الشباب إلا أن يقرِّروا ثلاثاء الغضب.

وكان هذا الثلاثاء الذي خرج فيه حسب تقدير وكالة الأنباء الألمانية – على ما أظن – ثمانية ملايين في أنحاء مصر، خرجوا يحتجُّون على ما حدث في يوم الجمعة الماضي، حدث يوم الجمعة أن وزارة الداخلية سحبت كلَّ رجالها من مصر، وأصبحت مصر بقية هذا اليوم ويوم السبت وما بعده، أصبحت بلا شرطة، حتى شرطة المرور، وتركوا الأمن للناس، وأطلقوا البلطجية، وأخرجوا ناسًا من السجون، رجال الأمن هم الذين أخرجوا المجرمين من السجون؛ ليظهروا أن هؤلاء هم الذين تسبَّبوا في الفوضى، وهم الذين فعلوها.

ولكن هذا الشباب – شباب مصر الرائع – أقام اللجان الشعبية ليحرس البلد؛ لأنهم سرَّحوا رجال الشرطة، وبدءوا يحرقون السيارات في الشوارع، وينهبون المنازل، ويسرقون المحلات، ويرتكبون من الجرائم والخطايا ما لا يعلمه إلا الله، ولم يحقَّق في ذلك بعد. هؤلاء الشباب أصبحوا حرَّاس مصر، خصوصًا المنشآت الحساسة، (المتحف المصري) الذي فيه آثار لا تقدر بأثمان، لا بالمليارات ولا بالتريليونات، هؤلاء أرادوا أن ينهبوه، أو أن يتركوه للنهب.

هؤلاء الشباب هم الذين حرسوا المتحف، وحرسوا مصر من كلِّ شرٍّ، ومن كلِّ أذى، هؤلاء الشباب أحيِّيهم، وأدعو لهم نهاري وليلي، وأسألكم أن تدْعوا لهم – أيها الإخوة – في صلواتكم وخلواتكم وأسحاركم، ادعوا لهؤلاء الشباب أن ينتصروا، فانتصارهم انتصار للحقِّ، وانتصار للعدل، وانتصار للخير.

أوجِّه رسالتي الثانية إليهم: أن يثبتوا، وألا يفرُّوا من الميدان، الله قدَّر عليهم هذه المسئولية: أن يدافعوا عن مصر، وأن يذودوا عن حماها، وأن يطالبوا بحقِّ الجياع والمهضومين المظلومين.

اثبتوا أيها الشباب، لا تستمعوا إلى المثبِّطين، ولا أولئك الخانعين الضائعين، لا تستمعوا إلى هؤلاء، للأسف وجدنا مَن يثبِّط الشباب، وبعضهم يرتدي زيَّ العلماء، لا تسمعوا لهؤلاء العلماء، فكثير منهم إما ملبَّس عليه، التبس عليهم الحقُّ بالباطل، ولم يرَوا الأمر على

حقيقته، ولعل الله ينير بصائرهم، وكثير منهم ممَّن يسمِّيهم الناس علماء السلطة وعملاء الشرطة، هم لا يعملون للدين، دائمًا يعملون للدنيا.

اثبتوا أيها الشباب، إنكم تقومون بفرض كفاية عن أمة مصر، وعن شعب مصر، شعب مصر لا بد أن يكون فيه مَن يتحرَّك لإحقاق الحقِ وإبطال الباطل، أنتم الذين قمتم بهذا الأمر نيابة عن شعب مصر، وانضمَّ الشعب إليكم.

أنا أرى أن الشعب المصري هو مع هؤلاء الـ (8) مليون، هؤلاء يمثِّلون ثمانون مليونًا؛ لأن وراءهم أناس، الذي خرج وترك أباه في البيت وأمه وأولاده الصغار، كم مع كل واحد من هؤلاء، أناس كثيرون معهم بقلوبهم، ولكن لا يستطيعون الخروج، ما عندهم هذه القدرة، كما قال شوقي في رواية مجنون ليلى:

أحب الحسين ولكنما لساني عليه وقلبي معه

إذا الفتنة اضطربت في البلاد ورمت النجاة فكن إمّعة

هناك أناس من هذه الإمَّعات، لا يحبُّون النظام ولا يؤيِّدونه، ولكن يخاف على نفسه، يخاف من خياله، فهؤلاء هم ضدَّ هذه المظالم.

أوصي الشباب أن يثبت، وأوصي بقية الشعب أن يؤيِّد أولئك الشباب. أنا ناديت أبناء مصر في بيان لي: على كلِّ قادر على الخروج يجب أن يخرج، يخرج لتقوية الشباب الفضلاء الأطهار، يخرج لمقاومة الظلم، كلُّ قادر ليس له عذر يجب أن ينضمَّ إلى هؤلاء الشباب، إنه بذلك ينصر الحقَّ ويخذل الباطل.

الإسلام يفرض مجاهدة الظالمين، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "مَن رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[1]. هؤلاء الشباب يغيِّرون باللسان، يهتفون، لا يمدُّون أيديهم إلى أحد بأذىً أو بسوء.

في حديث مسلم، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من نبيٍّ قبلي، إلا كان له من أمَّته حواريُّون وأصحاب، يأخذون بسُنَّته ويقتدون بأمره، ثم إنه تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمَن

1 – سبق تخريجه.

جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل"[1].

الجهاد باليد لمَن قدر عليه، ومَن يقدر على الجهاد باليد الآن إلا القوات المسلحة المصرية، "ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن"، وهذا ما يفعله الشباب، يهتفون بلسانهم فقط، يطالبون بحقوقهم.

ثم أدنى شيء الذي يغيِّر ويجاهد بقلبه، ومعنى الجهاد بالقلب أن يكره الظلم، ويكره أهله، ويتمنَّى زوالهم، ويدعو الله أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. وليس معناه أن يكون سلبيًّا بالكليَّة، لا، وإلا ما سمَّاه تغييرًا بالقلب وجهادًا بالقلب، أن يكون عندك شحنة نفسيَّة وفعالية ضدَّ الظلم والباطل، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر"[2]. أفضل الجهاد، لماذا؟ لأنك إذا جاهدت الفساد في الداخل، تُغلق الباب على الاستعمار أو الاحتلال أو الغزو من الخارج.

"سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ثم رجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله"[3]. لا بدَّ من تضحيات، ولكن هذا الشهيد منزلته بجوار حمزة بن عبد المطلب.

ناديتُ أبناء مصر أن يخرجوا ليقودوا هؤلاء، فإنهم إذا كثُر عددهم كان الضغط على النظام الحاكم أكثر فسلَّم، إنه نظام يركب رأسه، نظام عنيد عتيد، فكلما كان الضغط عليه أكثر سَلَّمَ بخسائر أقل، وإلا فلا يعلم إلا الله مدى الخسائر والأرواح التي سيضحِّي بها الشعب المصري، ولا يبالي حُكَّامه بما يضيع من مصالح، وما يقتل من الناس، وما يسفك من دماء، وما يزهق من أرواح. أنا وليخرب العالم، وأنا وبعدي الطوفان.

أنادي هؤلاء الشباب: أن يثبتوا.

أنادي شعب مصر: أن يقفوا بجوارهم.

وأنادي هؤلاء الشباب: أن يحذروا ممَّن يندسون في صفوفهم، هناك أناس يندسُّون وسط هؤلاء الشباب، ليرتكبوا جرائم تنسب إلى هؤلاء الشباب، والشباب واعون، ولكن أريد أن يزدادوا يقظة وحذرًا، فلا يسمحون لأحد أن يهتف هتافات غير مقبولة لا يريدونها هم.

---

1 – سبق تخريجه.

2 – سبق تخريجه.

3 – سبق تخريجه.

هؤلاء الشباب شباب مهذبون، شباب تربَّوا تربية إيمانية في معظمهم، وإن كان أكثرهم عاديين، لكن الشباب العادي في مصر مؤمنون، علَّمهم دينهم، فينبغي ألا يسمحوا بأيِّ هتاف خارج عما يريدونه، أو يرتكبوا أشياء كأن يرمي أحدهم حجرًا، أو غيره.

أنا أنصح هؤلاء الشباب: أن يكونوا على غاية من الحذر، من اندساس هؤلاء الذين هم أُجَراء الحكومة، وأُجَراء رجال الأمن، أو هم من رجال الأمن أنفسهم، يلبسون لباسًا مدنيًّا.

فهذه كلمتي إلى هذا الشباب، وأدعو الله لهم أن ينصرهم، وأن يردَّ كيد الكائدين في نحورهم، ويعيد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، وأنا واثق بأن الله ناصرهم؛ لأن من سنن الله عزَّ وجلَّ أن ينصر الحقَّ، ولكن بعد تضحيات، وبعد أن يبتلى الناس، **{ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ}** [محمد:4].

كلمتي الثالثة إلى رجال الشرطة:

وكلمة أوجِّهها لرجال الشرطة، لرجال الأمن الذين ارتكبوا ما ارتكبوا، أقول: إنهم مهما فعلوا هم مصريون، وهم مسلمون، أو حتى مسيحيون أصحاب دين، لا ينبغي أن يستجيبوا لأمر آمر يأمرهم بقتل الناس. لا يجوز أن يقتلوا إخوانهم المصريين مثلهم، بعضهم يقول: أنا عبد المأمور. لا أنت عبدٌ مأمورٌ لله، الله الذي يأمرك وأنت تطيعه. أما أن يأمرك إنسان مثلك أن تقتل شخصًا بريئًا، وأنت تعلم أنه بريء، ولم يقتل إنسانًا، ولم يرتكب جريمة، تقتله! توجِّه إليه الرصاص الحيَّ إلى صدره، لأن أحد الضباط قال لك: اقتل. لا، قل له: لا، أنا لا أقتل.

إن قتل المؤمن جريمة لا تقبل السماح، "لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دما حراما"[1]. تضيق عليه الدنيا بما رحُبت، **{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}**[النساء:93]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل امرئ مسلم بغير حقٍّ"[2]. بل غير المسلم: "مَن قتل معاهدًا لم يَرَح رائحة الجنة – لو قتله بغير حقٍّ لم يَرَح رائحة الجنة – وإن

---

[1] – رواه البخاري في الديات (6862)، وأحمد (5681)، والحاكم في الحدود (351/4) ، عن ابن عمر.

[2] – سبق تخريجه.

ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"[1]، **{مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}** [المائدة:32].

إن الإسلام لا يسمح بقتل هِرَّة بغير حقٍّ، علَّمنا النبي صلى الله أن امرأة دخلت النار – فُتحت لها أبواب جهنم – من أجل هِرَّة حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض[2].

فما بالك بالإنسان المكرَّم الذي استخلفه الله في الأرض، أقول لهؤلاء الشرطة: لن ينفعكم ضبَّاطكم، ولن ينفعكم حكَّامكم يوم القيامة، يوم تجدون جهنم مفتوحة لكم، لا يجوز لإنسان أن يقتل إنسانًا بأمر إنسان، إلا إذا حكم القضاء بقتله، لا يملك ضابط أن يقول: اضرب النار في الناس. هو ليس إلهًا يصدر أمره للخلق، فيأتمرون به.

فأنا أحذِّر هؤلاء الشرطة، أحذِّرهم أن يقتلوا إخوانهم، أو يؤذوا إخوانهم، وأحذِّر البلطجية والمستأجَرين، الذين استخدمهم هذا النظام ليفعلوا ما فعلوا في ميدان التحرير، من أجل جنيهات، بعضهم خمسين جنيها، وبعضهم مائة جنيه، والآخر مائتين، وبعضهم خمسمائة، على حسب ما يؤدِّي صاحب الجمل والخيل يأخذ خمسمائة، والآخر مائتين، ويذهب ليقتل البرآء.

ولما قبض الشباب على بعض هؤلاء الناس، وسألوا بعضهم لماذا تقتلوننا، ونحن ما خرجنا إلا من أجلكم؟! نحن ما خرجنا إلا من أجل إنصاف المظلومين، ليس لنا أي شيء في هذا الأمر إلا أننا ندافع عن شعبنا، ونطالب بحقِّنا، فلماذا تقتلنا؟ ولماذا تضربنا بالمولوتوف؟ لماذا تقتلوننا من فوق سطوح الفنادق والعمارات؟!

بكى هؤلاء الشباب وقالوا: والله ما كنا نعرفكم، قالوا لنا: إن هؤلاء مجرمون يريدون تخريب البلد، فصدَّقناهم ففعلنا ما فعلنا.

أنا أنادي هؤلاء الشباب المغرَّر بهم، والمخدوعين: أن ينتبهوا ويعلموا أنهم إنما يقتلون أهلهم وإخوانهم.

---

[1] – رواه البخاري في الجزية (3166)، وابن ماجه في الديات (2686)، وابن أبي شيبة (28526) ، كلاهما في الديات، والبيهقي في السنن الكبرى في الجزية (19202)، عن عبد الله بن عمرو.

[2] – متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (2365)، ومسلم في السلام (2242)، كما رواه الدارمي في الرقاق (2814) ، عن ابن عمر.

يا شباب، يا شرطة، يا مستأجرون: حرام عليكم أن تقتلوا أبناء بلدكم، أن تقتلوا هؤلاء الأطهار الشرفاء، الذين خرجوا من بيوتهم، وصار لهم عشرة أيام يبيتون في الميدان، في البرد الشديد، أحيانًا لا يجدون طعامًا، ويصاب مَن يصاب منهم، ولا يجدون دواء، والمسؤولون يمنعون الإسعاف أن يصل إليهم، بل يصادرون مواد الإسعاف الأوليَّة.

أنادي هؤلاء الشباب، وإن كانوا من البلطجية، ومن المستأجرين، هم مصريون، هم أناس لهم قلوب، ولهم عقول، أناديهم ولا أيأس منهم.

كلمتي الرابعة إلى حكام مصر:

والكلمة الأخيرة، أنادي أخيرًا حكَّام مصر، أقول لهم: يا حكَّام مصر، أما آن لكم أن تفهموا؟! فمن عادة الأنظمة المستبدَّة أنها ليس لها عقل يفهم، ولا قلب يرحم، هذه الأنظمة صمَّاء لا تسمع، عمياء لا ترى، غبيَّة لا تفهم، بليدة لا تحس، **{لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا}**[الأعراف:179]. عطَّلوا أجهزة المعرفة عندهم، فلم يعودوا يعون شيئًا، لا يخشون خالقًا ولا يرحمون مخلوقًا، هؤلاء لا يفهمون منطق الإسلام الذي يقوم على الشورى، والذي يريد للحاكم أن يكون محبوبًا عند الناس؟ يدعو لهم ويدعون له، والواجب إذا أحس الحاكم أن الناس يكرهونه أن يرحل، فالدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولا يتسبب في قتل إنسان واحد، ليس مئات الناس وآلاف الجرحى، هؤلاء لا يفهمون منطق الإسلام.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شِبرًا – يعني لا يقبل الله عملاً صالحًا لهم، أول هؤلاء الثلاثة – رجل أمَّ قومًا وهم له كارهون ..."[1]. صلَّى بالناس والناس يكرهون أن يصلُّوا وراءه، دعهم يختارون غيرك، فكيف بالأمانة الكبرى، أن يقود الناس وهم له كارهون.

إنهم لا يفهمون منطق الشرع، ولا منطق العصر، العصر يقول كما قال شوقي حينما اكتُشف قبر توت عنخ آمون، وكان فيه كنوز أذهلت العالم، أنشأ شوقي قصيدة معروفة قال فيها يخاطب الفرعون:

زمان الفرد يا فرعونُ ولَّى ودالت دولة المتجبرينا

---

[1] – رواه ابن ماجه (971) ، وابن حبان (1757) ، كلاهما في الصلاة، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (1128) ، عن ابن عباس.

وأصبحتِ الرُّعاة بكل أرضٍ على حكم الرعية نازلينا

هذا ما قاله شوقي قبل ما يقرب من ثمانين سنة، زمان الفرد انتهى، ولكن هؤلاء لا يعرفون منطق العصر، ولا منطق الشرع، أرادوا أن يستمرُّوا رغم أنف الشعب، لو كان حسني مبارك أبًا للشعب كما يقول، ما رضي أن يقتل أولاده، ما رضي أن يبقى وملايين منهم يقولون له: لا. لو أقل من ذلك يكفي لأن يخرج ولا يتسبب في أذى أحد. لقد خرج ثمانية ملايين يوم الثلاثاء الماضي يقولون: لا.

هذه الثورة تطوَّرت فقد كانت انتفاضة يوم خمس وعشرين يناير، ثم أصبحت ثورة دخلها الشعب المصري كله. كانوا ينادون أول الأمر بالعيش الكريم والعزَّة والكرامة والحرية، ولما قُتل منهم مَن قُتل أصبحوا يقولون: لا حلَّ إلا رحيل مبارك. ما دام هذا الرجل باقيًا فلن تستقرَّ مصر أبدًا، إذا كان مبارك أبًا فليرحم الأب أولاده ويرحل، ألا يتعلَّم من الدرس القريب، ألا يتعلَّم من درس تونس، ألا يتعلَّم من زين العابدين بن علي.

كان زين العابدين بن علي أعقل منه، وأذكى منه، حينما رأى الأمر ذهب بنفسه، وهو رجل عسكريٌّ مثله، كان متمكِّنًا أكثر منه، ولكنه كان أعقل من مبارك، لماذا لا ترحل يا مبارك، والناس يقولون: نريد الرحيل. واليوم يسمُّون هذه الجمعة جمعة الرحيل، إن كان عندك ذرَّة من رحمة في قلبك، أو ذرَّة من عقل في رأسك ارحل وارحم البلد. أنت مسؤول عن القتلى الذين قتلوا من أول يوم إلى آخر يوم، بالأمس وأول أمس قُتل عشرة بيد القناصة، وجرح ألفا وخمسمائة أو أكثر، ولا ندري ماذا يحدث اليوم، ألستَ مسؤولاً يا مبارك، عن هذه الدماء التي سالت؟

إن عثمان بن عفان كان الثائرون حول داره يهدِّدونه بالقتل، وذهب عدد من الصحابة يطلبون منه أن يدافعوا عنه، فقال لهم: إذا كان لي طاعة عليكم لا تمسُّوا أحدًا، دعوني ودعوهم، أنا وشأني. وأصرَّ على ذلك حتى قُتل شهيدًا، وقال: أريد أن لا يسفك قطرة دم بسببي[1]. فهذا هو الحاكم الأب فعلاً.

إذا كنتَ أبًا فلا تكون سببًا في مزيد من القتلى والشهداء والمجروحين.

1 – رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (1208/4)، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: كنت مع عثمان رضي الله عنه وهو محصور في الدار , فقال: «أعزم على من كان لنا عليه سمع وطاعة لما كف يده وسلاحه، فإن أعظمكم عندي غناء اليوم من كف يده وسلاحه».

مبارك هو المسئول عن كلِّ ما جرى، الذي جرى أمس وأول أمس شيء لا يُصدَّق، رئيس الوزراء نفسه قال: هذا شيء لا يصدق. وسمَّاها مهزلة، وسمَّاها مأساة. الذين جاءوا إلى ميدان التحرير من عند الهرم أو نَزْلة السمَّان، ثمانية عشر كيلو أو أكثر جاءوا يركبون الجمال والخيول، ومعهم أسلحة بيضاء ومطاوي وسكاكين وزجاجات مولوتوف وكرات ناريَّة، دخلوا على هؤلاء الشباب الذي ظلَّ تسعة أيام، لم يُصَب أحد لا من الشرطة ولا غيرهم، الشهداء كلُّهم من الشباب المتظاهرين، الشرطة لم يصبهم شيء؛ لأن الشباب لم يُطلق رصاصة، لم يرمِ حجرًا، حتى جاء هؤلاء البلطجية كما يسمُّونهم، الذين يستأجرهم الأمن، أمن الدولة ووزارة الداخلية، يستأجرونهم في إفساد الانتخابات، ومنع المرشَّحين، ومنع المنتخبين أن يصلوا إلى الصناديق، تصوَّروا حاكما يستعين بالبلطجية ليقتل شعبه، أيُّ حكم هذا؟ أيوجد حكم يستعين بالمجرمين؟ كما قال سيدنا موسى: {**رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ**}[القصص:17]. هؤلاء يظاهرون المجرمين، ويستظهرون بهم، ويستعينون بهم.

هذا النظام هو المسئول عن هذا، رئيس الوزراء يقول: لا أدري كيف حدث هذا، ولا أعرف كيف جاءوا، ومن المسئول. لا بد أن يُحاكموا، الحكومة هي المسئولة، ومبارك هو المسئول، وأقول كما قال الشاعر:

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة ... أو كنت تدري فالمصيبة أعظمُ

أنتم المسئولون، وأنتم الذين صنعتم هؤلاء المجرمين، وأنتم الذين تقبِّضونهم في أيديهم الفلوس.

أنا أدعو حسني مبارك أن يختم حياته بالرحيل، ليكون الرئيس السابق بدلاً من أن يكون الرئيس المخلوع، استعمل العقل يا مبارك، الناس لهم عقول يفكِّرون بها، ويفقهون بها، ليس من الحكمة أن تعرِّض الشعب إلى الخطر من أجل بقاءك، وبقاؤك ستة أشهر، أو سبعة أشهر، تعرَّض البلد لهذا الخراب وهذا الدمار، وهذا القتل من أجل سبعة أشهر، يا أخي استرح، ألم يكفك ثلاثون سنة؟! إن كان الحكم غُرمًا فيكفيك غرمًا، وإن كان غُنمًا فيكفيك غنمًا، ثلاثون سنة، استرح، حرام عليك يا مبارك، حرام عليك وأنت فوق الثمانين، اثنتين وثمانون سنة، حرام عليك، كفاية كما قال الشعب منذ سنين، كحركة كفاية، كفاية خلاص، فأنا أنادي مبارك وأنادي نظامه بالرحيل.

كلمتي الخامسة إلى الجيش المصري:

وأنادي أخيرًا الجيش المصري، الجيش المصري الذي هو درع مصر وفخرها، والمدافع عن حِماها، والذي دخل من أجلها عدَّة حروب للدفاع عن مصر وللدفاع عن فلسطين من سنة (1948م)، دخل الجيش المصري في عهد فاروق ليدافع عن فلسطين، قالوا: الأسلحة الفاسدة وكذا ... وكذا ... وإنما دخل الجيش المصري وقاتل في بعض المعارك، وكاد يكسب بعض المعارك، وأُسر منهم من أُسر من ضبَّاطه وجنوده، فنحن نفخر بالجيش المصري ونعتزُّ به، وأرى أن سفينة الإنقاذ بيده.

لقد رأى الجيش ما رأى، وشهد لهؤلاء الشباب أنهم كانوا مثالا للانضباط – باللغة العسكرية – ومثالا للأخلاق، ومثالا للاعتزاز بالوطن، والحبُّ له، والدفاع عنه، ولكنه بالأمس وأول أمس ترك هؤلاء البلطجية يقتلون الشباب، ويوجِّهون إليهم الحجارة والملوتوف والكرات النارية والرصاص، فقُتل عشرات، وجُرح أكثر من ألف وخمسمائة، وبعضهم جراحه خطيرة، الذي ذهبت عينه، والذي انكسرت رجله، والذي أُصيب في قلبه، وأصيب في رأسه، وبعضهم يكاد يموت، أي يعتبر في عداد الموتى.

أنا أطلب من جيش مصر الباسل الجيش الشريف، الذي دخل المعارك وراء المعارك من أجل مصر، أريد من هذا الجيش: أن يفضَّ هذا الاشتباك ويتحمَّل المسئولية، ويعيِّن رئيس المحكمة الدستورية، فلم يعُد يكفي أن يُعيَّن نائب الرئيس؛ لأن نائب الرئيس هو من الرئيس، بل هو الرئيس عينه، والشعب رافض هذا النظام، ونحن نرفض هذا النظام، ونحرص على الدولة، هناك فرق بين الدولة والنظام، النظام يذهب والدولة باقية، والجيش هو من أول مؤسَّسات الدولة، وهو الذي ينبغي أن يحمي مصر عند اللزوم والضرورة.

أنا لا أقول للجيش: تحمَّل مسئولية الحكم. لا، لا أريد أن يحكمنا الجيش مرَّة أخرى، ولكن أريد أن يظلَّ الجيش حاميًا للأمة، وحاميًا لحقوق الشعب، والذي نستطيع أن نقوله الآن: إن على الجيش أن يتسلَّم الأمر، ليسلِّمه إلى المدنيين، لا أن يُسلَّم إلى نائب الرئيس؛ لأنه من الرئيس، ولا نستطيع أن يُسلِّمه إلى رئيس مجلس الشعب؛ لأن مجلس الشعب مزوَّر، كلُّ الشعب يعرف أنه مزوَّر، حتى حسني مبارك نفسه قال: يجب أن تنظر محكمة النقض في الطعون.

وكـانوا قبل ذلـك لا يبـالون بـالطعون، ولا يبـالون بشـيء، القضـاء يقضـي وهـم يقولـون: المجلس سيد قراره.

أريـد مـن الجـيش أن يعـيِّن رئـيس المحكمـة الدسـتورية، ويكـون هـو الـرئيس المؤقَّـت للجمهورية، ويتولَّى الإجراءات بعد ذلك بتكليف حكومة انتقالية، وعمل لجنة حكماء لوضع دسـتور مؤقَّـت، إلـى أن ينتخـب مجلـس تأسيسـي يضـع دسـتورا، ويقـرُّه تمامًـا، وتسـتمر الإجراءات بعد ذلك. هذا ما أرجوه من الجيش المصري.

وأنـا أدعو الله عزَّ وجلَّ، أدعوه من كلِّ قلبي أن ينقذ مصر، وأن يكتب الخلاص لها، وأن يجعل خـلاص مصر أقرب ما يكون، اللهم إنـا نسألك يـا ربَّ العـالمين، نـدعوك كمـا أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا، اللهم أنقذ مصر، اللهم أنقذ مصر من كلِّ خطر، ومن كلِّ سوء.

اللهم انصر هذا الشباب، شباب مصر البرآء الشرفاء، اللهم افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صـراطًا مسـتقيمًا، وانصـرهم نصـرًا عزيـزًا، وأتـمَّ علـيهم نعمتـك، وأنـزل فـي قلـوبهم سـكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

اللهم عليك بالحكَّام الظـالمين، اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم إنـا نسألك يا ربَّ العالمين، يا مَن أهلت ثمود بالطاغية، وأهلكت عادًا بريح صرير عاتية، خُذ هؤلاء الحاكمين الظالمين أخذة رابية، ولا تُبقي لهم من باقية.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنـا، واحفظنـا من بين أيدينا ومن خلفنـا، وعن أيماننـا وعن شمائلنا، ومن فوقنـا ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، اللهم آمين.

ادعوا الله يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

الحمـد لله غـافر الـذنب وقابـل التـوب شـديد العقـاب، ذي الطـول لا إلـه إلا هـو، إليـه المصـير، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه، يسبِّح لـه مـا فـي السموات ومـا فـي الأرض، له الملك وله الحمد وهو على كلِّ شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، البشير النذير والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصبحه، ومَن دعا بدعوته واهتدى بسُنَّته وجاهد جاهده إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فيا أيها الأخوة المسلمون: يجب علينا عدة أمور:

الأمر الأول: دعوة إلى قنوت النوازل:

أدعو المسلمين، وخصوصًا أئمة المساجد أن يقنتوا قنوت النوازل، هناك قنوت معروف اسمه قنوت النوازل، حينما تنزل بالأمة نازلة، يدعون ربهم سبحانه وتعالى أن يكشف الغمَّة، ويفرِّج الكُربة، وينصر الأمة. فعلى أئمة المساجد أن يدعو الله، وعلى الأفراد المسلمين أنفسهم، وخصوصًا في الصلوات الجهرية، بعد الركعة الأخيرة يقف ويدعو الله عزَّ وجلَّ.

الأمر الثاني: صلاة الغائب على أرواح الشهداء:

إننا سنصلِّي صلاة الغائب على أرواح الشهداء، الذين سقطوا في معركة الحقِ ضدَّ الباطل، والعدل ضدَّ الظلم في مصر وفي تونس، للأسف لم نصلِّ على شهداء تونس، ولكن الصلاة باقية، نصلِّي على شهداء مصر، وعلى شهداء تونس صلاة الغائب بعد صلاة الجمعة.

ترحيب بتلاميذ القرضاوي:

ثم نبدأ اليوم ملتقى تلاميذ القرضاوي، هؤلاء التلاميذ الذين جاءوا من بلاد شتَّى، إلا إخواننا في مصر لم يستطيعوا أن يأتوا؛ لأن سفارة قطر التي يأخذون منها التأشيرة أغلقت أبوابها من عدَّة أيام، لأنها في منطقة ساخنة، عند مسجد مصطفى محمود، فالشباب معظمهم لم يستطيعوا أن يأتوا، فأنا أُحيِّي هؤلاء الشباب، وهم علماء، لا تظنُّوا أنهم شباب، هم أساتذة جامعات، ومؤلِّفين، وعلماء، ودعاة، أُرحِّب بهم، وسنبدأ اليوم في المساء حفلة الافتتاح في مركز التعريف بالإسلام (فنار).

مهرجان نصرة الثورة المصرية:

الأمر الأخير: بعد الصلاة هناك مهرجان خطابي، يتحدَّث فيه بعض الأخوة عن أحداث مصر وقضية مصر، أسأل الله تبارك وتعالى أن يؤيِّد مصر وأهلها برُوح من عنده، اللهم أيِّديهم برُوح من عندك، اللهم أمدَّهم بجند من جندك، اللهم احرسهم بعينك التي لا تنام،

واكلأهم فـي كنفك الـذي لا يُضـام، اللهـم افـتح لـهم فتحًـا مبينًـا، واهـدهم صـراطًا مسـتقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا.

اللهم خذ الظالمين أخذ عزيز مقتدر، اللهم لا تمهلهم، اللهم لا تمهلهم، اللهم إنك أمليت لهم ما أمليت، فخذهم الآن أخذًا أليمًا شديدًا، اللهم خذهم أخذًا أليمًا شديدًا، اللهم إنا نسألك العفو والعافيـة فـي الـدين والـدنيا والآخـرة، اللهـم إنـا نسـألك العفو والعافيـة فـي الـدين والـدنيا والآخرة.

اللهم يا كاشف الكربات، ويا مجيب الدعوات، ويا منزِّل الرحمات، ويا سميع الأصوات، نسـألك أن تُعـزَّ الإسـلام والمسـلمين، وأن تؤيِّـد الحـقَّ، ودعـاة الحـقِّ، اللهـم آمـين يـا رب العالمين.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَـهُ يُصَلُّونَ عَلَـى النَّبِـيِّ يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا صَلُّوا عَلَيْـهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** [الأحزاب:56]، اللهم صلِّ وسلم وبارك علـى عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصبحه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقِم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

كلمة الشيخ يوسف القرضاوي في مهرجان تأييد الثورة المصرية[1]
(4 فبراير 2011م)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربِّ العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على مَن أرسله الله رحمة للعالمين، وحجَّة على الناس أجمعين، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومعلِّمنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومَن اتَّبع هداه إلى يوم الدين.

(وبعد)

أيها الأخوة الأحبة، أيها الأخوة في ميدان التحرير، وفي كلِّ جوامع مصر، وفي كلِّ مدن مصر ومحافظاتها، كلُّ مَن قاموا يحتجُّون من أجل الكرامة والعزَّة والحرية، من أجل أن تنال مصر حريتها، من أجل أن تقول: لا. إذا أرادت أن تقول: لا. كما قال سيدنا عمر بن الخطاب: يعجبني من الرجل إذا سيم الخسف أن يقول لا بملء فيه.

والحمد لله مصر – بشبابها الأطهار والأخيار الأبرار الشرفاء – قد استطاعت أن تقول: لا. أن تقول للظلمة: لا، لم أعد أقبل الظلم، لم أعد أرضى الذلَّ. طالما أذلُّوا هذا الشعب الكريم، وطالما صبر الشعب وصابر، حتى جاء اليوم الذي تقول فيه مصر، تقول على لسان شعبها الذين خرجوا من بيوتهم، لا يبغون شيئًا إلا نصرة الحقِّ، كما كان المهاجرون الأوَّلون، الذين خرجوا يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون.

شبابنا في مصر هم هؤلاء الصادقون، قالوا لفراعنتهم: لا. اجتمع عليهم فرعون وقارون وهامان، أو عدَّة هوامين، وعدَّة قوارين، وهؤلاء جميعًا وقفوا مع فرعون ضدَّ هؤلاء الشباب، لكن الشباب أبَوا إلا أن يصرُّوا على موقفهم، أن يقولوا: لا، نريد حقَّنا في الحرية، وفي الكرامة، وفي العزَّة، ومصر إذا قالت: لا. استطاعت أن تحصل على ما تريد، مصر التي نصرت الإسلام أيام هوجم الإسلام، هوجم الإسلام من الشرق، وهوجم الإسلام من الغرب، فيما سمَّوه (الحروب الصليبية)، وسمَّاه علماؤنا بـ(حروب الفرنجة)، الغرب سمَّاها (الحروب الصليبية)، ونحن سمَّيناها (حروب الفرنجة)، يعني حروب الاستعمار الفرنجي لبلادنا، استطاعت مصر أن تردَّ إلى المسلمين حقَّهم، صلاح الدين الأيوبي جاء مبعوثًا من نور

[1]– أقيم المهرجان بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بعد الخطبة، يوم جمعة الرحيل.

الدين محمود، وقد بدأ الجهاد من عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود، وتلميذه صلاح الدين الأيوبي، استطاعوا بمصر أوَّلاً وبدمشق بعدها أن ينتصروا، فإذا أردتَ أن تحصل على النصر فلا بدَّ أن تجمع القوى المختلفة.

استطاع صلاح الدين الأيوبي، ومن قبله نور الدين محمود أن يجمعوا بين مصر والشام، وكان لمصر القِدْح المُعلَّى بحكم موقعها، وبحكم عددها، فعدد مصر أكبر باستمرار، انتصرت مصر على الصليبين، وانتصرت مصر على التتار، التتار أسقطوا بغداد، وأسالوا الدماء أنهارًا في سنة (656هـ)، واستطاع الجيش المصري بقيادة المظفَّر سيف الدين قطز القائد المملوكي، استطاعوا أن ينتصروا على التتار بعد سنتين في سنة (658هـ)، لم تمر سنتان حتى انتصر الإسلام على التتار، الذين كان شعار الناس في هذا الوقت: إذا قيل لك إن التتار قد انهزموا فلا تصدِّق. نفس أسلوب: القوة التي لا تُقهَر (إسرائيل). تشيع أنها قوَّة لا تقهر، وشوكة لا تُكسَر، فاستطاع هؤلاء أن يكسروا شوكة التتار، وأن يقهروهم في يوم الجمعة، في (25 رمضان 658هـ).

مصر لها فضلها، ولها دورها في نصرة الإسلام، ولها دورها في نصرة الثقافة الإسلامية والثقافة العربية، هي التي حملت اللواء ألف سنة أو تزيد، وهناك ناس يريدون أن يُخرجوا مصر من معركة الإسلام، ومن معركة الدعوة إلى الإسلام، ومن معركة الدفاع عن الإسلام, ويأبى الله إلا أن تظلَّ مصر في دورها.

نحن هنا مع مصر، نحن في هذا المسجد، مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، آلاف الشباب، جاءوا من أنحاء قطر لهذه الجمعة تحيَّة لمصر، وتحيَّة لشباب مصر، وتحيَّة لجمعة الحسم، وجمعة الرحيل، أو جمعة الخلاص، سمِّها ما تسمِّيها، إنها جمعة الإصرار على أن يرحل الظالمون، ولا بد أن يرحلوا.

ما عاد لهم بقاء بعد أن تلطَّخت أيديهم بالدماء، بعد أن أرسلوا البلطجية والشرطة السرية العميلة لتضرب الشباب من فوق السطوح، وتفقأ أعينهم، وتكسر عظامهم، وتسلِّط الرصاص الميري – رصاص الشرطة الرسمية – إلى صدور هؤلاء الشباب.

ما عاد لهؤلاء الذين قتلوا من الشعب مَن قتلوا، وجرحوا من الآلاف مَن جرحوا، وفعلوا بهم ما فعلوا، ما عاد لهم إلا الرحيل، وإلا ازدادت الخسائر، وازدادت الدماء. يكفيهم هذه الدماء، ربما يعفو الشعب عنهم، أو يشاء الله أنهم لا يريدون أن يرحلوا ليحاكموا محاكمات

علنيَّة، وأنا حقيقة أفضل هذا، ألا يذهب المجرمون بجرائمهم ويتركوا البلد ويرحلوا. كأن الله يريد أن يقفوا أمام المحاكم، المحاكم المدنية – ليست كمحاكم مبارك التي أنشأها بقراراته العسكرية وتحاكم المدنيين محاكمات عسكرية، تحكم على البرآء بما لم يفعلوه – يريد الله أن يحاكم هؤلاء أمام الشعب، أمام قضاء الشعب، القضاة الحقيقيون، القضاة الثقات العدول الأمناء.

إني لمطمئن كلَّ الاطمئنان أن هذا الشباب سينتصر، هذا الشباب سينتصر؛ لأن هذه سنة الله، الحقُّ قد يتأخَّر نصره، لكن في النهاية لا بد من النصر، **{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}** [الحج:39]، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}** [محمد:7-8] هذا قانون: **{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ}**، مثل (مَن زرع حصد). **{وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ}** [محمد:4-6]، الذين سقطوا شهداء ليسوا خسارة، الشهيد ليس خسارة، إنما الشهيد له رصيد عند الله: **{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ}** [البقرة:145].

إني مطمئن تمام الاطمئنان، إلى أن دموع اليتامى، وأنَّات الثكالى، ودعوات المظلومين هذه، لن تضيع عند الله أبدًا، حينما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: "اتَّقِ دعوة المظلوم، فإنها ليست بينها وبين الله حجاب"[1]. وفي حديث آخر: "اتَّقِ دعوة المظلوم، وإن كان كافرًا، فليس بينها وبين الله حجاب"[2]. لأن الله لا يرضى الظلم، لا لمسلم ولا لكافر، ولا لبَرٍّ ولا لفاجر، لأن السماوات والأرض قامت بالعدل، وقامت بالحقّ، والله أرسل النبيين جميعًا برسالة واحدة، وهدف واحد، وهو قيام العدل بين الناس: **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}** [الحديد:25]، **{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ}** [الأعراف:29]، أنا مطمئن أن العدل سينتصر، وأن الظلم سيندحر، هذه الدعوات لن تضيع عند الله.

أتهزأ بالدعاء وتزدريه   وما يدريك ما صنع الدعاء

أتهزأ بالدعاء وتزدريه   وما يدريك ما صنع الدعاء

1 – متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (1496)، ومسلم في الإيمان (19)، كما رواه أحمد (2071) وأبو داود (1584) والترمذي (625) كلاهما في الزكاة. عن ابن عباس.

2 – رواه أحمد (12549) وقال مخرجوه: إسناده ضعيف، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (119) عن أنس.

سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

فيمسكها إذا ما شاء ربي ويرسلها إذا نفذ القضاء

نحن نستعين على حكم الفراعنة في مصر، على مبارك وأعوانه وزبانيته والبلطجية الذين يُعدُّهم ويرسلهم في المُهمَّات، نستعين عليهم بدعاء السحر وسهام القدر، وكلِّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرَّه.

فيا شباب مصر في ميدان التحرير، وفي جامع القائد في الإسكندرية، وكلِّ أنحاء مصر، في المنصورة وطنطا والمحلة والزقازيق ودمنهور وكفر الدوار، وكلِّ مصر، كل مدن مصر، كل قرى مصر، كل أبناء مصر، كلُّهم في الداخل والخارج، وكل أحرار العرب، أحرار العالم كلهم معكم، العرب جميعًا.

نحن هنا في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، معنا إخوة من كلِّ بلاد العرب، ومن كلِّ بلاد الإسلام، معنا هنود وباكستانيون وبنجاليون وبورميون وأتراك وأندونسيون، وجاليات من كلِّ بلاد العرب، ومن كلِّ بلاد الإسلام، كلُّهم معكم، كلُّهم مؤيِّد لكم، كلُّهم يدعو لكم في ليله ونهاره، في صباحه ومسائه، في سحره، وفي خلوته، الجميع يدعو لكم أن ينصركم الله. نحن هنا نوجِّه دعواتنا إلى الله، دعوات تهزُّ قوائم العرش، لأنها من مظلومين يحملون الحقَّ، ولا يؤيِّدون الباطل.

نحن ندعو الله تبارك وتعالى أن يمدَّكم برُوح من عنده، وأن يؤيِّدكم بجند من جنده، وأن يحرسكم بعينه التي لا تنام، وأن يكلأكم في كنفه الذي لا يُضام، وأن يهديكم صراطًا مستقيمًا، ويفتح عليكم فتحًا مبينًا، وأن ينصركم نصرًا عزيزًا، وأن يتمَّ الله عليكم نعمته، ويُنزل في قلوبكم سكينته، وينشر عليكم فضله ورحمته، وأن يأخذ الظالمين المتجبِّرين الفراعين أخذًا أليمًا شديدًا، أخذ عزيز مقتدر.

اللهم ربَّ العالمين، وأمان الخائفين، وغوث المستغيثين، وجار المستجيرين، وأكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، اللهم يا ربَّ العالمين، أهلك الجبابرة الظالمين، اللهم لا تُمهلهم، اللهم لا تملِ لهم، اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم يا مَن أهلكت ثمود بالطاغية، وأهلكت عادًا بريح صرصرٍ عاتية، خُذ هذه الطغمة الباغية، ولا تبقِ لها من باقية.

اللهم احمِ مصر واحرسها من كلِّ سوء، اللهم احرس مصر من كلِّ سوء، اللهم احفظ مصر من كلِّ شرٍّ، اللهم هيِّئ هذا الشباب للمستقبل الكبير لمصر يا رب العالمين، اللهم هيِّئهم لقيادة مصر بالحقِّ لا بالباطل، وبالعدل لا بالظلم.

{رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الممتحنة:4، 5].

ربنا اجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرياتنا، ربنا وتقبل دعاء، ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، اللهم آمين.

من كلمة الشيخ القرضاوي
في افتتاح الملتقى العلمي الثاني لتلاميذ القرضاوي
(4 فبراير 2011م)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن اتبع هداه.

(وبعد)

إن من خصائص هذه المدرسة (مدرسة تلاميذ القرضاوي): أنها تعيش في هموم الأمة، فليس بعالمٍ مسلم من يعيش للكتب فقط، ومهمته أنه يقرأ، لا بد من القراءة، ولا بد من الكتابة، ولا بد من أن يجمع بين الحفظ والفهم، لا أريد أن أقلل من قيمة الحفظ كما يقول بعض الناس: إننا لسنا في زمن الحفظ! لا، بل لا بد للعالم من الحفظ، إذا لم يكن العالم يحفظ القرآن، و يحفظ الأحاديث، بماذا يبلغ الناس؟! هل يذهب إلي الكمبيوتر وهو على المنبر؟! يجب أن يحفظ بعض الأحاديث، وبعض الحكم، وبعض الأشعار، لا بد ولكن من المهم كذلك: أن يُعنى بهموم الأمة. مَن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

نحن جزء من هذه الأمة، والعالِم عليه مهمة كبيرة، أن لا ينفصل عن أمته ولا ينعزل عن همومها وقضاياها، وهذا ما جعلني أهتم بقضايا المسلمين، كل المسلمين، في آسيا، في أفريقيا، في أوروبا، الأقليات المختلفة، وهذا ما جعلنا نقيم مجلسا للإفتاء والبحوث في أوربا، فقد كانت من أهم أهدافه الإفتاء للأقلية المسلمة هناك.

بعض إخواننا – سامحهم الله – عابوا علينا هذا، وأن الفتوى لا تتغير بتغير المكان، وأنه لم يقل أحد بهذا إلا ابن القيم، مع أن المكان يؤثر في الإنسان كما يؤثر فيه الزمان، الإنسان يعيش في مكان وزمان، لماذا يؤثر الزمان ولا يؤثر المكان؟! ومَن يعيش في دار أرض الإسلام غير مَن يعيش في غير دار الإسلام، والبدوي غير الحضري، حتى إن له أحكام خاصة في بعض الأمور، والحديث يقول: " من سكن البادية، جفا"[1]، فجعل العيش في البادية يؤثر في طباع الشخص فيكون عنده شيء من الجفاء.

فنحن نقول: إننا نهتم بهذه القضايا كلها، ونرى أن هذه المدرسة تهتم بقضايا المسلمين، في كل مكان، لا تهمل مكانًا دون مكان، وهذا ما جعلني أهتم بقضية فلسطين، القضية

---

[1] – رواه أحمد (3362) وقال مخرجوه: حسن لغيره، وأبو داود في الصيد (2859)، والترمذي في الفتن (2256) وقال: حسن غريب، والنسائي في الصيد (4309)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (6296)، عن ابن عباس.

المحورية، قضية الأمة الإسلامية الأولى، وقضية كشمير وقضية أفغانستان، وشاركتُ في قضية أفغانستان، حتى أني ذهبتُ للصلح بين الأخوة الأفغانيين، وكانوا أوشكوا أن يختلفوا، خصوصًا الأربعة الذين كانوا متقاربين فيما بينهم: عبد الرسول سياف، وحكمتيار، وبرهان الدين رباني، ويونس خالصي. كادوا يختلفون، وذهبت وكان الذي ذهب بي أخونا الداعية المعروف الشيخ عبد المجيد الزنداني، وقال لي: لقد أرسلك الله لتُصلح بين الإخوة. وكنتُ قد أصابتني الآلام في ظهري، قلتُ له: أنا لا أستطيع أن أتحرك، والأطباء قالوا لي: تجلس على ظهرك على شيء خشن: خشب أو غيره، وأنا لا أستطيع أن أذهب إلى بيشاور. والشيخ عبد المجيد الزنداني سواق حُطَم، فقال: توكَّل على الله وهو شافيك. وذهبتُ إلى هؤلاء الأخوة، وأنا والله، ما اجتمعتُ معهم إلا وأنا نائم على ظهري، واتفقتُ معهم على اتفاقات كتبتُها بيدي، ثم سافرتُ وأنا لا أكاد أستطيع أن أمشي على قدمي، وإن كانوا – سامحهم الله– بعد ذلك أضاعوا هذه الاتفاقات.

فأنا أهتم – والحمد لله – بقضايا الأمة الإسلامية، وأنصح أبنائي وتلاميذي أن يرثوا هذا عني مما يرثونه، نحن حريصون على أن نورث العلم والفكر والمنهج، ونورث الروح أيضًا، فأنا أريد أن تكون روح أبناء هذه المدرسة هي الروح الإسلامية، التي تهتم بقضايا الأمة صغيرها وكبيرها. وهذا ما جعلني أهتم بكل القضايا.

اهتمامنا بقضيتنا الحالية: ثورة ومصر:

وحينما قال لي بعض الناس: نراك مهتمًا بقضية تونس كأنك تونسي؟! قلت: نعم، أنا تونسي وأنا مغربي، وأنا مصري وأنا قطري، وأنا باكستاني وأنا كل الأمة الإسلامية، هكذا ينبغي أن نحمل هم الأمة الإسلامية في كل مكان. هذا ما جعلني أحمل همَّ الشباب الذي وقف في ميدان التحرير في مصر، وقف في كل المدن، ليست القاهرة وحدها.

والله كان يكلمني من ساعة أخونا الشيخ أحمد المحلاوي في الإسكندرية، يقول لي: لو رأيت الناس، لظننت أن الإسكندرية برجالها ونسائها وأطفالها، خرجوا من بيوتهم ليعبروا عن سخطهم على هذا النظام المستبد، ويعبروا عن تجاوبهم مع هؤلاء الشباب الذين أرادوا العدل وكرهوا الظلم، وأرادوا الحق وقاوموا الباطل. هذا ما جعلني أعيش في قضية مصر، وأقدم عدة بيانات في الجزيرة ومن مكتبي.

ومواقفي أصبحت معروفة، أنا ضد النظام، بعض الإخوة يقول لي: ستحرم أن تذهب إلى مصر. فأقول: وإن لم أذهب إلى مصر، ولكني والله عندما يأتي الأوان سأذهب إلى مصر، وليُمسكوا بي إن شاءوا، ماذا سيحدث؟! لقد جربنا السجون والحمد لله، واعتدنا على (البُرش). ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤيد الأخوة بنصره.

هؤلاء الشباب الصابرون المصابرون المرابطون، الذين خرجوا احتسابًا لله، وقيامًا لهذا الحق، وقاموا عن الشعب المصري كله، قاموا بفرض الكفاية عن الشعب المصري.

وأسأل الله الهداية لبعض العلماء، الذين التبس عليهم الحق بالباطل، أو آثروا الدنيا على الآخرة.

خطبة القسم* في جمعة التنحي

بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة

11 فبراير 2011م

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، خصَّنا بخير كتاب أُنزل، وأكرمنا بخير نبي أُرسل، وجعلنا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس؛ نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونؤمن بالله، وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا ومعلمنا محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله رحمةً للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، ونعمة على المؤمنين؛ يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على هذا الرسول الكريم، ذي الخلق العظيم، وارضَ اللهم عن آله وصحابته، وأحينا اللهم على سنته، وأمتنا على ملته، واحشرنا في زمرته، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، أما بعد،،

فيا أيها الإخوة المسلمون..

مكانة مصر بين دول العالم:

دخلت ثورة مصر –الثورة التي أصبحت معلمًا من معالم التاريخ المعاصر– دخلت يومها الثامن عشر، وترقب الناس نتائجها في كل مكان: العرب، والمسلمون، والأحرار في العالم، فمصر لها مكانتها، مصر بلد الحضارة، وبلد الإيمان.

مكانة مصر التاريخية:

منذ عهد الفرعونية الوثنية كانت بلد الإيمان، بالإيمان بنوا الأهرام، الأهرام بنوها لملوكهم الذين كانوا يعتقدون في ألوهيتهم، فبنوا لهم الأهرام ليخلُدوا بعد موتهم، كان الإيمان أساسًا في هذا البلد منذ العصر الفرعوني، ثم دخلت مصر في الديانة المسيحية، تبنت الديانة المسيحية، فأخذتها بقوة، ودافعت عن المسيحية، واصطدمت بالرومان مع

---

* سميت جمعة القسم؛ لأن الشيخ أقسم فيها بأن هذا الشباب منتصر، وأن إرادة الله تأبى غير ذلك.

أنهم كانوا مسيحيين مثلهم، ولكنهم كانوا يخالفونهم في المذهب، هؤلاء مذهبهم مذهب اليعاقبة، الشعب المصري، والرومان مذهب الملكانية، وقامت اضطهادات، وكانت عصور سموها عصور الشهداء، قدموا فيها آلاف الشهداء، ثم دخلت مصر في الإسلام فاحتضنت الإسلام ودافعت عنه، وكان لها نصيبها في حروب الفرنجة التي سماها الغربيون: (الحروب الصليبية)، فدافعت أمام الفرنجة وأمام الغربيين الأوربيين الصليبيين، وأسرت ملكهم لويس التاسع في دار ابن لقمان بالمنصورة، وكان لها دورها في حروب التتار الذين أسقطوا بغداد، وأسالوا الدماء أنهارًا، كانت تسقط من الميازيب –المواسير– من سطوح المنازل، وأصبح نهر دجلة نهرًا أسود مما ألقي فيه من آلاف وملايين الكتب سنة 656هـ، وفي سنة 658 هـ بعد سنتين أو أقل انتصر الإسلام، وأخذ بثأره من التتار في معركة من معارك التاريخ الحاسمة تسمى (معركة عين جالوت) . قرية في فلسطين . قاد الجيشَ المصريَّ فيها المظفرُ سيفُ الدين قطز، وانتصر في هذه المعركة على التتار انتصارًا لم تقم لهم فيها بعدها قائمةٌ من الناحية العسكرية.

دور مصر في خدمة الإسلام:

كانت مصر هكذا، دافعت عن الإسلام عسكريًّا، ثم دافعت عنه فكريًّا وثقافيًّا وعلميًّا، فكانت القبلة الثقافية للمسلمين، وكان أزهرها الذي أنشئ في أول الأمر ليكون ناشرًا للمذهب الإسماعيلي من مذاهب الشيعة، فأصبح –بعد أن دخل صلاح الدين الأيوبي إلى مصر– أصبح قبلة للعالم السني، أصبح هو المأوى والمرجع الأخير لأهل السنة في العالم؛ لذلك يهتم الناس عامة: العرب والمسلمون والعالم بما يجري في مصر.

سلمية الثورة المصرية:

هؤلاء الشباب الذين قاموا بهذه الثورة، ثورة الخامس والعشرين من يناير، كانوا مثلاً يُحتذى؛ لم يحملوا سلاحًا، لم يميلوا إلى العنف، إنما يريدون أن يحققوا مطالبهم بالكلمة والتظاهر السلمي والهتاف، لا شيء أكثر من ذلك، الذين استخدموا العنف ضدهم هم: حسني مبارك ورجاله وحكومته، قاوموا السلم بالحرب، قاوموا القلم بالسيف، قاوموا اللسان بالسنان، وقتلوا مَن قتلوا مِن هؤلاء الشباب، قتلوهم بالرصاص الحي، وجهوا الرصاص الحي إلى صدورهم، أمروا جنودهم أن يضربوا هؤلاء الشباب، يقتلوهم قتلاً، بل أكثر من

ذلك رأينا ورأيتم ورأى الناس السيارات التي تدهس الناس دهسًا، سيارة شرطة كبيرة . عرف بعد أنها مسروقة من السفارة الأمريكية . دهست عشرين شخصًا، رأيناها وهي تصول وتجول، وتذهب وتعود، وتدوس على البشر، كأنهم صراصير، لا أقول كأنهم دجاج أو كلاب أو هرر، في مرة من المرات، كنت راكبًا مع سائقي، فأحدث في السيارة حركة كادت تقلب السيارة، فقلت له: ما هذا؟ قال: تفاديت قطة.. قطة..!! كاد يعمل حادثة بالسيارة؛ لأن هذه روح، هؤلاء يقتلون البشر ولا كأنهم قطط، هذه كلها في سجلات حسني مبارك، وما له من الحسن شيء، ولا من البركة شيء، ولا من الحمد شيء، اسمه ضده، مبارك يتحمل مسئولية هؤلاء القتلى، الذين عُدوا في آخر إحصاء فكانوا ثلاثمائة وأربعين شهيدًا من الشهداء، غير الآلاف من الجرحى الذين أصيب بعضهم بعاهات مستديمة ومعوقات في أبدانهم، هو الذي أرسل (البلطجية) المجرمين، وأرسل معهم البغال والخيول والجمال، ومعهم أيضًا الأسلحة البيضاء: المطاوي والسكاكين، وأرسل القناصة يقتلون الناس من فوق سطوح العمارات وسطوح الفنادق؛ يصطادونهم من فوق السطوح، قتلوا عشرة في يومين، حسني مبارك مسئول عن هذه الدماء، **{مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً}**[المائدة:32]، هؤلاء لم يقتلوا نفسًا، ولم يفسدوا في الأرض، بل خرجوا يطلبون حقوقهم، يطلبون عزتهم وكرامتهم وكرامة قومهم، لماذا يقتلون؟ حسني مبارك مسئول عن هذا، وهو مسئول أيضًا عما حدث لمصر، عن سرقة أموال مصر، ونهب ثروات مصر، وأراضي مصر، ليكوِّن له ولأنصاره ولأصهاره ولأولاده ولأتباعه ثروات في الخارج، قدرت ثروات حسني مبارك ما بين 40–70 مليارًا، من أين جمعها؟ وهو رجل فقير، من أسرة فقيرة، بل قدر الخبراء والمتتبعون أن ما أخرج من الثروات والأموال إلى خارج مصر يقدر بثلاثة تريليونات مليار، والتريليون مليون مليون، ثلاثة تريليونات ثروة هائلة؛ ولذلك يقوم بعض القانونيين والمحامين الدوليين الكبار من رجال مصر برفع دعوى ودعاوى، وتتبع لهذه الثروات في سويسرا ولندن وباريس وأمريكا ليستردوا ثروات مصر إليها.

من فضائل الثورة المصرية:

هذه الثورة العظيمة التي علمت الناس كيف تكون الثورات، لقد استفادوا من ثورة تونس، ولا شك أن لها الفضل، ولكنها تفوقت عليها وسبقتها، بما أقامت من مُثل، أصبحت مدرسة بل جامعة يتعلم الناس فيها كيف يعيشون إخوة، كيف يعيشون متحابين، كيف يعيشون متساوين، لا فرق بين غني وفقير، لا فرق بين شريف ووضيع، لا فرق بين متعلم وأمي، لا فرق بين قروي ومدني، لا فرق بين رجل وامرأة، الكل صُهروا في بوتقة واحدة، يخدم بعضهم بعضًا، ويساعد بعضهم بعضًا، أبناء الأسر الغنية والمترفة جاءوا وناموا على الأرض، ويخدمون إخوانهم، الفتيات الشابات الجامعيات يحملن أكياس الزبالة ليذهبن إلى الناس بعد الأكل، حتى تظل الأرض التي يعيشون عليها نظيفة، ويظل الرجل أو المرأة حينما يأكل يحمل الزبالة أو القمامة في يده، لا يرميها؛ ينتظر حتى يأتي من يحمل الزبالة، مجتمع هائل، مجتمع رائع، يحرس بعضهم بعضًا، ويؤثر بعضه بعضًا، **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}**[الحشر:9]. كأنهم مجتمع الأنصار الذين قيل فيهم: يَكثرون عند الفزع، ويقلون عند الطمع.

هذه ثورة مصر، ثورة معلمة، ولكن المطموسين لم يفقهوها، لم يعرفوا قدرها، حاولوا أن يقتلوها، ثم في آخر الأمر حاولوا أن يُضلِّلوها، كان كلامهم في أول الأمر لعنًا لهذه الثورة، ولمن يؤيدها، ثم أصبح كلامهم يخف شيئًا فشيئًا حتى أصبح شبه استجداء، يبكون ليستعطفوا هؤلاء الناس، دموع التماسيح، وأخيرًا بالأمس حبس الناس أنفاسهم في أنحاء العالم منتظرين ماذا يقول حسني مبارك بعد أن صدر بيان الجيش الأول رقم واحد، انتظر الناس في أنحاء العالم أن حسني مبارك سيستجيب لهذه الملايين ويتنازل، يسمع لنداء الناس: (ارحل، مش عايزينك، بتفهم ولىلا متفهمشي، ارحل، ارحل يعني سيب البلد، اترك البلد)، لم يفهم لا بالعامية ولا بالفصحى، ابن علي قال لهم فهمت عنكم، وهذا لم يفهم عن الناس، هذه الملايين.

الثورة المصرية والثورة الأمريكية:

لم أر ثورة بمثل هذه الجموع وهذه القوة وهذا الاتساع، ثورة أمريكا التي استقلت على أساسها أمريكا كانت 200 ألف، وأمريكا كانت حوالي من 200 مليون، يعني كل واحد يمثل ألفًا، لو أخذنا الثورة التي قامت الثلاثاء قبل الماضي قدرت بـ 8 مليون، ومصر

حوالي 80 مليون، يعني كل واحد يمثل عشرة، الآن أكثر، الآن يقدرون بخمسة عشر مليونًا أو عشرين مليونًا في أنحاء مصر، مصر كلها تطالب برحيل هذا الرجل.

ولكن بعد أن انتظرنا طويلاً كما يقول العرب: (تمخض الجبل فولد فأرًا)، أو كما قالوا: (سكت دهرًا ونطق كفرًا)، أو كما قالوا: (أطال الغيبة وأتى بالخيبة)، جاء بغير ما يتوقعه الناس جميعًا، ماذا يريد هذا الرجل؟ إنه أشبه بفرعون، يشبه فرعون في أمور كثيرة، فرعون مغرور، يقول للناس: **{مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}**[غافر:29].

حال مصر قبل الثورة:

هذا يمتن على الناس، لم يكفه ما فعل بمصر التي فيها 40% تحت خط الفقر، مصر أصبحت مديونة بـ880 مليارًا، حينما أخذها مبارك كان عليها 12 مليارًا، مصر لم يظهر في جامعاتها . وهي من أقدم الجامعات . جامعةٌ واحدة في الخمسمائة جامعة المتقدمة في العالم، مصر أصبح الناس يجوعون فيها وهي بلد الخيرات والبركات، مصر يمتن مبارك عليها بأنه هو الذي حارب، وهذه أكذوبة، لم يُعرف عن مبارك أن له بطولة في حرب أكتوبر، والتاريخ لم يحقق هذا الأمر، سيحققه بعد أن يزول إن شاء الله، كل ما له من بطولة أنه ضرب جزيرة (أبا) في السودان، وقتل فيها عددًا من الإسلاميين ومن جماعة المهدي، أذكر من الذين قتلهم أخًا داعية كبيرًا، صديقًا لي، الدكتور محمد صالح عمر، الرجل الطاهر النقي الأبي ممن قتلهم حسني مبارك حينما دك جزيرة أبا، هذا لعله هو الذي جعل له تاريخًا عند من اختاروه، هذا الرجل أشبه بفرعون، فرعون أراه الله من الآيات الكثير: **{وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}**[الزخرف:48]. يبتلي الله بعض الناس بالعذاب لعله يجأر ويقول يا رب، ولكن لم يتعظ ولم يجأر ولم يرجع إلى الله، **{وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى}**[طه:56]. (مفيش فايدة)؛ ولذلك ذكر الله عن فرعون: متى اعترف؟ حينما أدركه الغرق: **{قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ}**[يونس:90]. حتى لم يقل: آمنت أنه لا إله إلا الله؟ قال: **{إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ}**، فقيل له: **{آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}**[يونس:91]. هذا الرجل لن يؤمن إلا ساعة الغرق، ولن ينفعه إيمانه في هذا

الوقت، هذا الفرعون الجديد، كان الشعب المصري الكريم السمح مستعدًّا أن يصفح عنه، وأن يتجاوز عن هذه المصائب كلها، وهي كثيرة، مصائب اقتصادية، ومصائب سياسية، ومصائب دستورية، ومصائب من كل ناحية من النواحي، كان الشعب المصري مستعدًّا أن يتركه يولي:

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

ولكنه أبى، أبى واستمسك بكرسيه، معبوده هذا الكرسي، وأنا قلت في أول حديث لي وجَّهته إليه في الجزيرة، قلت: إن مأساة هذا النظام .كأمثاله من الأنظمة المستبدة الجائرة . أنه: أعمى لا يبصر، وأنه أصم لا يسمع، وأنه غبي لا يفهم، وأنه جامد لا يحس، فتمر الأحداث عليه ولا يستفيد منها، ولا ينتفع بها، **{وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ}**[المؤمنون:76]. ومن هنا كان لابد مما لابد منه، هذا هو موقف هذا الفرعون الذي فقدَ كل مقومات البقاء، لم يعد له وجود، وكيف يبقى الرجل راكبًا على رؤوس الناس، على أنفاسهم؛ رغمًا عنهم، رغم أنوفهم، أنا سيدكم رغم أنوفكم، أرحنا يا أخي واذهب .. فهذه كلمتي عن فرعون.

وكلمتي الثانية:

عن شباب ميدان التحرير، وأنا أقترح أن يُغير اسمه ويسمى: (ميدان ثورة خمسة وعشرين يناير)، هذه ثورة جديدة بعد ثورة 23 يوليو، ثورة 25 يناير، ثورة الشعب، كلمتي إلى هذا الشباب كلمة تحية، وكلمة تكريم، وكلمة تثبيت، كلمتي إلى هذا الشباب المؤمن الصادق الباذل المضحي، **كلمتي إلى هذا الشباب: أن يثبتوا في مواقفهم، هم منتصرون، أنا أقسم أنهم منتصرون؛ لأن سنة الله تأبى غير ذلك**، لا يمكن لهذا الشباب المضحي الصابر المصابر المرابط أن تذهب جهوده سدى، **{وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً * وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً}**[الإسراء:80-81]. سنة الله أن للباطل ساعة، جولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة **{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ }**[الأنبياء:81]، **{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ}** [الرعد: 17]. فهذه ثورة تنفع الناس، ليست زبدًا، رغوة تظهر في ساعة ثم تذهب، لا، هذا

حق راسخ، المظلوم لابد أن ينتصر، والظالم . مهما طغى وبغى واغتر بإمهال الله له . لابد أن يأخذه الله أخذًا أليمًا شديدًا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم تلا قول الله تعالى: **{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}** [هود: 102] [1]. هؤلاء الظلمة لابد أن يزولوا، هؤلاء الطغاة لابد أن يذهبوا، لا يريدهم أحد، فقدوا معية الله ونصرة الله، وفقدوا نصرة الشعب، وفقدوا نصرة الجيش، وفقدوا نصرة السماء والأرض، كما قال الله تعالى: **{كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ}**[الدخان:25-29]، لا يبكي عليهم أحد، حتى أصدقاؤهم بعد ذلك سيتبرؤون منهم ويلعنونهم، كما أصبح الشعب جميعًا يلعنهم.

وصية الشيخ لشباب الثورة:

أوصي شباب ميدان الشهداء، أو ميدان ثورة الخامس والعشرين من يناير، أوصيهم أن يثبتوا على مواقفهم، وأن يثبتوا على أن ثورتهم ثورة سلمية، لا يلجئون إلى العنف، يكفي أن يقفوا ويقولوا لا، كما قال سيدنا عمر: (يعجبني من الرجل المسلم إذا سيم الخسف . أريد على الذل . أن يقول بملء فيه لا..لا)، ليظل هؤلاء الشباب على قول لا، لن نرجع إلى بيوتنا إلا إذا حققنا هدفنا، وسيحققون هدفهم؛ لأن الله معهم، وملائكته معهم، وكل العرب والمسلمين معهم، وكل أحرار العالم معهم، فلن يخذلهم الله أبدا. سنة الله أن بعد العسر يسرًا، وبعد الليل فجرًا، لا يمكن أن يستمر الظلم، وإلا فأين ربوبية الله للعالم؟ ومن هنا قال الله تعالى: **{فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**[الأنعام:44-45]، ما أجمل هذا التعقيب..! قطِع دابرهم نعمة على الناس جميعًا، **{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**. قطْع دابر هؤلاء نعمة عظيمة، ولذلك يقول الحسن البصري: (من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يُعصى الله في أرضه)[2]، حين تقول له ربنا يطول عمرك كأنك تقول له: ربنا يطيل عمر الفساد، ويطيل عمر المعصية ويطيل عمر البغي على عباد الله، يا شباب مصر: أنتم

[1] - سبق تخريجه صـ
[2] - ذكره الغزالي في إحياء علو م الدين (160/3).

المنصـــورون كمـــا قـــال تعـــالى: {**إِنَّهُـــمْ لَهُـــمُ الْمَنصُـــورُونَ * وَإِنَّ جُنـــدَنَا لَهُـــمُ الْغَـالِبُونَ**}[الصافات:172-173]. أنتم جند الله، لأنكم تدافعون عن الحق ضد الباطل، وتدافعون عن العدل ضد الظلم، وتدافعون عن الصلاح ضد الفساد، وتدافعون عن الخير ضد الشر، ومن كان كذلك لابد أن ينصره الله عز وجل: {**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَـوِيٌّ عَزِيـزٌ * الَّـذِينَ إِن مَّكَّنَّـاهُمْ فِـي الْأَرْضِ أَقَـامُوا الصَّـلَاةَ وَآتَـوُا الزَّكَـاةَ وَأَمَـرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَـهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ**}[الحج:40-41]. اصبروا وصابروا ورابطوا، وستجدون ثمرة جهادكم عن قريب، ستقر أعين المؤمنين، وستبكي أعين الظالمين، ومن آزر الظالمين، ومن أيد الظالمين، للأسف وجدنا ممن يعتبرون من علماء الدين من يؤيد الظالمين، ومن يثبط المؤمنين، ومن يتهم هؤلاء الشباب بأنهم دعاة فتنة.. أي فتنة؟! الفتنة هي الذي يفعلونه هم، هم الذين يثيرون الفتن، ويقفون ضد المجاهدين، نحن أمرنا أن نقاوم الظلم، الإسلام يدعونا إلى ألا نظلم ولا نعين ظالمًا: {**وَلاَ تَرْكَنُـواْ إِلَـى الَّـذِينَ ظَلَمُـواْ فَتَمَسَّـكُمُ النَّـارُ**}[هود:113]. وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده"[1] "إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم"[2]، يعني قد تودع منهم، يعني لا خير فيهم، وجودهم وعدمه سواء، أن تقول للظالم يا ظالم، فكيف إذا كان في الأمة من يقول للظالم: أيها المنقذ، أيها المحرر، أيها البطل، ماذا يكون موقف هؤلاء؟ الرسول . عليه الصلاة والسلام . يقول: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"[3] "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله"[4]، وذكر الحكام الظالمين وقال: "فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس ذلك من الإيمان حبة خردل"[5]. أدنى الدرجات أن تكرهه بقلبك، تجاهده بقلبك.

معنى الجهاد بالقلب:

ما معنى أن تجاهده بقلبك؟ يعني أن تغلي من داخلك، انتظارًا لساعة ينفجر فيها هذا الغليان إلى عمل إيجابي، ماذا يقول هؤلاء في هذه الأحاديث، ماذا يقول المثبطون؟ يقفون

---

[1] - سبق تخريجه صـ
[2] - سبق تخريجه صـ
[3] - سبق تخريجه صـ
[4] - سبق تخريجه صـ
[5] - سبق تخريجه صـ

أمام شعب كامل، الشعب المصري بقضه وقضيضه، أنا أرى أن الشعب المصري، هذه الملايين ممثلة لكل الشعب المصري بكل أطيافه إلا هذه الفئات الذين حجبهم الله عن البصر وعن البصيرة، لم يبصروا الحق وهو أمام أعينهم، لأنهم عطلوا أجهزة المعرفة والإحساس عندهم، هذه كلمتي إلى الشباب.

وكلمتي الأخيرة إلى الجيش المصري، الذي يعتز به المصريون جميعًا، ويعتبرونه درعًا للوطن، وسندًا لهم وفخرًا لهم، وقد خاض أربع حروب من أجل مصر ومن أجل فلسطين، منذ سنة 48 دخل في فلسطين للدفاع عن أهل فلسطين، الجيوش العربية دخلت في ذلك الوقت كان عمر الجامعة العربية 3 سنوات، والآن تترك فلسطين لأهلها في حين أن الجامعة العربية أصبحت 22 دولة، وأصبحت إسرائيل تملك أكبر ترسانة عسكرية في الشرق الأوسط. دخل العرب ومنهم الجيش المصري، وبعض ضباطه قد أسر، وبعضهم قد استشهد، وبعضهم أبلى بلاء حسنًا، ثم بعد ذلك سنة 56 وسنة 67 وسنة 73 . التي أسميها أنا حرب 93، أفضل أن أسميها حرب العاشر من رمضان لا حرب السادس من أكتوبر . هذا ما صنعه الجيش المصري، الجيش المصري للشعب عليه دَيْن لابد أن يوفيه، يا رجال الجيش المصري، يا رجال القوات المسلحة، يا أعضاء المجلس الأعلى، يا قائد القوات المسلحة العام،، يا رئيس الأركان، أطالبكم بأن تؤدوا الدَّين الذي عليكم للشعب، لقد قمتم سنة 1952م بثورتكم، فوقف الشعب جميعًا وراءكم، ورحب بكم، وأيدكم، وساندكم، حتى مرت الثورة بسلام، الآن الشعب يريد أن يسترد حقه عليكم ودَينه منكم، لقد قام شعبكم العظيم بهذه الثورة المجيدة حقًّا، الثورة الهائلة الثورة التي لا نظير لها تمثل كلَّ شعبكم، وتقول لهذا الرجل: ارحل لا نريدك، أتتخلون عن شعبكم من أجل رجل، أتبيعون مصر من أجل رجل أحمق؟ كان من واجبه أن يقول: أذهب وأريح الناس، وأرحم هذا الشعب، وأحقن دماءه، ولكنه لا يبالي بما يزهَق من أرواح وما يسفك من دماء، وما يضيع من أموال، وما تخسره مصر من مليارات في سبيل بقائه، وبقاؤه ستة أشهر، ألم تكتفِ بثلاثين سنة، لو حتى مهما ستخسر في هذه الستة أشهر، اتركها من أجل الشعب، ارحم الشعب، إذا كنت أبًا كما تظن، كيف يضحي الأب بأبنائه، كيف يعرِّضهم للخطر؟!

أنا أنادي رجال القوات المسلحة: كما وقف الشعب وراءكم ومعكم بكل رجاله ونسائه وشبابه وشيوخه، كل الشعب المصري وقف معكم، أنتم عليكم أن تقفوا مع الشعب المصري .. الآن، لقد أصدرتم البيان رقم واحد، وأنا وكل الناس ننتظر البيان رقم اثنين، ولابد أن يشتمل البيان رقم اثنين على إخراج مبارك من مصر، ويصبح الأمر بيد الجيش؛ يستطيع أن يولي رئيس المحكمة الدستورية رئاسةً مؤقتة، أو عند اللزوم والضرورة ينشئ مجلسًا رئاسيًّا من أحد أركان الجيش أو الضباط الكبار في الجيش، وأحد القضاة وأحد الشخصيات المدنية، أنا أفضل أن تولوا رئيس المحكمة الدستورية ليأخذ في الأعمال المطلوبة، أشياء لابد منها، منها: إلغاء الطوارئ، حل مجلسي الشعب والشورى، الإفراج عن كل المعتقلين، وأنا أطلب منكم من الآن: لماذا تبقون آلاف المعتقلين إلى اليوم ممن شاركوا في هذه الثورة؟.

أنا لا زال عندي أمل كبير في الجيش المصري، وأرى أن رجال الجيش المصري لن يكونوا أقل وطنية، ولا أقل وعيًا، ولا أقل بصيرة من الجيش التونسي، الجيش التونسي وقائد الجيش التونسي هو الذي كان له الفضل، يجب أن نعترف بذلك، لو لم يتدخل الجيش ويُرحّل ابن علي، ويقول له اذهب، وينضم إلى الشعب الثائر ما نجحت ثورة تونس، فالآن موقف الجيش المصري، كلُّ العالم تشرئب عنقه وترنو عينه إلى جيش مصر، هل هو جيش مصر أم جيش مبارك؟ لا أظن أن أحدًا في هذا الجيش يعتز بأن ينتسب لمبارك الذي طغى في البلاد؛ وأكثر فيه الفساد، فهو جدير أن يصب عليه ربنا سوط عذاب؛ لأن ربنا دائمًا بالمرصاد لا يغفل عن شيء، ولا يغيب عنه شيء .. يا جيش مصر أنت مطالب اليوم أن تنصر الشعب، أن تنصر الوطن، أن تنصر الحق، أن تزهق الباطل، أن تريح هذا الشعب من العناء الذي لاقاه خلال هذه الأيام، التي هي أيام مباركة، وسيسجلها التاريخ، وسيسجل التاريخ إما لك وإما عليك يا جيش مصر، وأنا أظن أنه لن يسجل عليك، وأحسب أنه لن يخيب ظني، لن يخيب ظني في جيش مصر، أطالب هذا الجيش أن يضع الأمور في نصابها، وأن يُطوَى هذا الفصل من تاريخ مصر، هذا الفصل الأسود الذي أذاق البلاد الصعب والعلقم، هذه كلمتي إلى جيش مصر العزيز علينا والحبيب إلينا، أرجو ألا يخيب فألنا، وألا يُضيّع حسن ظننا فيه، **{رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ**

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[الممتحنة:4-5]. اللهم انصر إخواننا الثائرين، وهيئ لهم من أمرهم رشدًا، ونجهم من كل كيد...اللهم آمين...ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله **{غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ}**[غافر:3]. وأشهد ألا إله الله وحده لا شريك له، يسبح له ما في السموات وما في الأرض، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه **{الَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[الأعراف:157]. ورضي الله عمن دعا بدعوته واهتدى بسنته وجاهد جهاده إلى يوم الدين، أما بعد،

فضل ثورة تونس:

فيا أيها الإخوة، أريد أن أقول كلمة عن ثورة تونس، هذه الثورة التي أشعلت الشرارة الأولى، والتي بدأت مسيرة الثورات، لا شك أن الفضل للمبتدي وإن أحسن المقتدي، ثورة تونس، ومحمد بوعزيزي، وسيدي بو زيد، المدينة الأولى التي حملت لواء الثورة، لابد أن نخصهم بالتحية والتقدير والتكريم والشكر، ولابد أن نكون دائمًا متابعين معهم ما يجري في تونس حتى لا تسرق الثورة.

التحذير من سرقة الثورات:

هناك أناس أسميهم (لصوص الثورات)، هناك (لصوص الثروات) و(لصوص الثورات)، ناس يسرقون الثروة وتنهبها وتخبئها وتخرجها في الخارج، وناس يسرقون الثورات، يقوم بها الأبرار والأطهار والأحرار، ويأتي هؤلاء يحصدون، والآخرون يزرعون؛ ولذلك أخشى على ثورة مصر وعلى ثورة تونس من هؤلاء الحرامية، حرامية الثورات، أن يخطفوا هذه الثورة ويوجهونها لغير ما قامت له؛ فتخدم أناسًا جددًا باشوات جددًا أو إقطاعيين جددًا أو سلاطين جددًا، لا ، أريد من أبناء تونس أن يكونوا على الكثير من اليقظة والحذر، حتى لا تسلب ثورتهم منهم، لا تسرق منهم، لا تختطف منهم، خصوصًا

أنه لا يزال هناك بقايا العهد الماضي، هناك الشرطة السياسية أو المباحث أو أمن الدولة، تختلف البلاد في هذه التسميات، لا أدري ماذا يسمونهم في تونس، ما يسمونهم في مصر أمن الدولة لا زالوا موجودين، ويدينون بالولاء لابن علي وجماعته، ولا زالوا يحملون العقلية التي يستبيحون بها دماء الناس، مشكلة هؤلاء أن عندهم عقلية معينة رُبُّوا عليها، لا يبالون بالخلق، الذين رأيناهم يضربون الناس من فوق السطوح، يضرب أيَّ واحد، واحد فقئت عينه، وواحد ضرب في رأسه، عشرة، هؤلاء تربية أمن الدولة، التربية التي ليس للبشر فيها قيمة، الذين يجردون الناس من ملابسهم، ويحققون معهم عراة، ويضربونهم بالسياط حتى يموت بعضهم، مات بعضهم قريبًا حتى في هذه الثورة، واحد يحققون معه ومات، عند أمن الدولة، فهؤلاء موجودون، بقايا الحزب الحاكم موجودون، وهناك الغنوشي نفسه رئيس الحكومة السابقة، لابد أن يكون الشعب التونسي على يقظة من متابعة هؤلاء، بحيث يكونون تحت عينه، ويكونون خدمًا للشعب الذي ثار، لا سادة له، هؤلاء لا زالوا يشعرون بأنهم سادة، لا يشعرون بأنهم فقدوا سيادتهم حينما ذهب سيدهم الأكبر، فأنا أدعو الشعب التونسي إلى أن يكون حارسًا أمينًا لثورته، إنه أدى ما عليه في قيام الثورة، وعليه حراسة الثورة حتى تبقى ثمرتها لهم.

وأطلب من فرنسا التي تدس أنفها، وتتدخل في شئون تونس، أقول لها: يا فرنسا، يا بلد الحريات، يا أم الثورات، كما تريدين الحرية لنفسك، اتركي الحرية لبلاد الله ولعباد الله، نحن مخلوقون أحرارًا مثلك، وقبلك، قبلك بقرون، قال خليفتنا الثاني: **(**متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا**)**، اتركوا لنا شئوننا، كفوا أيديكم عن التدخل في أمرنا، نحن في عالم جديد، نحن في عالم غير العالم الذي كنتم فيه مستعمرين سادة، بلادنا حرة، وأمتنا حرة، وليس لأحد علينا من سلطان، لا نركع إلا لله، لا ينحني ظهرنا إلا لله، لا نعفر جباهنا إلا لله، ساجدين أو راكعين، كفوا عنا، هذه كلمة أوجهها إلى فرنسا، وإلى أمريكا وإلى كل البلاد الذين يتخذون بلادنا كأنها مطية لهم.

وأنصح حكام العرب في المشرق والمغرب أن يعرفوا سير الزمن، ينظروا إلى الساعة، الساعة تدور، الساعة مش واقفة، الساعة مستمرة، الزمن تغير فغيروا ما بأنفسكم، انظروا إلى شعوبكم نظرة أخرى، لم يعد التأله في الأرض هو القائم، الشعوب تنبهت، الشعوب

أرادت الحياة فلن تموت مرة أخرى، بدل أن تتآمروا بعضكم مع بعض ضد شعوبكم فهذا لن ينفعكم، الشعوب استيقظت، وإذا استيقظت الشعوب فلن تنام، بدأت الشرارة، بدل أن تلتهمكم النار اتقوها، اتقوها بإقامة العدل، وإقامة الشورى، وإشراك الشعوب حتى تحكم نفسها بنفسها، هذه نصيحتي إلى كل حكام العرب، وكل حكام المسلمين.

أسأل الله . تبارك وتعالى . أن يجعل يوم هذه الأمة خيرًا من أمسها، وغدها خيرًا من يومها، وأن يحسن عاقبتها في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم انصر ثورة مصر، اللهم انصر ثورة الثائرين في مصر، اللهم انصر شعب مصر، اللهم احفظ مصر من كل سوء، اللهم احفظها من كل فتنة، اللهم احفظها من كل شر، اللهم احفظ شبابها الأحرار الأطهار الأبرار الباذلين المضحين، اللهم احفظ هذه الأيدي المتوضئة، وهذه القلوب المتطهرة، وهذه الضمائر المؤمنة، اللهم لا تضع جهودهم سدًى، ولا تضعها عبثًا، اللهم أيد هؤلاء الشباب بروح من عندك، وأمدهم بجند من جندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام، ولا يرام، اللهم افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهم أيد جيش مصر، وألهمه الرشد، وألهمه الصواب بأن يؤيد هذا الشباب، وأن يشد أزره، ويسند ظهره، في مطالبته بالحق، وفي مطاردته للباطل، اللهم كن لنا ولا تكن علينا، وأعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسر الهدى إلينا، وانصرنا على من بغى علينا، **{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}**[الحشر:10]. عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}**[الأحزاب:56]. **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}**[العنكبوت:45].

كلمته لقناة الجزيرة

مساء يوم الجمعة 11 فبراير 2011م بعد التنحي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحقيقة أن هذا يوم من أيام الله سجدنا فيه لله شكرا؛ حقق آمالنا، واستجاب دعاءنا، وأنا كنت واثقًا أن هذا الشباب الثائر الطاهر الباذل المضحي لابد أن يجني الثمرة، ثمرة الشهداء الذين سقطوا برصاص أولئك الذين لا يخشون خالقًا ولا يرحمون مخلوقًا، هذا الشباب كان لابد له أن ينتصر.

فرحنا بنصر الله، ومنذ زمن لم نعش فرحة، شاء الله أن يقر أعيننا بهذا النصر، نصر هذا الشعب، الذي طالما اتهموه بأنه شعب مستكين، وشعب يصبر على الذل وعلى الهوان، ولكن هذا الشعب عنده مخزون إذا ثار فعل العجائب، إنه أصبح بركانًا، أصبح شيئًا هائلا، بحرًا زاخرًا، موجًا هادرًا، هذا ما رأيناه في هذا الشعب.

رأينا ميدان التحرير، وأنا أقترح أن يُسمَّى ميدان ثورة 25 يناير، هذا الميدان أصبح مدرسة أو جامعة يتعلم فيها الناس الفداء والإيثار والمواساة، وخدمة الغير، وفناء النفس من أجل الآخر، من أجل الشعب، كان هذا الميدان يُعلم الناس هذه المعاني.

لم يكن معقولاً أن ينتصر الباطل على هذا الحق، لم يكن معقولاً أن ينتصر الطاغية على الشعب، الشعب أقوى، والشعب أخلد؛ ولذلك كنت مطمئنًّا كلَّ الاطمئنان؛ حتى إنني في خطبة الجمعة اليوم أقسمت. والقسم ليس شيئًا هينًا. ولكن الله ألهمني أن أقسم بأن هذا الشباب سينتصر، وعن قريب، وتحقق النصر في نفس اليوم، هذه سنة الله عز وجل، الباطل له جولة، جولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، فأنا أهنئ هذا الشباب، وأهنئ مصر كلها، وأهنئ بلاد العرب، وأهنئ بلاد المسلمين، وأهنئ أحرار العالم، وأهنئ الجزيرة، الجزيرة أهنئها؛ لأنها قامت بدور عظيم في بيان الحقائق، وكشف الأباطيل.

تصوروا أيها الإخوة المشاهدون أن التليفزيون المصري قبل أن يعلن الجيش بقليل تنحي مبارك. وما أظنه تنحَّى بل أظنه نُحِّي، كنا نريده أن يكون الرئيس السابق، فأبى إلا أن يكون الرئيس المخلوع، وهو يستحق. هذا التليفزيون المصري الذي يفتري الأكاذيب

يقول: هناك حوالي عشرة آلاف في ميدان التحرير يحتجون وكذا، أنا أظن أن مصر كلها خرجت من بيوتها، هذه ليست ثورة الآلاف، هي ثورة الشعب المصري كله، بكل أطيافه بكل فئاته: مسلميه ومسيحييه، وفقرائه وأغنيائه، ورجاله ونسائه، ومثقفيه وأمييه، كل الشعب قال "لا" لهذا الطاغية، هل يمكن أن يُخذَل هذا الشعب، وينصر الله الباطل؟ سنة الله تأبى ذلك، البقاء للأصلح، والبقاء للحق: **{وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً}**[الإسراء:81]، **{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ}**[الرعد: 17].

تهنئة الشيخ للشعب المصري:

أنا أهنئ الشعب المصري كله، وأهنئ الشعوب العربية التي رأيتها في كل مكان تحتفل بما جرى في مصر، هنا في قطر خرج الناس بالآلاف المؤلفة من كل البلاد: من القطريين، ومن اليمنيين، ومن الفلسطينيين، ومن السوريين، ومن العراقيين، والجزائريين، والتونسيين، كل الشعوب العربية والإسلامية من هنود وباكستانيين، كل هؤلاء خرجوا فرحًا بما جرى في مصر.

نحن لا يسعنا إلا أن نشكر لله تعالى على ما آتانا من نعمة، وعلينا أن نستمر في هذا الشكر، وأن نستفيد من هذه الدروس الهائلة التي اكتسبناها من هذه الثورة، ومن ميدان الشهداء أو ميدان التحرير أو ميدان ثورة 25 يناير.

علينا أن نظل على ما اكتسبناه، ونظل أيضًا متعاونين مع الجيش، أنا في خطبتي اليوم أرسلت رسالة إلى الجيش المصري، وقلت: إن هذا الجيش لا يمكن أن يكون أقل وطنية من الجيش التونسي الذي نصر الشعب التونسي، وقد كان قام بثورة سنة 1952م، ووقف الشعب وراءه؛ يحمي ظهره، ويشد أزره، الآن الدَّيْنُ على الجيش، عليه أن يرد هذا الدَّينَ لهذا الشعب، وقد رد هذا الدين، وأنا أظن أنه لن يستمر في السلطة ليحكم مصر، وقد قرر ذلك في بيانه الثالث؛ أن يسلم هذا الأمر لمدنيين بعد أن يقوم بالإصلاحات التي لابد منها، والتي ننتظر تنفيذها عاجلاً، ومنها: إلغاء الطوارئ، ومنها الإفراج عن كل المعتقلين، ومنها البدء في إجراءات المرحلة الجديدة التي تنشئ مصرًا جديدة، وتلد مصرًا جديدة، تحقق الآمال، آمال بلد عاش الحضارات، عاش الحضارة الفرعونية، وعاش

الحضارة الإسلامية، وهو جدير أن يكون له مكان تحت الشمس، وإنما الذي يبنيه هم أبناؤه بسواعدهم وعقولهم.



حلقة برنامج الشريعة والحياة[1]

(13 فبراير 2011م)

عثمان عثمان: مشاهدينا الكرام، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أهلا ومرحبا بكم على الهواء مباشرة في هذه الحلقة الجديدة من برنامج الشريعة والحياة.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: **{فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}**[النحل:43]، أمر بسؤال أهل الذكر خاصَّة لتبديد ظلمات الجهل بأنوار العلم، وهذا لا يتحقَّق إلا بفضيلة السؤال، وفي هذه الحلقة الخاصة – مشاهدينا الكرام – مع فضيلة شيخنا العلامة الدكتور يوسف القرضاوي نفتح الباب لتلقِّي تساؤلاتكم المفتوحة عبر بريد البرنامج، وعبر صفحة البرنامج على الـ(facebook)، وعبر الهاتف أيضا، والتي نرجو أن تكون تساؤلات عميقة وجادة ومختصرة ومباشرة.

مرحبا بكم سيدي.

يوسف القرضاوي: مرحبا بك يا أخ عثمان.

انتصار الثورة المصرية وشرعيتها

عثمان عثمان: الحدث اليوم هو الحدث المصري، تلك المظاهرات المليونية التي أدَّت إلى خلع الرئيس المصري حسني مبارك، لكم كلمة في هذا الموضوع؟

[1]- مما تمتاز به قطر: قناة الجزيرة، ومن قناة الجزيرة: برنامج (الشريعة والحياة) الأسبوعي، الذي يقدمه العلامة الكبير الشيخ القرضاوي، مساء كل يوم أحد، في الساعة العاشرة مساء.

يوسف القرضاوي: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن اتَّبع هداه، الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئتَ من شيء بعد.

نبدأ هذا اللقاء بقول الله تعالى: **{قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}**[يونس:58]، وبقوله تعالى: **{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**[الأنعام:45] وبقول رسولنا صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليملِّي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته"[1]. ثم تلا قول الله تعالى:**{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}**[هود:102][2]، **{وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً، وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً}**[الإسراء:80، 81].

هذا يوم من أيام الله، أو هذه الأيام من أيام الله عزَّ وجلَّ، فيها فرح المؤمنون بنصر الله، رأيتُ الناس في مصر، كلِّ مصر، وفي العالم العربي، كلِّ العالم العربي، الذي استطاع الناس أن يعبِّروا فيه، هناك بلاد لا يستطيع الناس أن يعبِّروا فيها عن أنفسهم، هذه البلاد لم نعرف مشاعر الناس فيها، أما كلُّ البلاد التي يمكن للناس أن يخرجوا فيها ويعلنوا فرحتهم، رأينا الناس كلَّهم فرحين، الأمة لم تفرح من قديم، من زمان بعيد، من عشرات السنين لم تفرح بنصر من عند الله عزَّ وجلَّ، فرحت الأمة بهذا النصر فرحا عبَّروا عنه بالبكاء، كلُّ الناس كانوا يبكون، وهذا بكاء السرور، كما قال شاعر النيل حافظ إبراهيم، حين أُقيم له حفل تكريم، فبكى وقال على البديهة:

شكرتُ جميل صنعكم بدمعي	ودمع العين مقياس الشعور
لأول مرَّة قد ذاق جفني	على ما ذاقه دمع السرور

---

1 - سبق تخريجه.

2– متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (4686) ومسلم في البر والصلة (2583)، كما رواه الترمذي في التفسير (3110)، وابن ماجه في الفتن (4018)، عن أبي موسى.

سُرَّت الأمة بهذا النصر، وبسقوط الطاغية، وسقوط الظالمين نعمة عظيمة، لقد فرحت مصر بأن عادت إليها حياتُها، عادت إليها حريَّاتها، عادت إليها ذاتها، كان الإنسان قد فقد ذاته.

أحد الشباب المصريين يقول: أنا أحسُّ الآن أنني إنسان، أن لي قيمة، أن صوتي له أهمية، أن لي اعتبارا. الناس عادوا أحياء يحسُّون بأنفسهم، فأنا أُحيِّي هذا الشباب، أُحيِّي هذا الشعب المصري الثائر على الباطل، الذي غضب للحقّ، وغضب للعدل، وغضب على الظلم، أُحيِّي هؤلاء الشباب الذين ضربوا المثل في الإيثار، في الفداء، في البذل، في التضحية، في أن يتعب أحدهم ليرتاح أخوه، ويسهر أحدهم لينام أخوه، ويؤثره بالغطاء وبالفراش وبالطعام، كأنما هم الأنصار، الذين وصفهم الله في القرآن بقوله:**{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...}**[الحشر:9]، والذين وُصفوا بأنهم: يكثرون عند الفزع ويقلُّون عند الطمع.

هؤلاء الشباب الذين رأيتُ أحدهم الشاب وائل غنيم، الذي اعتقلوه من الأيام الأولى، وهو من الشباب الأوائل الذين خطَّطوا لهذه الثورة، ثم أفرج عنه واحتفل به إخوانه، فقال لهم وما أعظم ما قال، قال: لا تجعلوا منِّي بطلا، أنا لستُ بطلا، الأبطال هم الذين ضحَّوا بأرواحهم واستشهدوا في سبيل الله، والذين جُرحوا وعوِّقوا في سبيل الله، أما أنا فأخذوني لآكل وأنام.

انظر هذا الشباب! هذا الشباب الذين قاوموا البلطجيَّة والمجرمين، الذين حاولوا أن يقتلوهم، الذين جاؤوا بالجمال والبغال والخيول وعربات الكارو، محمَّلين بالسكاكين والأسلحة البيضاء والمواد النارية القاذفة، ولكنهم قاوموهم وليس معهم سلاح، هؤلاء الشباب خرجوا ليس معهم أي سلاح إلا ألسنتهم فقاوموهم، حتى إن بعضهم أمسك بواحد،وكان شابًّا رياضيًّا، أمسك بواحد من عنقه، وقال له: أنا أستطيع أن أقتلك الآن، ولكنني أتمسَّك بقول الله تعالى:**{لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}**[المائدة:28].

هذا الشباب النادر، الذي قام بهذه الثورة، إنها ليست ثورة عادية، إنها ثورة معلِّمة يتعلَّم الناس منها كيف تكون الحياة المثالية الأخلاقية الربانية، أُحيِّي هؤلاء الشباب وأهنِّئهم بما

وصلوا إليه، وأرجو أن يعتبروا أن ثورتهم مستمرَّة، حتى يحقِّقوا أهدافهم، كما أرجوهم أن يكونوا يدا واحدة، ألا يَدَعوا الشيطان يدخل لينزغ بينهم، يجب أن يظلُّوا يدا واحدة، وأن يكون هناك مجموعة منهم تمثِّلهم وتكون واسطة بينهم وبين الجيش، هذا أمر نطلبه من هذا الشباب.

عثمان عثمان: يبدو أنهم بهذا الاتجاه، يوم الجمعة سيشكِّلون لجنة تمثِّلهم.

يوسف القرضاوي:لا بدَّ، لا بدَّ من هذا، وقد حقَّقوا الكثير مما أرادوه، ولكن بقي الكثير أيضا، وأنا بهذه المناسبة أوجِّه كلمة إلى الجيش، كلمة شكر وتقدير في أول الأمر، فالجيش منذ دخل إلى المعركة أعلن أن من حقِّ هؤلاء الشباب أن يعبِّروا عن أنفسهم، ما دام تعبيرا سلميًّا، وهذا حقٌّ مكفول لهم، وأنهم يتفهَّمون مطالبهم المشروعة، وأنه لم ولن -كما عبر الناطق الرسمي باسم الجيش- تمتدَّ أيديهم بأذى إلى هذا الشباب، ولن تستخدم القوَّة ضدَّهم. وما زالوا وراء الأمر حتى تنحَّى الرئيس مبارك. وأنا أعتقد في الحقيقة أنه لم يتنحَّ، ولكنه نُحِّي، فطريقته في التعامل وعناده يأبى عليه أن يتنحَّى، ولكن كان لا بدَّ أن يتنحَّى أو يُنحَّى، وأمسك الجيش، المجلس الأعلى للقوات المسلحة بزمام الأمور، وأنا أطالب القوات المسلحة وقد صنعت اليوم كثيرا من الأمور أعلنوا عنها، أنهم ألغَوا هذا الدستور، وأعلنوا عن لجنة تبدأ في وضع مسوَّدة دستور جديد، وأنهم ألغَوا مجلسي الشعب والشورى المزورين، هذا نحمده لهم، ولكن يعني نطمع في ما هو أكثر من ذلك، نريد أن يفرجوا عن جميع الشباب الذي اعتقل من أجل هذه الثورة. لا زال عدد من الشباب لا يعرف عنهم الناس أين هم؟ ومنهم أحد أقاربي[1]، لماذا يبقى هؤلاء الشباب بعد أن انتصرت الثورة وتسلَّم الجيش السلطة؟ لماذا؟!

ألقينا عهد حبيب العادلي خلف ظهورنا، هذا لا يُقبل إطلاقا، لا بدَّ أن يُفرَج عن كلِّ المعتقلين، بل أنا أطالب بالإفراج عن كلِّ المسجونين السياسيين، الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية الظالمة بأحكام لا يستحقُّونها، انتهى هذا العهد، يجب أن يُفرَج عن هؤلاء الشباب، الذي قضى السنوات ظلما في أقبية السجون، والمصريون في الخارج، الذين لا

[1] - د. هشام مرسي زوج ابنتي الصغرى.

يستطيعون أن يدخلوا لأن هناك سيفا مسلطا عليهم، هو الأحكام التي حكمتها المحاكم العسكرية، كما أريد أن ينفِّذوا ما وعدوا به، وهو إلغاء حالة الطوارئ، قالوا:بمجرَّد انتهاء الظروف هذه سنلغي الطوارئ. انتهت الظروف هذه، لماذا لا تُلغي الطوارئ التي كبلت هذا المجتمع المصري ثلاثين سنة، العالم يعيش في حياة عادية، إلا نحن تحكمنا الطوارئ، آن للمجلس الأعلى للقوات المسلحة أن يقرَّ أعين الشعب المصري بهذا النبأ، إلغاء الطوارئ، إلغاء هذا الكابوس الذي يكبس على أنفاس المصريين منذ عشرات السنين، هذه رسالتي إلى الجيش.

عثمان عثمان: انطلاقا من رسالتكم مولانا، عدد كبير من الإخوة المشاهدين يثنون على موقفكم، ودعمكم لهذه التظاهرات وهذه المسيرات، ويعتبرون أنها كانت أساسية في الوصول إلى ما وصلوا إليه، ولكن في المقابل كانت هناك بعض الفتاوى التي تحرِّم مثل هذه التظاهرات، تعتبرها فتنة، من باب الإفساد في الأرض، بل ذهب بعضهم إلى اتِّهام المشاركين في هذه المظاهرات بأنهم من الخوارج، كيف يمكن توضيح هذه المسألة؟

يوسف القرضاوي: والله هذه حقيقة، وهذا صحيح، وهذا شيء أقابله بغاية الأسى والأسف، أن هناك أناسا ينسبون إلى الدين، وإلى علم الدين، اختلطت عليهم الحقائق بالأباطيل، فاتَّهموا هؤلاء الشباب بأنهم خارجون، الخوارج يعني لهم صفات من هذه الصفات أنهم يكفِّرون مَن سواهم، كلُّ مَن عداهم كافر، وأنهم يستحلُّون دماء الناس وأموالهم، كلُّ مَن عاداهم، حتى إنهم استحلُّوا دم ابن الإسلام البكر فارس الإسلام وحكيم الأمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، استحلُّوا دمه، وقال قائلهم، شاعرهم:

يا ضربة من تقي ما أراد بها   إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوما فأحسبه   أوفى البريـة عند الله ميزانا

يقصد بها عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي، أوفى البرية عند الله ميزانا.

هل الشباب هؤلاء يكفِّرون الناس، هل الشباب هؤلاء يستبيحون دماء الخلق؟ مَن يقول: إنهم من الخوارج؟! هؤلاء الذين ينتسبون إلى العلم، الحقيقة أنهم اتَّبعوا المتشابهات وتركوا

المحكمات، لم يردُّوا الفروع إلى أصولها، ولا الجزئيات إلى كُليَّاتها، ولا الظنيَّات إلى القطعيَّات، وحرَّفوا الكلم عن مواضعه، سمَّوا الأشياء بغير أسمائها، سمَّوا هذه التظاهرات خروجا، كلمة الخروج إذا ذُكرت في الفقه الإسلامي تعني: الخروج المسلح. هل هؤلاء كانوا يحملون أيَّ شيء؟ ما كانوا يحملون أيَّ سلاح، خرجوا ليس في أيديهم شيء، إلا من كان معه مصحف، بلسانهم فقط يهتفون.

وبعضهم جعل هذا التظاهر بدعة، وهذا غير مُسلَّم، أوَّلا البدعة حقيقة في أمر الدين، وهذا ليس من أمر الدين، أمور الدنيا تقوم على الابتداع، وأمور الدين تقوم على الاتباع، فنحن نأخذ من الغرب أشياء كثيرة، هل كان في أيام الرسول مدارس مبنية؟ هل كان هناك مجالس، مجلس شورى، ومجلس شعب؟

عثمان عثمان: نستفيد من الوسائل.

يوسف القرضاوي:هذه كلُّها أدوات،الانتخابات أدوات وآليَّات، وسائل تأخذها من كلِّ ما تشاء، والمسلمون أخذوا الدواوين، سيدنا عمر أوَّل من دوَّن الدواوين، ومصَّر الأمصار. والدواوين أخذها من الروم، دواوين وسجلات، وأخذ الخراج من الفرس، وعمل للمسلمين تاريخا كما عند بلاد الحضارات، هذه كلها ليست مما يعتبر من الابتداع إطلاقا.

وبعد، أنا أقول: الصحابة تظاهروا، عندما دخل سيدنا عمر في الإسلام، قال: لا بد نخرج بقوَّة، لنظهر قوتنا للمشركين. فخرجوا في صفَّين، صف على رأسه حمزة بن عبد المطلب وصف على رأسه عمر، ومشَوا وكأن الأرض تهتزُّ من تحتهم، إظهارا للقوة. أي مانع في هذا؟ فهؤلاء الناس الحقيقة يحرِّفون الكلم عن مواضعه، وأنا آسف جدًّا أن علماء كبارا اتَّهموا هؤلاء الشباب بالضلال، وبالخروج عن الإسلام، وبإحداث الفتنة، وغريب هذا، هؤلاء الشباب الذين قاموا يرفضون الظلم، أنا لا أدري كيف غاب عن هؤلاء الآيات والأحاديث التي ترفض الظلم! مئات الآيات في القرآن الكريم ترفض الظلم، وتلعن الظالمين، وتكره الظلم وأهله، وأن الله {**لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**} [آل عمران:57]، و {**لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**}[البقرة:258]، و {**لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**} [الأنعام:21]،{**وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ..**}[هود:113]،فالركون والميل إلى الظالمين يوجب مساس النار والعياذ

بالله،{وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ}[هود:113]، وتحرموا نصرة الله عزَّ وجلَّ، ثم يقول القرآن:{إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}[القصص:8]، {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ}[القصص:40]، {وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ}[القصص:42]، هم وجنودهم، لماذا الجندي؟ لأن الواحد لا بدَّ أن يقف ضد الظالم، بماذا يستعلي الظالم على الناس، ويستقوي عليهم؟ بالجنود، هؤلاء أدوات الظالم، فالإسلام يعلِّمنا أن نقف في وجه الظالمين.

وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة، منها: "أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر"[1]، "سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله"[2]، "إن الناس إذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمَّهم الله بعذاب من عنده"[3]، "إذا رأيتَ أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم. فقد تُودِّع منهم"[4]، أحاديث كثيرة.

ذكر النبي عليه الصلاة والسلام الظالمين من الأمراء وقال: "فمَن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل"[5]، "مَن رأى منكم منكرا فليغيِّره بيده، فمَن لم يستطع فبلسانه، ومَن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[6]، هؤلاء غيَّروا بلسانهم، ما حملوا سيفا، ولا ضربوا قنبلة.هذه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

عثمان عثمان: ما سفكوا دما، نعم.

يوسف القرضاوي: ولا اعتدَوا على أحد.

1– سبق تخريجه.

2– سبق تخريجه.

3– رواه أحمد (1) وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأبو داود في الملاحم (4338)، والترمذي في الفتن (3057) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في الفتن (4005)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1564)، عن أبي بكر.

4 – رواه أحمد (6776) وقال مخرجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه، والبزار (2374، 2375)، وضعفه الألباني في الضعيفة (577)، عن عبد الله بن عمرو.

5– رواه مسلم في الإيمان(50) وأحمد (4379) والبيهقي في الشعب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(7560) عن ابن مسعود.

6– سبق تخريجه.

مسألة الخروج على الحاكم ومصير الفراعين

عثمان عثمان: مولانا، نأخذ بعض المشاركات من السادة المشاهدين، محمد السيد عبد الناصر من مصر، تفضَّل.

محمد السيد عبد الناصر، مصر: أولا نحن نحيِّي ونهنِّئ فضيلة الشيخ إمامنا الجليل على موقفه العظيم من هذه الثورة العظيمة المباركة، وجعله الله في ميزان حسناته، وقد شرَّفنا في موقفه العظيم.

عثمان عثمان: شكرا جزيلا.الأخ أحمد البهنسي، السعودية.

أحمد البهنسي، السعودية: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، شيخنا جزاه الله خيرا عن هذا البيان الضافي عن المشجِّعات على درء الظلم. كيف نوازن بينها وبين الأحاديث التي يستخدمها بعض المشايخ والآخرين، التي تقول بعدم الخروج على الحاكم "وإن جلد ظهرك، وإن سرق مالك". والتي تؤدِّي وكثير من هذا النوع – أنت تعلم أكثر منِّي – يستدلُّون به على عدم الخروج على الحاكم، أيًّا كان الحاكم، " وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة"[1]. فكيف الموازنة بينهم – يا شيخنا – وافية حتى تتَّضح الرؤية؟ وجزاكم الله خيرا.

عثمان عثمان: شكرا جزيلا. الأخ عبد الله محمد، من السعودية.

عبد الله محمد، السعودية: السلام عليكم، فضيلة الشيخ، أنا مواطن أردني أعيش في السعودية، وعندي سؤال يتعلَّق بأطفالي، أنا كنتُ قبل مجيئي إلى السعودية أعيش في أميركا، كنتُ مغتربا من أجل التعليم، والإطلاع على دولة مصر الشقيقة كان من مجرَّد الأفلام، وللأسف كانت الأفلام السينمائية التي نراها على التلفزيون تعكس واقعا مؤلما جدًّا في جمهورية مصر العربية، سؤالي يتعلَّق بالأزهر الشريف، كأردني أنا عندي طفل عمره خمس سنوات وطفلة عمرها ست سنوات،أريد أن يدرسوا في الأزهر،أرجو أن تعطونا أي معلومات عن الأزهر، لأن ما دخلت مصر في حياتي إلا وأنا طفل مع والدي،والذي أعرفه

[1] – رواه البخاري في الأذان (693)، وأحمد (12126)، وابن ماجه في الجهاد (2860)، عن أنس.

أن هذا الشعب عريق، وهذه دولة عريقة، رائدة الدول العربية كلها، فأرجو أن تفيدونا عن الأزهر، وعذرا لأن معلوماتي محدودة جدا.

عثمان عثمان (مقاطعا): نعم، واضح أخ عبد الله محمد، من السعودية.

مولانا إذن نجيب على هذه الأسئلة إن شاء الله، بعد أن نذهب إلى فاصل قصير، فابقوا معنا مشاهدينا الكرام نعود إليكم بإذن الله بعد الفاصل.

عثمان عثمان: مشاهدينا الكرام، أهلا وسهلا بكم من جديد إلى حلقتنا لهذا الأسبوع من برنامج الشريعة والحياة، وهي حلقة مفتوحة كما ذكرنا لتساؤلاتكم مع فضيلة شيخنا العلامة الدكتور يوسف القرضاوي.

مولانا، الأخ أحمد البهنسي، من السعودية، بعدما قدَّمتم ما يجب في مواجهة الظلم والظالمين، يقول:إن هناك مَن يحرم الخروج على الحاكم، ويستدلُّ ببعض الأحاديث الصحيحة، "وإن جلد ظهرك، وأخذ مالك".

يوسف القرضاوي: أولا هذا ليس خروجا، المقصود بالخروج المسلَّح، والخروج المسلَّح هذا لا يقدر عليه إلا مَن يملك القوَّة، ولذلك أنا قلت: إن التغيير، تغيير نظام الحكم في عصرنا لا بد أن يكون بأحد ثلاثة وسائل:

الوسيلة الأولى: يمكن أن تكون بالطريقة الديمقراطية، إذا كان هناك ديمقراطية حقيقية، نحاول أن نكسب الشعب، ونأخذ أغلبية في البرلمان والسلطة التشريعية، تغيِّر ما تشاء من القوانين، هذه وسيلة.

الوسيلة الأخرى: عن طريق القوات المسلَّحة، إذا كانت القوات المسلحة هي التي تستطيع أن تطيح بالحكم وتأتي بحكم آخر، أكثر بلادنا العربية كلها قامت عن طريق التغلُّب، يسمِّيه الفقهاء التغلُّب عن طريق القوة العسكرية.

وهناك طريقة أخرى: هي عن طريق ثورة الشعب، مثلما حدث في إيران، كان هناك الشاه، ويملك السافاك، ويملك جيشا، وقام الشعب بقيادة الإمام الخميني، وأصبح الشعب في

ناحية، والجيش في ناحية، الجيش ظلَّ يضرب في الناس، ولكن لا يمكن أن يستمر في ضرب الناس؛ لأن الجيش من الشعب، فكفَّ يده، وانتصرت الثورة عن طريق الشعب، وأيضا تونس عن طريق الشعب، وهذه أيضا مصر تنتصر عن طريق الشعب، فهذا ليس خروجا، هذه ثورة شعبية معبِّرة عن إرادة الناس، هذه هي البيعة، هذا هو الرضا العام.

كيف تحصل على الرضا؟ الناس قاموا في مصر معبِّرين عن أنفسهم، المفروض إذًا الناس الذين عندهم بصيرة، يكونون مع هؤلاء الذين يطالبون بالحقِّ، ويرفضون الباطل، وينشدون العدل، ويأبون الظلم، تكون مع هؤلاء، أم مع الظالم، الذي سرق أموال البلد، ونهب الثروات، وصنع الفساد، وعذَّب الناس حتى الموت، وفعل الأفاعيل، تكون مع هذا أم مع هذا؟

أنا أتعجب من هؤلاء المتديِّنين، والذين يدعون العلم، يعتمدون على حديث في صحيح مسلم، حديث حذيفة الذي فيه: "وإن جلد ظهرك، وأخذ مالك". وهذا الحديث ليس من أصول مسلم، أحاديث مسلم نوعان: أحاديث أصول، وأحاديث متابعات. فأحاديث المتابعات هذه لا يدقِّق مسلم فيها تدقيقه في أحاديث الأصول، فهذا حديث من أحاديث المتابعات وقد قال فيه الدارقطني، هذا الحديث، يعني عن أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان: يا رسول الله، إنا كنا بشرٍّ فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير .. إلى آخره.

وفي هذا الحديث: "فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس". قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركتُ ذلك؟

قال: "تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع". هذا الحديث ليس صحيحا، وإن كان في مسلم لكنه من أحاديث المتابعات، وهو مرسل، قال الإمام الدار قطني في الإلزامات والتتبع: أخرج مسلم حديث معاوية بن سلام، عن زيد، عن أبي سلام قال: قال حذيفة: وذكر الحديث. فقال: وهذا عندي مرسل[1]. يعني منقطع. من شروط صحَّة الحديث: أن يرويه عدل ضابط، يعني إنسان عادل مأمون في دينه، ضابط يعني يحفظ جيدا، ذاكرته سليمة تماما، متقنا للحفظ، متصل السند من مبتدئه إلى منتهاه، اتصال السند

---

[1]– الإلزامات والتتبع (53).

شرط في صحَّة الحديث فهذا الحديث ليس متصل السند؛ لأن أبا سلام هذا الذي روى عن حذيفة قالوا: لم يسمع من حذيفة.

عثمان عثمان: يرويه عدل ضابط عن مثله، معتمد في ضبطه ونقله.

يوسف القرضاوي: هكذا، فهناك انقطاع، أبو سلام لم يروِ عن حذيفة، وهذا ما ذكره الدارقطني، وما ذكره ابن حجر، وما ذكره المزي[1]، وما ذكره الكثيرون: أنه لم يروِ عن حذيفة، لم يسمع منه. فهذا الحديث معتمد الكثيرين، الناس يقولون لك: في صحيح مسلم. فهل هو أصل أم متابع؟ لم يبحثوا هذا.

عثمان عثمان: نعم.

يوسف القرضاوي: ثم إن القرآن يحذِّر من الظالمين، ومن الركون إليهم، ويأمر الناس ألا يكونوا جنودا لفرعون، نترك كل هذا.

الكثيرون للأسف من أهل العلم لا يتقنون فقه الموازنات، ولا فقه المقاصد، ولا فقه الأولويات، ويخلط (سمك لبن تمر هندي) وللأسف يفتون الناس في عوائص المسائل، وأصبح هؤلاء الناس يتصدَّرون الفضائيات، ويزعمون أنهم يفهمون في كلِّ شيء، وهم لا يكادون يفهمون، ويضلِّلون الناس، يعطون المسائل غير حجمها، المسألة البسيطة يضخِّمونها، والمسائل الكبيرة يصغِّرونها، فوضعوا الأمر في غير موضعه، وضُلِّل كثير من المسلمين في هذه القضية، هذا ما حمَّسني وجعلني أقف هذا الموقف.

هذه الثورة العظيمة، هذه الثورة من الثورات التاريخية، هذا يكتب للشعب المصري بماء الذهب، ويكتب لهؤلاء الشباب، شباب والله ذكَّرونا بالصحابة، وذكَّرونا بالأمجاد العظيمة.

عثمان عثمان: مولانا، فرعون طغى في الأرض، **{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى}** [النازعات:25، 26]، هناك فراعين العصر أيضا، سقط الواحد تلو الآخر، لماذا لا يستفيد الفراعين الآخرون ممَّن سبقهم؟

---

[1]– انظر: ترجمة أبي سلام: ممطور الأسود الحبشي، في التهذيب.

يوسف القرضاوي: القرآن يقول: {**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**} [ق:37]، إذا كان عنده قلب يفقه به، وعنده أذن تسمع، ويعتبر بالأيام. يقولون: السعيد مَن وعظ بغيره. هم لا يتعظون. أنا قلتُ: إن الأنظمة المستبدَّة والجائرة بكماء لا تسمع، وعمياء لا تبصر، وغبيَّة لا تفهم، وجامدة حجرية لا تحس. فتمرُّ عليهم الأشياء وهم كما قال الله تعالى: {**لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا..**} [الأعراف:179]، تصوَّر حسني مبارك، جرى الذي جرى كلُّه، وسقط المئات قتلى، والآلاف جرحى، وحدث ما حدث، وهو متمسِّك بالكرسي معبوده، مثل فرعون رأى ما رأى من الآيات، كما قال تعالى: {**وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**} [الزخرف:48]، ويقول الله تعالى: {**وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى**} [طه:56] رأى كل هذه الآيات: {**وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**} [الأعراف:132]، وغرهم الغَرور، متى آمن فرعون؟ حينما أدركه الغرق: {**حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ**} [يونس:90]، ما قال: آمنت بالله. لا، {**قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ**}.

عثمان عثمان: هذا شأن الفراعين إذاً.

يوسف القرضاوي: الفراعين هكذا.

المظاهرات ومشاركة الأقباط ودور العلماء في التغيير

عثمان عثمان: نأخذ بعض المشاركات مولانا أيضا، سلطان يوسف جنوب إفريقيا تفضل، باختصار شديد أخي الكريم.

سلطان يوسف، جنوب إفريقيا: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، نحمد الله عزَّ وجلَّ على هذه النعمة والمنَّة من الله تبارك وتعالى، ونشكر هؤلاء الشباب الذين قاموا بهذا النصر العظيم، والشكر موصول لقناة الجزيرة والعلماء.

عثمان عثمان (مقاطعا): شكرا أخي الكريم، سؤالك بارك الله فيك، الوقت ضيِّق جدًّا.

سلطان يوسف: لي نداء، نداء وليس سؤال.

عثمان عثمان: تفضل.

سلطان يوسف: ندائي إلى السيد حسين طنطاوي رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلَّحة، كنتُ أتمنَّى أن يكون أول اتصال له بالسيد إسماعيل هنيَّة وليس باليهود الملاعين، ندائي الثاني للسيد حسين طنطاوي كذلك أن يحاسب هذا العسكري الذي ضرب المعتصمين اليوم، نحن لا نريد أن يضرب أبناء شعبنا مرَّة ثانية، نحن نريد أن نكون أحرارا، نبني بلادنا، نبنيها بالحريَّة، ونبنيها عندما نكون أحرارا، وأدعوا الملايين وليس مليونا أن يكونوا يوم الجمعة القادمة في التحرير، وفي محافظات مصر، نحن نريد إلغاء قانون الطوارئ.

عثمان عثمان (مقاطعا): فضيلة الدكتور تحدَّث في كلِّ هذه المسائل أخ سلطان، شكرا جزيلا لك كنت معنا من جنوب إفريقيا.

الأخ محمد حسن، من السودان.

محمد حسن، السودان: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أوَّلا أحب أن أدعو للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي أن يحفظه الله ذخرا للإسلام والمسلمين، ونحسب أن دعوته يوم الجمعة قد لاقت استجابة بحمد الله سبحانه وتعالى، ولكن هنالك أرى أن الشباب مندفع الآن، وهناك بعض الأجهزة التي يطالب الشباب المصري بحلِّها مثل جهاز أمن الدولة، لماذا لا تعاد هيكلة هذه الأجهزة مرَّة أخرى لتحمي حرية المواطن المصري، وتحمي حرية المنطقة العربية أيضا؟

عثمان عثمان: شكرا جزيلا الأخ محمد حسن، من السودان.

فايز طه، من فلسطين.

فايز طه، فلسطين: السلام عليكم، أطلب من حضرة الشيخ بحكم موقعه عند الناس، ولأنه يسمعه الملايين، ولمنزلة العلماء عند الله، لقول الله تعالى: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ**

الْعُلَمَاءُ} [فاطر:28]، ولكون هذا البرنامج الذي نسمعه ونتابعه هو الشريعة والحياة: أن تكون الكلمة دعوة لأن تطبق الشريعة في كلِ مناحي الحياة، فأرجو أن توجِّه بحكم موقعك يا شيخ، أن تتوحَّد الأمة تحت راية رسولها صلى الله عليه وسلم، وأسألك عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه، عن الفترة التي تتحدَّث عن الحكم الجبري، أن بعدها خلافة على منهاج النبوة، إذا كان هذا الحديث صحيحا، ألا نوجِّه دعوة للأمة لأن تتخلَّى عن الرأسمالية.

عثمان عثمان (مقاطعا): نعم واضح السؤال أخ فايز، أعتذر منك لضيق الوقت.

الأخ فوزي إسماعيل، من السودان.

فوزي اسماعيل، السودان: السلام عليكم، حيَّاك الله شيخنا وبارك الله فيك وجزاك الله خيرا على ما قمتم به، سؤالي لا أعرف لماذا البابا شنودة كان يقول للأقباط: لا تشاركوا في هذه المظاهرة؟

عثمان عثمان: وأيضا كان هناك علماء يقولون بعدم المشاركة في هذه المظاهرة. شكرا جزيلا فوزي إسماعيل، من السودان.

مولانا، الأخ سلطان يوسف تحدَّث كثيرا، ولكن نستطيع أن نستخلص سؤالا مهمًّا، علمنا أن من مات وقتل في هذه المظاهرات هو شهيد.

يوسف القرضاوي: قطعا.

عثمان عثمان: نعم، ما حكم مَن قام بقتله، أو بأذيَّة هؤلاء المتظاهرين؟

يوسف القرضاوي: هؤلاء ارتكبوا كبيرة من أكبر الكبائر: **{مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً..}** [المائدة:32]، هذا لا قتل نفسا، ولا أفسد في الأرض، قام ينادي بالعدل، ويحارب الظلم، ويعمل لمصلحة أُمَّته، فمن قتله ينطبق عليه قول الله تعالى: **{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً}** [النساء:93]، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لزوال الدنيا أهون

عند الله من قتل امرئ مسلم، بغير حقّ"[1]. فهذا قتلٌ بغير حقٍ، حتى إذا كان مأمورا من أيِّ أحد بهذا القتل، مثل البلطجيَّة الذين بعثهم حبيب العادلي، أو فتحي سرور، أو هؤلاء الذين يشتغلون خفية، ولا يبالون بقتل إخوانهم من أبناء شعبهم، لا يشفع لهم الذي قال له: اذهب فاقتل. لأنه من أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة، حتى لو كان جنديًّا، أنا أقول للجنود: إذا أُمرت بقتل واحد لا تنفِّذ، لأنه لا يوجد قانون، ولا دستور، ولا شيء يبيح قتل الناس بغير ذنب، فمن حقِّه أن يرفض .. فهؤلاء الذين ارتكبوا هذه المقتلة، إذا قُتل منهم إنسان فهو من أهل جهنم والعياذ بالله، يعني لا أكفره، إلا إذا استحلَّ هذا؛ لأنه استحلَّ حراما قطعيًّا، واستحلَّ كبيرة من أكبر الكبائر.

عثمان عثمان: الأخ ربيع يقول: ما رأي فضيلة الدكتور في مَن يطالب بإلغاء للمادة الثانية من الدستور المصري، التي تنصُّ على أن الدين الرسمي للدولة هو الدين الإسلامي؟ وربما هذا أيضا يدفعنا لسؤال الأخ فايز طه، من فلسطين، عن موضوع الخلافة التي تأتي بعد الحكم الجبري.

يوسف القرضاوي: الخلافة شيء، والنصُّ على أن دين الدولة الإسلام شيء آخر، هذا أمر أجمعت عليه الأمة، [والمطالبة بإلغاء المادة الثانية من الدستور] أمر ضدَّ إرادة الأمة، الأمة منذ دستور (1923م) أجمعت على ذلك، مسلموها وأقباطها، فالأمة مُجمِعة على هذا الأمر، هل الدولة لا دين لها أم لها دين؟

عثمان عثمان: لها دين.

يوسف القرضاوي: لها دين، والدين الإسلام، والدين الإسلامي ليس معناه أن يُلغى الدين المسيحي، الإسلام يقوم على احترام الأديان السماوية كلِّها، ويرى أن الأقباط لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وهؤلاء الشباب دخل معهم عدد قليل من الأقباط؛ لأنه للأسف البابا شنودة أمرهم أن يكونوا مع جمال مبارك عندما كان مرشَّحا، وأمرهم في هذه الثورة أن يكونوا وراء حسني مبارك، ويقفوا ضدَّ ثورة الشباب المصري عامَّة. فأكثر الأقباط لم يشاركوا، ولكن شارك أعداد منهم، رحَّب الجميع بهم، ورُحِّب بهم وهم يرفعون الصلبان، ويقيمون

[1]– سبق تخريجه.

القداس يوم الأحد. دين الدولة الإسلام هذا أمر أجمع عليه المصريون، ولا يمكن أن يُفرَّط فيه.

عثمان عثمان: الأخت علياء الصالح تسأل عن حكم دفع التبرعات والصدقات أو الزكوات لمثل هذه الحركات التحررية؟

يوسف القرضاوي: نعم، الزكوات، لأنه من مصارف الزكاة مصرف اسمه **(**في سبيل الله**)**، وفي سبيل الله يفسَّر بالجهاد، وهذا نوع من الجهاد؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "مَن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن"[1]. هذا نوع من الجهاد، و"أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر"[2]. فهذا من الجهاد في سبيل الله، يجب أن ندفع فيه إذا ضاقت الموارد الأخرى، ولم يوجد عندنا إلا الزكاة، يُدفع من الزكاة؛ لأن هذا في سبيل الله يقينا.

عثمان عثمان: مولانا أيضا لديَّ سؤال من المغرب، هو كان مطروحا منذ أربعة أسابيع تقريبا، ويلحُّ علي صاحبه، الأخت فاطمة تسأل هل يجوز للمرأة أن تسافر دون إذن وليِّها، وبشكل خاص زوجها؟

يوسف القرضاوي: لا، لا يجوز.

عثمان عثمان: لا يجوز؟

يوسف القرضاوي: لا يجوز، إلا إذا كان لضرورة، وزوجها منعها أو شيء من هذا، إنما هذا في الحالات العادية، وخاصة الزوج. أمور الأسرة في الإسلام لا بدَّ أن تكون بالتوافق والتراضي، **{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ}** [النساء:34]، فلا يجوز للمرأة أن تتمرَّد على زوجها، وإلا لم تعد هناك رابطة زوجيَّة، لا بد أن يتفاهما.

1- سبق تخريجه.

2- سبق تخريجه.

عثمان عثمان: نعم، الأخ يوسف يسأل عن قول الله عز وجل: **{مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ}** [الحج:15]، يسأل عن تفسير هذه الآية.

يوسف القرضاوي: هذه الآية تخاطب الذين ييأسون من أن الله سبحانه وتعالى سينصرهم، ويظنون أنه سيتخلى عنهم، وأنه سيتركهم للظالمين. هذا يسيء الظنَّ بالله عزَّ وجلَّ، وبعدل الله، وبحكمة الله، وبقدرة الله على نصرة المؤمنين، وخذلان الظالمين، فالذي يظن ذلك، أن الله لن ينصره أبدا، يقال له: روح في داهية، **{فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ}**، يعني حبل **{إِلَى السَّمَاء}**، العلماء قالوا: السماء يعني السقف، يعني يشنق نفسه، إذا لم تكن تصدق أن الله سينصرك، فليهلك، ليفعل ما يشاء. هذا نوع من التهديد.

عثمان عثمان: جاءت أسئلة كثيرة من شباب مصريين، وأخت اسمها إسراء، من غزة، يسألون هل لشيخنا خطة أن يعود إلى مصر، ويشارك هذه الجماهير فرحتها؟

يوسف القرضاوي: يمكن أن أسافر في أي وقت، كنت سأسافر الأسبوع الفائت حقيقة، ثم أخَّرت، وفي مطار مصر خرجت إشاعة أني قادم، فعملوا حالة طوارئ في المطار، ولم أذهب، ولكن يمكن أن أذهب إن شاء الله، ربنا ييسِّر.

عثمان عثمان: مولانا، سؤال ورد أيضا مهم جدا، وفي دقيقة واحدة، ربما باختصار شديد، في مصر وفي تونس وجدنا أن الشعوب سبقت العلماء إلى ساحة التغيير، لماذا تأخَّر بعض العلماء عن مواكبة التغيير، ودفع الظلم والظالمين؟

يوسف القرضاوي: بسبب أن بعض العلماء متخلِّفون دينيا، تخلَّفوا دينيا، وتخلَّفوا دنيويا، ولم يقتبسوا من رُوح القرآن، وروح السنة، ومن رُوح الذين جاهدوا في سبيل الله. كثير من العلماء جاهدوا قديما وحديثا، في عهد الحجاج بن يوسف سار العلماء بقيادة رجل معروف اسمه عبد الرحمن بن الأشعث، قاد ثورة العلماء، وفي معركة معروفة اسمها دير الجماجم، وانتصر عليهم الحجاج للأسف، وقتل منهم مَن قتل. والأمير عبد القادر الجزائري في جهاد الفرنسيين، والسنوسيون في جهاد الطليان، وعدد من العلماء كان لهم دور، فنرجو إن شاء

الله أن يعود. العلماء شاركوا بقوَّة في هذه المسيرة في مصر، علماء الأزهر وبعمائمهم، إن شاء الله العلماء يقومون بدورهم إن شاء الله.

عثمان عثمان: يأخذون دورهم المنوط بهم.

يوسف القرضاوي: إن شاء الله.

عثمان عثمان: أشكركم في ختام هذه الحلقة شيخنا العلاَّمة الدكتور يوسف القرضاوي على هذه الإفاضة الطيبة، كما أعتذر من السادة المشاهدين، فقد وردت أسئلة كثيرة جدًّا، الموضوع متشعِّب وواسع، أعتذر لعدم الإجابة على أسئلتهم، أشكركم مشاهدينا في ختام هذه الحلقة على حسن المتابعة، وأنقل لكم تحيَّات معد البرنامج معتز الخطيب، والمخرج منصور الطلافيح، وسائر فريق العمل.

دمتم بأمان الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رد على فتوى: التظاهرات خروج على ولي الأمر

فتوى الدكتور علي جمعة مفتي مصر:

أرسل إليَّ عدد من الإخوة المهتمين ما نشرته أجهزة الإعلام في القاهرة، يطلبون رأيي بصراحة في فتوى صديقنا مفتى جمهورية مصر العربية الدكتور على جمعة، وهو ما استغربنا صدوره منه.

ناشد فضيلة الدكتور على جمعة مفتى الجمهورية المتظاهرين في كل المدن، وخصوصًا في ميدان التحرير العودة إلى بيوتهم، بعد أن استجاب الرئيس حسنى مبارك في بيانه للإصلاحات التي طالبوا بها، حتى تستمر الحياة، وحتى تتجنب مصر شر الفتنة.

وذكّر الدكتور جمعة في نداء وجهه عبر التليفزيون المصري اليوم المتظاهرين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها**"، وبقوله في حجة الوداع: "**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم**".

وحيا مفتى الجمهورية الرئيس مبارك، الذي عرض الحوار، واستجاب لمطالب الشعب!! كما حيا الشباب الذين حركوا الحياة السياسية، واللجان الشعبية التي جاهدت في سبيل الله حماية لمصر.

وخاطب فضيلة المفتى رجال مصر ونساءها، ودعا الجميع إلى أن يتركوا الشرعية تعمل. وقال: إن فراغ السلطة ليس من ورائه إلا الدمار، ونحن نريد التغيير لا التدمير، فالخروج على الشرعية حرام باتفاق المسلمين في الشرق والغرب سلفًا وخلفًا.

وتساءل فضيلة المفتى: لمصلحة من هذا الذي يحدث؟ لأي شرعية، وأي تغيير هذا؟ وكيف يتم؟ هذه دعوة إلى الفوضى وإلى الفتنة وإلى عدم الاستقرار.

وقال: نحن مع الاستقرار.

وأضاف: إن ما يحدث **فتنة وطريق مظلم**، يؤدى إلى **حرب أهلية**، أو على الأقل إلى **إهدار حرمة جموع الناس ودمائهم، والاعتداء على أموالهم**. وفى النهاية **مصر** التي هي وطننا **سوف نخسرها جميعا**، ثم نجلس نبنى فيها عشرات السنين بهذه الطريقة العجيبة **التي ليس فيها تقوى**.

وخاطب المفتى المواطنين في البيوت والشوارع، **كي يمنعوا أولادهم من النزول في الشوارع**، حتى نبدأ بانطلاق جديد ووضع لبناء البلد.

وردًّا على سؤال من التليفزيون المصري حول إمكانية **قيام أطياف سياسية تلبس ثوب الدين** – يقصدون أمثالي من العلماء – **بتحريك هؤلاء الشباب.**

قال فضيلة المفتى: إن الدين للهداية وليس للاستغلال السياسي، أو سُلَّمًا نصل به إلى الأغراض الدنيوية.

وقال: إن الدين يرى السياسة رعاية لشئون الأمة، وليس تدميرًا لشئونها، **والذي يحدث أمامنا مرفوض بكل المقاييس.**

أسئلة في برنامج الشريعة والحياة:

وقد جاءتني بعض الأسئلة عن طريق برنامج (الشريعة والحياة) بقناة الجزيرة، منها:

أ- ما قول فضيلتكم في من يسمي الثورات الشعبية التي تشهدها المنطقة.. بأن أعضاءها ومن يشارك فيها هم من الخوارج.. وأنها من الإفساد في الأرض؟

خالد أبو نور

ب- لماذا ينقسم العلماء أثناء الأحداث الكبرى، مثل الأحداث الأخيرة في مصر، حيث صدرت فتاوى بتحريم المظاهرات بدعوى الخروج على الحاكم، من بعض العلماء المنسوبين إلى السلفية، وآخرين منسوبين إلى الصوفية، فيما شجعت فئة أخرى من العلماء على تلك المظاهرات، مما يجعل المسلم في حيرة من أمره؟

Fady alaib

ج- أهنئ الشيخ الدكتور المناضل يوسف القرضاوي حياك الله وحفظك من كل مكروه .. يا شيخ نسمع من بعض الإخوة بأن المظاهرات من الناحية الشرعية حرام ولا تجوز بحجة الخروج عن الحاكم وإن كان ظالما، ويستشهد هؤلاء ببعض الأحاديث في هذا المجال وأنه لا يجوز إلا إذا أعلن الحاكم الكفر البواح، شريطة الاستطاعة في الإصلاح والتغيير، متحججين أيضا أن المظاهرات ليست من الإسلام، وإنما هي (أجندة) غربية. ويقولون: عليك بأداء واجبك، وسؤال ربك، والصبر.

ماذا تقول يا شيخ في هذا الكلام، وجزاك الله خيرًا؟

Lam Syrian

د- ما رأيكم في علماء السلطة، الذين لم يحركوا ساكنا في ثورة مصر العظيمة، وإن كنا لا نقدر على مواجهة الطغاة، فهل علينا مواجهة هؤلاء العلماء، الذين أضلوا الأمة، وسعوا في تثبيط همة رجالها؟

Hicham al bacha

هـ – في خطاب العلامة يوسف القرضاوي للشعب المصري ذكر عبارتي: الخانعين والمستسلمين. فما حكم الشرع فيهم؟

جبهة الصحراء الجزائرية

و- فضيلة الشيخ شكرًا جزيلاً لكم على دعمكم للثورة المجيدة في مصر، لكن أرجو أن لا يتم استغلالها كباقي الثورات السابقة، بأن يحكم البلاد أناس دخلاء على الثورة باسم الثورة.

حذيفة المغربي (المغرب)

الجواب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه

(وبعد)

أقول: **أولاً:** إنه ليؤسفني أن أجد من العلماء الذين ينتمون إلى الدين، وإلى علوم الشريعة، من علماء الأزهر، ومن علماء السلفيين، وآخرين من الصوفية – برغم تعارض الاتجاه الفكري بين الفريقين: السلفي والصوفي- قد اتفق الجميع، على التحذير من ثورة الشباب المصري البيضاء، التي بدأت في 25 يناير 2011م، وقد تبلورت مطالبها، وصممت عليها.

وجلب هؤلاء العلماء للأسف الشديد ما اتهمتهم به القوى الثورية، والجماهير الشعبية، الذين يمثلون (السواد الأعظم) الذين قال عنهم ابن مسعود رضي الله عنه: ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن، وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح[1]. جلب هؤلاء على أنفسهم أن يسميهم الناس علماء السلطة، وعملاء الشرطة!

[1] – رواه أحمد (3600) وقال مخرجوه: إسناده حسن، وأبو داود الطيالسي (243)، والحاكم في معرفة الصحابة (3/79-78) وصحح إسناده ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (1/428): رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

أقول: يؤسفني أن يكون موقف العلماء ما قرأناه لمفتي جمهورية مصر، وهو يتضمن أغلاطًا أو مغالطات شرعية، يرفضها كل عالم حق لفقه الكتاب والسنة.

كما تتضمن مجازفات في وصف الواقع، لا يجوز أن يتورط فيها مثله، فالتظاهر السلمي حق لكل مواطن كفلته الدساتير، وأعلنه الناطق الرسمي باسم القوات المسلحة بعد ذلك، وأقره العالم كله. وليس خروجًا على الشرعية بحال. وليس بالضرورة دعوى إلى الفتنة والفوضى كما يقول عفا الله عنه.

وقد بدأ حديثه، وفتواه بأن الرسول قال: "الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها"[1].

وهذا الحديث منكر بدأ به المفتي كلامه، وهو حديث لا قيمة له من الناحية العلمية حتى يستند إليه المفتي.

وكلمة (الفتنة) كثيرًا ما تستخدم في غير موضعها، وكل ما يزعج طواغيت الحكام وفراعنتهم، فهو فتنة وشر، وداعية إلي الفوضى والخراب. وكل ما يقرهم على الطغيان والفساد وسرقة المال العام ونهب ثروات الوطن، والسكوت على الحرامية الكبار، اسمه (الاستقرار) وأمن الوطن! وكل دعوة إلى خير أو أمر بمعروف أو نهي عن المنكر، اسمه زعزعة الأمن وتهديد الاستقرار ودعوة إلى الفوضى.

و(الفتنة) التي يحذر الناس من شرها هي التي يقوم فيها أمراء متنازعون، كل منهم يزعم أنه على الحق وعلى الكتاب والسنة، ولا يتبين لعموم الناس من منهم على الحق المبين، فيتزلزل الجميع حتى يتميز محقهم من مبطلهم. فمثل مبارك لا يلتبس على أحد بطلان منهجه، فليس له صلة بكتاب أو سنة.

وقال المفتي: إن ما يحدث فتنة، وطريق مظلم، يؤدي إلى حرب أهلية. والثورة التي قام بها الشباب لم تطلق رصاصة واحدة، ولم ترمِ بحجر، أو تحمل عصا، وإنما دعت إلى مظاهرات سلمية هي نوع من تغيير المنكر باللسان، وهو واجب بنص الحديث الشريف إذا كان مستطاعا، وهو نوع من المجاهدة باللسان. **وهو واجب أيضا ما دام مستطاعا.** فالاستدلال بحديث: "إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم"2، إنما يخاطب به نظام مبارك الحاكم

---

[1] – رواه الرافعي في التدوين في أخبار قزوين (291/1)، قال الألباني في السلسلة الضعيفة (3258): منكر، عن أنس مرفوعًا.

وروي موقوفا علي ابن عمر، رواه نعيم بن حماد في الفتن (31/1) بلفظ: "إن الفتنة راتعة في بلاد الله، تطأ في خطامها، لا يحل لأحد أن يوقظها، ويل لمن أخذ بخطامها" قال السيوطي في جمع الجوامع (207/1): نعيم بن حماد في الفتن عن ابن عمر وفيه سعيد بن سنان واهٍ.

[2] – رواه مسلم في الحج (1218)، وأبو داود في المناسك (1905)، عن جابر بن عبد الله.

الظالم، الذي استحل دماء الناس وأموالهم، وضرب المتظاهرين بالرصاص الحي في صدورهم، وداسهم بالسيارات، ودعس منهم عشرين دعسا! واستحل رجاله ممتلكاتهم، وأموالهم، وسياراتهم.

وقال فضيلة المفتي: هذه دعوة إلى الفوضى، وإلى الفتنة، وإلى عدم الاستقرار، ونحن مع الاستقرار! وكلام المفتي يقيد أن كل نصح يقدم للحاكم، وكل دعوة إلى الخير، أو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، يعد دعوة إلى الفتنة أو الفوضى، وهذا أقصى ما يفتي به جهاز أمن الدولة!

وخاطب المفتي رجال مصر ونساءها، ودعا الجميع إلى أن يتركوا الشرعية تعمل! وهو يقصد بـ (الشرعية) نظام حسني مبارك، الذي نهب الثروات والأراضي، والذي سفك الدماء، وانتهك الحرمات، وزعم المفتي أن الخروج على الشرعية حرام باتفاق المسلمين سلفًا وخلفًا. وهو يعلم علم اليقين –كما يعلم عامة المصريين– أن شرعية حسني مبارك إنما جاءت بالتزوير المكشوف. كما أنه لا يحتكم إلى الشريعة ليستمد منها الشرعية، بل هو يحارب كل من يدعو إلى الشريعة وأحكامها.

وطالب المفتي المواطنين في البيوت أن يمنعوا أولادهم من النزول إلى الشوارع. فقد انضم المفتي بكل قوة إلى ما سماه (الشرعية) التي وقف الشعب ضدها، وطالبت الملايين بإسقاطها.

لقد التبست الأمور على المفتي، ومن وافقه؛ فقهيا جانبه الصواب في الاستنباط، والأمر أوضح من أن يحتاج إلى استنباط، وكذلك لاعتقاده أن نظام الرئيس مبارك هو الكاسب دائما، وهو الرابح في كل معركة، لما معه من القوى المادية والعسكرية ومباحث أمن الدولة، ولم يكن لدى هذه الفئة من العلماء من البصيرة ما يعرفون به قوة الشعب الهائلة، التي هي أقوى من الحكومة والرئيس والحزب.

لقد أيد المفتي ومن وافقه من السلفيين والصوفيين والتقليديين: سلاطين الجور، الذين ضيعوا دين الله، ودنيا الناس، وفرطوا في حدود الله، وحقوق الإنسان، ولم يفقهوا ما قرره القرآن: **{إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}** [القصص:8]، وما قاله الرسول الكريم: "أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر"[1]

---

[1] – سبق تخريجه.

ثانيًا: وصف الإخوة والأبناء المتظاهرين في ميدان التحرير في القاهرة، وفي غيرها من المدن بأنهم من الخوارج، جهل وظلم وإسراف من قائله، يلام عليه أعظم اللوم، بل يذم عليه أبلغ الذم. وهو حرام ممن قاله بلا شك.

أما أنه (جهل)؛ فلأن (الخوارج) لفظ يطلق على فئة من الناس لهم مذهب معروف، وهم يكفرون من سواهم من المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم، وهم يكفرون مرتكب الكبيرة. ويكفي أنهم استحلوا دم ابن الإسلام البكر، فارس الإسلام، وحكيم الأمة، وزوج فاطمة البتول، وابن عم الرسول، وسيف الإسلام المسلول، علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فكيف يقال عن هؤلاء الشباب الأطهار البرآء الشرفاء: إنهم من الخوارج، هم لم يرفعوا على أحد سيفًا ولا عصا؟! وهم جميعًا على مذهب أهل السنة والجماعة؟

وهذا القول ظلم؛ لأنه وضع للقول – أو للاتهام – في غير موضعه، فهو ظلم، وهو إسراف وغلو، والله لا يحب المسرفين، ويكره الغلاة، الذين يقولون غير الحق.

ثالثًا: اتهام هؤلاء الشباب البرآء الأطهار، بالخروج على (ولي الأمر الشرعي) هو كذلك: اتهام باطل، فالخروج المذموم لدى العلماء على ولى الأمر، يعنون به ولي الأمر الشرعي الذي يقف عند حدود الله، ويعنون بـ(الخروج المسلح) الذي تراق فيه الدماء، وتحدث فيه الفتن. أما التظاهر السلمي، فهذه وسيلة وآلية عملية ابتكرها البشر للاحتجاج السلمي على ما يعترض عليه الناس من تصرفات الحكام، وهي صيحات قوية من السهل أن تصل إلى مسامع الحكام، وأن يكون لها أثرها.

ومن قال: إنها بدعة، فقد أساء فهم معنى البدعة. إنما البدعة ما كان في أمر الدين المحض. أما أمر الدنيا فلا حجر فيه، وهو يدخل في حديث: "من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء"[1]

ويدخل فيه ما عرف في تاريخنا بـ (أوليات عمر) كما قيل: إنه أول من مصر الأمصار، ومن دون الدواوين، وأول من جعل للمسلمين تاريخا... إلخ.

فيم يطاع ولى الأمر؟

إن ولي الأمر المسلم ليس ربًا ولا إلهًا، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، بل هو مخلوق مكلف، يأتمر بأمر خالقه، ويقوم بتنفيذ شرعه، فهو صاحب سلطة مقيدة بالشرع الإلهي.

---

[1] – رواه مسلم في الكسوف (1017)، وأحمد (19156)، عن جرير بن عبد الله.

ولهذا ليس له أن يأمر أو ينهي إلا بما أمر الله به أو نهى عنه، وهو إنما يطاع في المعروف، كما قال صلى الله عليه وسلم: "إنما الطاعة في المعروف"[1]

بل قال الله تعالى في بيعة النساء لرسوله:**{وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}**[الممتحنة:12].

روى عنه ابن عمر قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "السمع والطاعة على المرءِ المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[2]، ولا سيما إذا أمر بكبيرة، مثل قتل رجل لم يصدر بقتله حكم قاضٍ صاحب ولاية، ومثل إطلاق النار على المتظاهرين تظاهرًا سلميًا، فهذه معصية، بل كبيرة من أعظم الكبائر. توجب دخول جهنم خالدًا فيها، وغضب الله عليه ولعنه، وإعداد العذاب العظيم له. كما قال تعالى: **{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}** [النساء:93]، ومن هنا يجب تغيير الثقافة السائدة التي يقول فيها الجندي أو الشرطي أو العسكري، ضابطا كان أو جنديًا: أنا عبد مأمور. وتحرف: أنا عبد المأمور. وبهذا يطلق الرصاص الحي على المواطنين المتظاهرين، فيردي من يردي قتيلاً بحجة أنه مأمور، و لو خالف لعوقب. يجب تغيير هذه الثقافة المردودة بالثقافة الشرعية الصحيحة، التي تعلم المواطنين: أن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا سيما إذا كانت هذه المعصية تتمثل في القتل، في ضرب الرصاص في المليان كما يقولون.

وقد بينا فيما سبق معنى (طاعة أولي الأمر)، في قوله تعالى **{وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}** [النساء:59].

وهو ما قاله الخليفة الأول في الإسلام بوضوح في أول خطبة خطبها بعد أن ولي الخلافة. فكان فيما جاء فيها: إن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني. أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم[3].

وفي حديث عبادة بن الصامت في الصحيحين، قال: دعانا رسول الله صلي الله عليه وسلم فبايعناه فقال فيما أخذ علينا: "أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا،

---

[1] – سبق تخريجه.

[2] – متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (7144)، ومسلم في الإمارة (1839).

[3] – سبق تخريجه.

وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله (أي الأمراء في حق الإمارة) إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه برهان"[1].

قال في (الفتح): (وعند أحمد من طريق عمير بن هانئ عن جنادة: "ما لم يأمروك بإثم بواحا"[2]، وفي رواية إسماعيل بن عبيد عند أحمد والطبراني والحاكم من روايته، عن أبيه عن عبادة: "سيلي أموركم من بعدي رجال يُعَرِّفونَكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله"[3]، وعند أبي بكر بن أبي شيبة من طريق أزهر بن عبد الله، عن عبادة رفعه: "سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا تعرفون، ويفعلون ما تنكرون، فليس لأولئك عليكم طاعة"[4]،[5].

وعلق الحافظ في الفتح على قوله: "عندكم من الله فيه برهان" أيْ نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل. ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل. قال النووي: المراد بالكفر هنا المعصية، ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرًا محققًا تعلمونه من قواعد الإسلام؛ فإذا رأيتم ذلك فأنكروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم[6]. انتهى. وقال غيره: المراد بالإثم هنا المعصية والكفر، فلا يعترض على السلطان إلا إذا وقع في الكفر الظاهر، والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينازعه بما يقدح في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر، وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية، فإذا لم يقدح في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق ويتوصل إلى تثبيت الحق له بغير عنف، ومحل ذلك إذا كان قادرًا. والله أعلم.

ونقل ابن التين، عن الداودي قال: الذي عليه العلماء في أمراء الجور، أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب، وإلا فالواجب الصبر، وعن بعضهم لا يجوز عقد

---

[1] – متفق عليه: رواه البخاري في الفتن (7056)، ومسلم في الإمارة (1709).

[2] – رواه أحمد (22737)

[3] – رواه أحمد (22786)، والطبراني في الأوسط (2894)، والحاكم في معرفة الصحابة (357/3).

[4] – رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في الفتن (38876).

[5] – فتح الباري (440/16) بتعليق نظر محمد الفاريابي.

[6] – شرح مسلم للنووي (229/12)، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

الولاية لفاسق ابتداء، فإن أحدث جورًا بعد أن كان عدلاً فاختلفوا في جواز الخروج عليه، والصحيح المنع، إلا أن يكفر، فيجب الخروج عليه)[1] انتهى.

والذي أراه: أن يؤخذ بما يسمى في لغة القرآن والسنة كفرًا، مثل قوله تعالى:{**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**} [المائدة:44]، فينازع بمثل هذا وإن لم يكن كفرًا مخرجًا عن الملة.

---

[1] – فتح الباري (440/16، 441).

هل تأييد التظاهرات السلمية تأييد للفتنة؟

فضيلة الشيخ العلامة يوسف القرضاوي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شكر الله لكم مواقفكم في نصرة الحقِّ، ومقاومة الظلم والاستبداد، وجعل ذلك في ميزان حسناتكم.

(وبعد)

السؤال:

فإن بعض السلفيين والصوفيين وبعض المشايخ الأزهريين من أصحاب المناصب الكبرى، ردُّوا عليك في تأييدك لثورة الشباب الذين قاموا بثورة 25 يناير 2011م ومظاهراتهم السلمية في ميدان التحرير في القاهرة، وكذلك في الإسكندرية والسويس والمنصورة وطنطا والمحلة الكبرى وشبين الكوم والزقازيق ودمنهور وغيرها من المدن والمحافظات المصرية، حتى العريش والواحات.

واتَّهموك بأنك تؤيِّد الفتنة، والخروج على الحاكم الشرعي، الذي أمر الله بطاعته في قوله تعالى: **{أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}** [النساء:59]، واستدلُّوا ببعض الأحاديث، كما في حديث حذيفة عند مسلم: "يكون بعدي أئمَّة لا يهتدون بهُدَاي، ولا يستنُّون بسنَّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس". قال: قلتُ: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركتُ ذلك؟ قال: "تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع".

وهم يؤكِّدون: أن المسلم إذا ابتُلي بحاكم ظالم فاسد، يجب عليه أن يصبر على ظلمه وفساده، ويرضى بقضاء الله تعالى، وينتظر الفرج من الله، ولا يقاوم بأيِّ أسلوب من المقاومة، حتى لا يشقَّ الصفَّ، وتحدث الفتنة، ويخرج عن الجماعة، فإن مَن خرج عن طاعة السلطان شبرًا فقد خلع رِبقة الإسلام من عنقه.

فهل هذه الدعوى صحيحة؟ وما ردكم على هذه الأحاديث التي يستدلون بها؟ التي تجعل الإسلام يسير في ركاب الحكام الظلمة، ولا يقدم أيْ وسيلة للخلاص منهم. نرجو الرد بوضوح وتفصيل، مؤيدا بالأدلة الشرعية. جزاكم الله خيرا.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن اتبع هداه.

(وبعد)

فإني أعتبر من توفيق الله تعالى لي في هذه القضية: أن هداني إلى أن أقف في نصرة الحق، لا أن أداهن في الباطل، ولا تأخذني في الله لومة لائم. ولقد كان بعض من حولي خائفين عليَّ من صراحتي، وبعضهم نصحني أن أمسك العصا من الوسط، لأن العاقبة خطيرة، وليس فيها تراجع. فقلت: وأنا بحول الله تعالى لها أهل، وماذا أريد من الدنيا، وأنا في الخامسة والثمانين؟!

وأخوف ما يخافه الناس في هذا المقام هو الموت، الشهادة في سبيل الله، وهو ما أدعو الله سبحانه أن يختم لي به. وهو موقف اتخذته عن بينة وعلى بصيرة.

اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، اللهم اجعله موقفا خالصا لوجهك.

وإن من أعظم الآفات في فَهم الإسلام وأحكامه ومقاصده: اتِّباع المتشابهات وترك المحكمات، والاعتماد على الفروع والجزئيَّات، والإعراض عن الأصول والكليات، وهو منهج الزائغين الذين ذكرهم الله في كتابه حين قال: **{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ}** [آل عمران:7]، وفي هذه القضية نصوص مُحكَمة أصلية ثابتة، ونصوص متشابهة جزئية فرعية ظنية.

أولاً: لا بد أن يكون أولو الأمر من المؤمنين:

فمن المحكمات الكلية الأصلية هنا: أن الله تعالى إنما أمر بطاعة أولى الأمر إذا كانوا من المؤمنين، كما قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}** [النساء:59]، ومعنى **{مِنْكُمْ}** هنا: أي من المؤمنين المخاطبين، فليست طاعة مطلقة لأيِّ (أولي أمر)، ولو كانوا من الكفَّار أو المنافقين. بل لا بدَّ أن يكونوا من (الذين آمنوا)، أي الملتزمين بعقد الإيمان وموجباته، كما هو مبين في القرآن.

من هم المؤمنون في القرآن؟

فمن هم المؤمنون كما وصفهم القرآن؟

المؤمنون في القرآن مذكورون في سور كثيرة، منها: سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الأنفال، وسورة المؤمنون، وسورة النور، وسورة الأحزاب، وسورة الحجرات وغيرها.

فمن سورة النساء، تقرأ بعد آية: **{أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}**

قوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا}** [النساء:60، 61]، **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** [النساء:65].

وفي سورة المائدة تقرأ سلب الإيمان عمَّن لم يحكم بما أنزل الله، وذلك في قوله تعالي: **{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}** [المائدة:44]، **{فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** [المائدة:45]، **{فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}** [المائدة:47].

ونقرأ فيها قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}** [المائدة:51]، **{وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ*وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ}** [النور:47، 48]، إلى أن يقول:**{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** [النور:51].

وفي سورة الأحزاب: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا}** [الأحزاب:36].

وفي سورة الحجرات: **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}** [الحجرات:15]

فهؤلاء هم (الذين آمنوا) المأمور بطاعتهم في القرآن، وليسوا: الذين لا يتَّخذون الإسلام مرجعا لهم، ولا يحكّمونه في أمورهم، بل إذا قضي الله ورسوله أمرا، كان لهم الخيرة من أمرهم، بل كثيرًا ما ردُّوا أمر الله ورسوله.

ثانيًا: أولو الأمر عند التنازع يرجعون إلى الله ورسوله:

أن أولي الأمر هؤلاء، كما وصفهم القرآن، إذا تنازعوا في شيء ردُّوه إلى الله تعالى، وإلى الرسول، كما قال عزَّ وجلَّ: **{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}** [النساء:59].

وأجمع العلماء: أن الردَّ إلى الله سبحانه يعني: الردَّ إلى كتابه، والردُّ إلى الرسول بعد وفاته، يعني: الردَّ إلى سنَّته. فهل هؤلاء الحكام يردُّون أمرهم إذا تنازعوا إلى الله وإلى رسوله، وبعبارة أخرى: إلى كتاب الله وسنة رسوله؟!

ثالثًا: الطاعة في المعروف لا في المعصية:

إن الطاعة لأولي الأمر المذكورة في الآية قد قيَّدتها النصوص الأخرى، بالطاعة (في المعروف)، فعن علي رضي الله عنه، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية، وأمر عليهم رجلا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم، وقال: أليس قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبا، وأوقدتم نارا، ثم دخلتم فيها. فجمعوا حطبا، فأوقدوا نارا، فلما هموا بالدخول، فقام ينظر بعضهم إلى بعض، قال بعضهم: إنما تبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فرارا من النار أفندخلها؟ فبينما هم كذلك، إذ خمدت النار، وسكن غضبه، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا، إنما الطاعة في المعروف"[1]، وفي رواية: "لا طاعة لبشر في معصية الله"[2]، وفي أخرى: "لا طاعة لمخلوق في معصية الله عزَّ وجلَّ"[3].

أما الحاكم أو ولي الأمر الذي ينشر الظلم، وينهب المال العام، ويشجِّع على نهبه لأسرته وأصهاره وأتباعه، ويحمي الحرامية، ويستعين بالبلطجية والمجرمين على شعبه، ويزوِّر الانتخابات، ويوالي اليهود، ويساعد على خنق أبناء فلسطين عامَّة، وأبناء غزَّة خاصة، لحساب دولة إسرائيل، ويوصل إليهم الغاز بثلث ثمنه الدولي، ويبني الجدار الفولاذي لحماية إسرائيل، فليس هذا من (المعروف) في شيء.

رابعًا: الحاكم أجير عند الأمة:

1- سبق تخريجه.

2- رواه أحمد (1065).

3- رواه أحمد (1095).

إن الحاكم أو ولي الأمر في نظر الأمة ليس جبَّارًا في الأرض ولا مسلَّطًا على الناس، بل هو وكيل عن الأمة، أو أجير عندها، وقد دخل الفقيه التابعي الجليل أبو مسلم الخولاني على معاوية فسلَّم عليه قائلاً: السلام عليك أيها الأجير! فقال له مَن حوله: بل قُل: السلام عليك أيها الأمير. فقال: بل السلام عليك أيها الأجير. وكرَّروا قولهم، وكرَّر قوله، فقال معاوية: دعوا أبا مسلم فهو أعلم بما يقول[1].

أخذ هذا المعنى أبو العلاء، فضمَّنه في شعره حين قال:

مُلّ المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها

ظلموا الرعية واستباحوا كيدها وعَدَوْا مصالحها وهم أجراؤها

ومن هنا قال الخليفة الأول لرسول الله أبو بكر الصديق أول ما وَلِي الخلافة: أيها الناس، فإني قد وُليتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني ... والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أريح عليه حقَّه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحقَّ منه إن شاء الله ... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[2].

وكذلك قال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في خلافته، فعن الشعبي قال : خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال : ألا لا تغالوا في صداق النساء فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال. ثم نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين أكتاب الله تعالى أحق أن يتبع أو قولك؟ قال : بل كتاب الله تعالى، فما ذاك؟ فقالت : نهيتَ الناس آنفا أن يغالوا في صداق النساء، والله تعالى يقول في كتابه: **{وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا}** [النساء:20]. فقال عمر رضى الله عنه : كل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثا ثم رجع إلى المنبر فقال للناس : إني كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق النساء ألا فليفعل رجل في ماله ما بدا له[3].

---

1 – رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (125/2)، وابن عساكر في تاريخه (223/27).

2– سبق تخريجه.

3 – رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار (5059)، والبيهقي في الصداق (233/7) وقال: منقطع، ورواه من طريق آخر عن بكر بن عبد الله المزني عن عمر، وقال عقبه: مرسل جيد، وساقه ابن كثير في تفسيره (244/2–243) بإسناد أبي يعلي ، عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق عن عمر، وقال عقبه: إسناده جيد قوي، وكذلك قال الزيلعي في تخريج الكشاف (297/1–296)، و السخاوي في المقاصد (814)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (522/4–521): رواه أبو يعلى في الكبير وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف وقد وثق.

هذه الأقوال معروفة عند العلماء ويتداولونها في المواعظ، فإذا جاء أوان الفقه والأحكام أعرضوا عنها، وأوجبوا طاعة الحاكم وإن عصى وانحرف، وظلم وتجبَّر وعاث في الأرض فسادًا. هذا مع أن القرآن الكريم صرَّح بأن طاعة الرسول المعصوم إنما تكون في المعروف، كما في قوله تعالى في بيعة النساء في سورة الممتحنة: **{وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}** [الممتحنة:12].

خامسًا: أولو الأمر مأمورون بأداء الأمانات وإقامة العدل:

إن الله تعالى أنزل في القرآن آيتين مهمَّتين في السياسة الشرعية، وبعبارة أخرى في تنظيم الولاية والإمارة بين الناس: آية تتعلَّق بالأمراء وما يجب عليهم، والأخرى تتعلَّق بالرعية، وبتعبير عصرنا: (الشعب) وما يجب عليهم، وذلك في قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}** [النساء:58-59].

وقد تحدَّثنا عن الآية الثانية المتعلِّقة بطاعة الرعية للراعي، وهنا نتحدَّث عن الآية الأولى المتعلِّقة بأولي الأمر، الذين أمرهم الله بأمرين أساسيين:

الأول: أداء الأمانات إلى أهلها، بكلِّ ما تتَّسع له كلمة (الأمانات).

والثاني: الحكم بين الناس بالعدل. والواجب الجمع بينهما.

وعلى هاتين الآيتين أقام شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه القيم: (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية).

ومن الناس مَن يركِّز على الآية الثانية، فيوجب على الرعية طاعة أولي الأمر، دون أن يراعي قيد **{مِنْكُمْ}** في الآية، ثم هو لا يلتفت إلى الآية الأولى فيما على ولي الأمر من أداء الأمانات، والحكم بين الناس بالعدل.

سادسًا: أولو الأمر مسؤولون عن رعيتهم:

أول مبادئ الحكم الراشد: هو الشعور بالمسئولية. فهو مسؤول أمام الله تعالى، وأمام الرعية مسؤول في الدنيا، ومسؤول في الآخرة. وفي ذلك جاء قوله صلى الله عليه وسلم " كلكم راع، ومسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته"[1].

وكذلك حديث: "إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع"[2].

ومن هنا كان التحذير من الإمارة، وسوء عاقبتها.

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة، وما هي؟". فناديت بأعلى صوتي: وما هي، يا رسول الله؟ قال: "أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل، وكيف يعدل مع قريبه؟"[3] رواه البزار، والطبراني في الكبير، ورواته رواة الصحيح.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعمِلُني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: "يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها"[4] رواه مسلم.

سابعًا: أولوا الأمر مشفقون على الرعية ناصحون لهم عادلون فيهم

عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تُقَدَّس أمة لا يقضى فيها بالحق، ولا يأخذ الضعيف حقه من القوي غير متعتع"[5] رواه الطبراني ورواته ثقات.

ورواه البزار بنحوه من حديث عائشة مختصرًا[6]، والطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد جيد[1]، ورواه ابن ماجه مطولا من حديث أبي سعيد[2].

---

1 – سبق تخريجه.

2 – رواه ابن حبان في السير (4492) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرطهما.

3 – رواه البزار (2756)، والطبراني في الكبير (71/18)، والأوسط (6747)، وقال الهيثمي في المجمع (5/364-363): رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط باختصار ورجال الكبير رجال الصحيح.

4 – رواه مسلم في الإمارة (1825).

5 – رواه الطبراني (385/19)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (377/5): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

6 – رواه البزار (223)، وقال الهيثمي في المجمع (355/4): رواه البزار وفيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف، ووثقه ابن معين في رواية، وقال في رواية : ضعيف يكتب حديثه ولا يترك . وقد تركه غيره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من أمير عشرة إلا يؤتى به مغلولا يوم القيامة حتى يفكه العدل، أو يوبقه الجور" رواه البزار، والطبراني في (الأوسط) ورجال البزار رجال الصحيح[3]، وزاد في رواية: "وإن كان مسيئا زيد غُلاًّ إلى غله" ورواه الطبراني في (الأوسط) بهذه الزيادة أيضًا من حديث بُريدة[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه قال: "ما من رجل ولي عشرة إلا أُتي به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يقضى بينه وبينهم"[5] رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا: "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به"[6]رواه مسلم والنسائي.

ورواه أبو عوانة في (صحيحه)، وقال فيه: "من ولي منهم شيئًا فشق عليهم فعليه بهلة الله". قالوا: يا رسول الله، وما بهلة الله؟ قال: "لعنة الله"[7].

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية، يموت يوم يموت وهو غاش رعيته، إلا حرم الله تعالى عليه الجنة"[8]. وفي رواية: "فلم يحطها بنصحه لم يَرَح رائحة الجنة" رواه البخاري، ومسلم.

---

[1] – رواه الطبراني في الكبير (222/10)، والأوسط (4949)، وقال الهيثمي في المجمع (356/4-355): رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات.

[2] – رواه ابن ماجه الصدقات (2426)، وقال في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (1969).

[3] – رواه الطبراني في الأوسط (6225)، والبزار (8492) وقال الهيثمي في المجمع (370/5): رواه البزار والطبراني في الأوسط بالأول، ورجال الأول في البزار رجال الصحيح.

[4] – رواه الطبراني في الأوسط (5757، 6933)، وقال الهيثمي في المجمع (373/5): رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين وكلاهما فيه ضعف ولم يوثق. ومعنى (يوبقه الجور): أي يهلكه الظلم.

5 – رواه الطبراني في الكبير (135/12)، والأوسط (286)، وقال الهيثمي في المجمع (372/5): رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجاله ثقات.

[6] – رواه مسلم في الإمارة (1828)، والنسائي في الكبري في السير (8873).

[7] – رواه أبو عوانة في مستخرجه في الحدود (7023).

8 – متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (7150)، ومسلم في الإيمان (142).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ولي من أمر الناس شيئًا، فاحتجب عن أولي الضعف والحاجة، احتجب الله عنه يوم القيامة"[1] رواه أحمد بإسناد جيد، والطبراني، وغيره.

الإسلام الذي تصوره هذه الفتاوى:

إن فتاوى هؤلاء العلماء التي تحرِّم مجرَّد الاحتجاج السلمي ضدَّ الحاكم الظالم، وتحرِّم نزول الشعب إلى الشارع في مظاهرات سلمية، تقول: لا للظلم. ولا تحمل سيفا ولا بندقية، ولا حتى عصا ولا حجرًا، وتطالب هذه الفتاوى كلَّ الشعب بالاستسلام لإرادة الحاكم الظالم، ووجوب الطاعة المطلقة له ومَن يمثِّله من جنود فرعون وهامان: إنما تصوِّر هذه الفتاوى الإسلام تصويرًا في غاية السوء، تصوِّره دينًا عاجزًا عن مقاومة الحكم الاستبدادي الطاغي، الذي يبغي على الناس، ويفسد في الأرض، ويسوق الناس كالقطعان بسيف القهر والجبروت.

بل على العكس يصوِّرون الإسلام وكأنه يحمي هذا الحكم المتجبِّر، المستكبر في الأرض، وإن تفاقم ظلمه، وازداد علوُّه وطغيانه، فسفك الدماء، وانتهك الحرمات، وانتهب الثروات، وزوَّر الانتخابات، واستعان على قهر شعبه بالبلطجية والعصابات، فليس للناس أكثر من أن يموتوا ويستريحوا، ولا يستخدموا ما يستخدمه المعارضون للحكام في أنحاء العالم من المقالات الصحفية، والرسوم الكاريكاتورية، والقصائد الشعرية، والأناشيد الثورية، والمسيرات السلمية، والإضرابات والاعتصامات التضامنية، فإن حاول الناس استخدام هذه الوسائل في المقاومة، قيل له: اسمع وأطع، وإن جلد ظهرك، وأخذ مالك! وهذا ما أعطى الماركسيين حجة ليقولوا: الدين أفيون الشعوب!

هذا مع أن الإسلام يشرع في مقاومته الظلم، الذي يتمثَّل في الطغيان والفساد، كلَّ وسيلة ممكنة، مادية أو أدبية، تُنهي الظلم والفساد والمنكر، أو تقلِّله وتضيِّق دائرته، حتى إن ألفاظ قنوت الوتر في المذهب الحنفي تحمل هذه العبارات الثورية: نشكرك اللهم ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك!

1 – رواه احمد (22076) وقال مخرجوه: صحيح لغيره، والطبراني (152/20)، وقال الهيثمي في المجمع (379/5): رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات.

والإسلام يجعل السكوت عن الظلم ظلمًا، ويجعل الساكت عن الحقِّ شيطانًا أخرس.

قال تعالى: {**وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**} [الأنفال:25].

موقف الإسلام من الظلم والظالمين:

لم نرَ مثل الإسلام ديانة أو شريعة تكره الظلم، وتنكره وتحاربه بكلِّ وسيلة. فالقرآن يقول: {**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**} [آل عمران:57]، {**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**} [الأنعام:21]، {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**} [المائدة:51]، {**أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**} [هود:18]، {**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**} [الكهف:29]، {**أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ**} [الشورى:45]، إلى آخر الآيات.

والإسلام ينكر الظلم ويحاربه من كلِّ الناس، وخصوصًا من الحاكم؛ لأنه المأمور أن يقيم العدل بين الناس، ويحكم به: {**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**} [النساء:58].

ومن هنا اشتدَّت عناية السنة، واستفاضت الأحاديث في التنويه بالإمام العادل، ومنزلته عند الله.

فهو أول السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله[1]، وأول الثلاثة الذين لا ترد دعوتهم[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"[3].

ويقول: "أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال"[4]

وفي مقابل ذلك يكره الإسلام الإمام أو السلطان الظالم، أو الجائر عن الحقِّ، وكم يعدُّ الله له من العذاب الأليم يوم القيامة بقدر جَوره على رعيَّته، ففي الحديث: " ما من والٍ يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم، إلا حرم الله عليه الجنة "[1].

---

[1] – متفق عليه: رواه البخاري الأذان (660)، ومسلم في الكسوف (1031)، عن أبي هريرة.

[2] – رواه أحمد (9743) وقال مخرجوه: صحيح لغيره، عن أبي هريرة.

[3] – رواه مسلم في الإمارة (1827)، عن عبد الله بن عمرو.

[4] – رواه مسلم في صفة الجنة (2865)، عياض بن حمار.

وكما ينكر الإسلام الظلم ويحرِّمه، ينكر إعانة الظالم على ظلمه، بأيِّ وسيلة من الوسائل، حتى إن القرآن ليشرك جنود فرعون وهامان معهما في الإثم: **{إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}**[القصص:8]، وقال عن فرعون: **{فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ}** [القصص:40].

بل إن القرآن ليحرِّم مجرَّد الركون إلى الظلمة، أي الميل إليهم، وإن لم يصل إلي درجة الإعانة، كما قال سبحانه: **{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ}** [هود:113]، فمع إيعادهم بمس النار، زادهم الحرمان من ولاية الله ونصرته.

الإسلام يقف في وجه الحكام الظالمين:

ومما يجب أن يعرفه كلُّ مسلم: أن الإسلام يقف في وجه الحكام الظالمين، ولا يأمر بالخنوع لهم، والاستسلام لمظالمهم وطغيانهم، كما يشيع بعض الناس. فإن هذا سبب نزول عقوبة الله على المجتمع كلِّه، أما الظالم فلظلمه، وأما غير الظالم، فلسكوته عن الظلم، ولهذا يسمَّى الساكت (شيطانًا أخرس).

وفي هذا يقول القرآن: **{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}** [الأنفال:25]، وروى سيدنا أبو بكر، عن النبي صلي الله عليه وسلم: "إن الناس إذا رَأَوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم الله بعقابه"[2]. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة : " أعاذك الله من إمارة السفهاء ". قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: "أمراء يكونون بعدي، لا يقتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني، ولست منهم، ولا يردوا علي حوضي ، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، وسيردوا علي حوضي"[3].

ويحرِّض النبي صلي الله عليه وسلم كل واحد من أمَّته على تغير المنكر إذا وقع من حاكم أو محكوم – بشرط أن يكون منكرا مُجمَعا عليه – بيده أو بلسانه أو بقلبه حسب استطاعته، فيقول فيما رواه أبو سعيد: "مَن رأى منكم منكرا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع

---

[1] – متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (7151)، ومسلم في الإيمان (142)، عن معقل بن يسار.

2– سبق تخريجه.

3 – رواه أحمد (18126) وقال مخرجوه: إسناده صحيح، والترمذي في الفتن (2259) وقال: صحيح غريب، والنسائي في البيعة (4207)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (2243): حسن صحيح، عن كعب بن عجرة.

فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[1]، ويقول فيما رواه ابن مسعود في الموقف من الحكام المنحرفين: عن النبي صلي الله عليه وسلم: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"[2]، ومعنى التغيير بالقلب والجهاد بالقلب ضدَّ المنكر والفساد والظلم، هو غليان القلب بالغضب عليها، والثورة ضدَّها، وهو يتضمَّن الكراهية، وشدَّة الإنكار القلبي، حتى ينفجر بعد ذلك في عمل إيجابي، وإلا ما سُمِّي تغييرا ولا جهادا. وقد روى مسلم في صحيحه، عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: "سيكون أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع". قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: "لا، ما صلوا"[3]. فهؤلاء الأمراء ليسوا منحرفين تمامًا، ولا فاسدين بإطلاق، بل كما قال: "تعرفون منهم وتنكرون". خير مخلوط بالشرِّ، ومعروف ممزوج بالمنكر، فأين هذا من المنكر الذي لا تجد معه معروفا، ومن الشر الذي لا ترى معه خيرا؟ ومع هذا يطلب من المسلم أن ينكره بقلبه، وأن ينكره بلسانه، ولكن الخطر كل الخطر من رضي وتابع.

ومن التغيير والجهاد باللسان ما جاء في الحديث عن النبي صلي الله عليه وسلم: أنه سئل: أيُّ الجهاد أفضل؟ فقال: "كلمة حقٍّ عند سلطان جائر"[4].

فهل يَمْنَعُ عالمٌ مسلمٌ فردًا مسلمًا أن يقول لأمير أو رئيس: كلمة الحقِّ، يأمره فيها بالمعروف وينهاه عن المنكر؟

وهل تشرع كلمة الحقِّ إذا قالها واحد، فإذا كانوا عشرة أو مائة أو ألفًا مُنعت، مع أنها إذا كثُر قائلوها كانت ادعى إلى الاستجابة.

ومثل كلمة الحقِّ التي تُقال عند السلطان الجائر: التظاهرة السلمية، فهي نوع من الجهاد السلمي، أشبه بالجهاد باللسان. وهذه وسيلة سلمية ابتكرها العالم للاحتجاج والإنكار، وهي

1- سبق تخريجه.

2- سبق تخريجه.

3 - رواه مسلم في الإمارة (1854)، وأبو داود في السنة (4760).

4- سبق تخريجه.

لون من الجهاد أو من تغيير المنكر والظلم والفساد، بالمستطاع للناس، باليد أو باللسان أو بالقلب، وهو أمر واجب ما دام مستطاعًا.

ولو أن مَن تكلَّم بكلمة حقٍّ عند السلطان الجائر، تعرَّض لأن يُؤذَى أو يُسجَن أو يُعذَّب، فهو في سبيل الله، بل لو فقد حياته فهو شهيد عند الله.

ويدخل عندئذ في الحديث الشريف: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله"[1].

حديث: "وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع" منقطع:

وأما الحديث الذي يجعلونه عمدتهم في الاستسلام للحكام الظالمين، وهو ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي سلام، قال: قال حذيفة بن اليمان: قلتُ: يا رسول الله، إنا كنا بشرٍ، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرٌّ؟ قال: "نعم".

قلتُ: هل وراء ذلك الشرِّ خير؟ قال: "نعم".

قلتُ: فهل وراء ذلك الخير شرٌّ؟ قال: "نعم".

قلتُ: كيف؟ قال: "يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهُداي، ولا يستنُّون بسنَّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس". قال: قلتُ: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركتُ ذلك؟ قال: "تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع".

فهذا الحديث رواه مسلم فعلا في كتاب الإمارة (1847)، ومن المعروف لدى علماء الحديث: أن صحيح مسلم يحتوى على نوعين من الأحاديث:

الأول: أحاديث تسمى (أحاديث الأصول)؛ وهذه يدقق فيها مسلم ولا يتساهل في أسانيدها، ويختارها من أحاديث الحفاظ المتقنين المشهود لهم بالعدالة وتمام الضبط.

الثاني: أحاديث تسمى (متابعات)؛ وهذه لا يشترط فيها ما يشترط في الأولى، ولذا قد يدخلها شيء من الضعف. وهذا الحديث من هذا النوع. ولذا قال الإمام الدارقطني في كتابه الإلزامات والتتبُّع (53): وأخرج مسلم حديث معاوية بن سلام، عن زيد، عن أبي سلام، قال: قال حذيفة: كنا بشرٍّ، فجاءنا الله بخير ... قال الدارقطني: وهذا عندي مرسل، (أي منقطع)، أبو سلام لم يسمع من حذيفة، ولا من نظرائه الذين نزلوا العراق، لأن حذيفة توفي

[1] – سبق تخريجه.

بعد قتل عثمان رضي الله عنه بليال، وقد قال مسلم فيه: قال حذيفة (أي لم يقل: سمعت أو حدثني)، فهذا يدلُّ على إرساله.

قال المزي في ترجمة أبي سلام: روى عن حذيفة، ويقال: مرسل. وقال ابن حجر: أرسل أبو سلام عن حذيفة وأبي ذر وغيرهما. وأيد ذلك العلائي في جامع التحصيل، في الرواة المحكوم على روايتهم بالإرسال[1].

وقال النووي في شرح مسلم: قال الدارقطني: هذا عندي مرسل. لأن أبا سلام لم يسمع حذيفة، وهو كما قال الدارقطني، لكن المتن صحيح متَّصل بالطريق الأول، وإنما أتى مسلم بهذا متابعة كما ترى، وقد قدَّمنا في الفصول وغيرها: أن الحديث المرسل إذا رُوي من طريق آخر متَّصلا تبينَّا به صحَّة المرسل، وجاز الاحتجاج به، ويصير في المسألة حديثان صحيحان.

هذا وما قاله النووي رحمه الله مُسَلَّم: إذا لم تكن الزيادة المرسلة تحمل أحكاما جديدة مغايرة لما أفاده الحديث الأصلي المتصل السند. وإلا أثبتنا هذه الزيادة – التي قد تكون خطيرة – بمجرَّد رواية مرسلة (أي منقطعة).

على أن حديث حذيفة – إن صحَّ – هو خطاب خاصٌّ لا يحمل صفة العموم، فلم يرِد في صيغة لفظ من ألفاظ العموم المعروفة، فلعلها وصيَّة خاصَّة لحذيفة تتعلق بأولى الأمر من الصحابة. والله أعلم.

على أن هناك أحاديث صحاحًا أخرى تبيح للمسلم أن يدافع عن ماله، إلى حد القتال عليه، بل إلى حد أن يقتل في سبيله، وإذا قتل فهو شهيد. ففي الحديث المتفق عليه: "من قتل دون ماله فهو شهيد"[2] وفي الحديث الآخر الذي جاء في دفع الصائل على الإنسان في بيته، عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أرأيتَ إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: "فلا تعطه مالك". قال: أرأيت إن قاتلني؟

[1]- صـ (286).

[2] – متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (2480)، ومسلم في الإيمان (141)، عن عبد الله بن عمرو.

قال: "قاتله". قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: "فأنت شهيد". قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: "هو في النار"[1].

[1] – رواه مسلم في الإيمان (140)، وأحمد (8299).

كلمة الشيخ القرضاوي
في مهرجان الجالية المصرية بقطر (فرحة مصر)
(الأربعاء 16 فبراير 2011م)

هذا الشباب الصغير السن، كان معلِّما، هذا الشباب صغير السن كان كبيرًا في حجمه، في مقداره، في تعليمه للشعب كله، في الإيثار، في التعاون، في خدمة الآخرين، في الفداء عن حظوظ النفس، الواحد منهم يسهر لينام أخوه، ويتعب ليرتاح أخوه، ويجوع ليشبع أخوه، يؤثره بالبطانية ، بالفراش، بـ(البالطو) الذي يلبسه، وينام هو على الأرض، وبعضهم من أبناء العائلات المرفهة، هنا في هذه الثورة نسي الترفيه ونسي الراحة، وتركها لإخوانه، هذا شباب يستحق النصر فعلا، لم يكن مجرد شباب عادي ومثله كان يجلس على المقاهي وهذه الأشياء. ولكن هذا الشباب أظهر صبرا على أن يحقق آماله.

تحرر هذا الشباب من الخوف، وهذا أهم شيء في نجاح هذه الثورة، فقد كان يُنظر إليهم كأنهم ذباب، مثل راكب الطائرة حينما يرى العمارات والبنايات والسيارات كأنها نمل أو ذباب، كان يُقال لهم ما قال فرعون للسحرة بعد أن آمنوا: {آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ}[طه:71]، قالوا لهذا الشباب: أثرتُم قبل أن نأذن لكم بالثورة. فلا يجوز للعقول أن تقتنع، ولا للقلوب أن تؤمن، ولا للجوارح أن تتحرك، إلا بإذن فرعون، ثرتم قبل أن آذن لكم بالثورة.

هددهم { فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}[طه:71-73].

هكذا كان موقف هؤلاء الشباب في ميدان التحرير، وانضم إليهم سائر الشعب، فقد كانت في البداية ثورة الأبناء، ثم انضم إليهم الآباء، فأصبحت ثورة الشعب كله.

يقولون: إن استقلال أمريكا تحقق بحوالي مائتي ألف، وأمريكا كانت حوالي مائتي مليون، يعني أن كل واحد منهم يمثل ألفا. وفي الثلاثاء الثاني للثورة المصرية، قُدر

المتظاهرون في أنحاء الجمهورية – كما قدرتها وكالات الأنباء الأجنبية – بثمانية ملايين، يعني أن كل واحد يمثل عشرة، أقول: إن هذه الثورة جمعت الشعب المصري كله، فلا يوجد إلا القليل من الناس التافهين؟؟، ولكن شعب مصر كله كان ثائرا، في الثلاثاء الثاني ثمانية ملايين، وفي آخر جمعة قُدروا بستة عشر مليونا، وقدروا بعشرين مليونا، نعم فالناس كل الناس نزلوا إلى الشارع. فتحيتي وتقديري لهذا الشعب، وتحيتي لهذا الشباب. إنني لا أريد أن أطيل عليكم، فقد سمعتم ما فيه الكفاية، ولكني أريد أن أوجه رسائل شكر.

أول من أشكر، هو الله عز وجل، فنقول: الحمد لله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب والظالمين وحده.

الحمد لله على كل حال، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

لك الحمد مولانا على كل نعمة ومن جملة النعماء قولي لك الحمد

فأول من نحمد ونشكر هو الله عز وجل. ثم أشكر ثانيا: ثورة تونس، فلا بد أن نعلم أن لثورة تونس فضلا، فالفضل للمبتدي وإن أحسن المقتدي، كما يقول العرب، لقد بدأ إخواننا في تونس بالثورة الأولى على هذا الطاغوت، على هذا الذي كان يمسك البلد بقبضة من حديد، ويظن أنه مخلد فيها، أصبح كثير من التونسيين مشردين في كثير من بلاد العالم، منهم من صار له عشرون سنة، ومنهم ثلاث وعشرين سنة أي من بداية فترة حكم هذا الطاغية.

وقد كان حكمه امتدادًا لحكم طاغية آخر، هو أبو رقيبة، فمنذ خمسين سنة كانت تونس في عبودية، فبدأت تونس، وبدأها هذا الشاب: محمد أبو عزيزي في منطقة (سيدي أبو زيد)، وهي منطقة بني هلال، فأبو زيد هذا هو أبو زيد الهلالي. وكان محمد بو عزيزي هذا هو الذي أشعل الثورة في تونس.

ثم انتقلت الثورة إلى مصر بحجم أكبر، ومنهج ونمط جديد وغريب، نمط هذا الشباب المثالي، الذي علَّم الدنيا، كيف تكون الثورات، فشكري بعد شكر الله تعالى إلى إخوتنا في شعب تونس.

ثم شكري الثالث: إلى هذا الشباب الطاهر النظيف القوي الجميل، الذي أصر على أن يحقق ما أراد، والإصرار هذا هو المهم، فالذي أنجح ثورة تونس ثم ثورة مصر هو إصرار

الشباب، رغم أن هناك أناسا أرادوا أن يضلوهم، بعضهم من كبار مشايخ الدين، وبعضهم من كبار القيادات، فأحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقنا على إسكاتهم؛ لأن معنا الحق ومعهم الباطل.

كانوا يريدون أن يعود الشباب بدعوى أنها فتنة (والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها)، نحن مع الاستقرار وليس مع الفوضى. وهؤلاء الشباب لم يُحدثوا فوضى، إنهم كانوا في غاية من النظام الرائع، ولم يحملوا لا عصا ولا حجرا ولا أي شيء، كل ما فعلوه أنهم خرجوا يسيرون ويهتفون، لإزالة المنكر باللسان، وهو درجة من درجات تغيير المنكر، كما حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن رأى منكم منكرا فليغيِّره بيده، فمَن لم يستطع فبلسانه، فمَن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[1]. فهم يغيرون بأوسط الإيمان.

لم يتأثر هذا الشباب بفتاوى الشيوخ وخطب الشيوخ، وإن كان كثير من الخطباء لم يستجب لوزارة الأوقاف التي أمرت الخطباء أن يحثوا الآباء ان يمنعوا أبناءهم من النزول إلى الشوارع، ولكن بعض المشايخ لم يستجب، والشباب لم يستجب لهذا الأمر، فهذا شكري للشباب.

وشكري الرابع إلى شعب مصر، الذي وقف بجوار هذا الشباب، وشد أزرهم.

ثم شكري الخامس إلى جيش مصر، الذي وقف بجوار المتظاهرين من أول الأمر، وقال الناطق الرسمي باسم الجيش: إن حرية التعبير السلمي مكفولة لكل مصري، وأعلن أنه لم ولن يمد يده بسوء لأي أحد من المتظاهرين، ,انه يتفهم مطالب الشباب. وكان موقفه موقفا جيدا، واستمر كذلك إلى أن نحَّى فرعون مصر عن عرشه، ففرعون مصر لم يتنحى، ولا تصدقوا أنه تنحى، إنه نُحي، والذي نحاه الجيش، ولكنهم أناس يستعملون الأدب وهذا الرجل كان حاكما لمدة طويلة، فهو لم يتنحَّ بإرادته. وخرج الجيش ليطمئن الشعب بقوله: إنه ليس البديل الشرعي عن الذي يريده الشباب والشعب، لست بديلا عما يريده الشعب المصري، فطمأننا وبدأ ينفذ، صحيح أن هناك أشياء نطلبها منه، مثل الإفراج عن كل المعتقلين السياسيين، والإفراج عن المسجونين السياسيين، الذين حاكمتهم محاكمات عسكرية ظالمة، المحاكم العسكرية التي حكمت على المدنيين بسنين طويلة، بعضها عشرة، وبعضها خمسة عشر، وبعضها أكثر، فيجب أن تلغى هذه المحاكم ويفرج عن هؤلاء المسجونين، وهذا في

[1] – سبق تخريجه.

يد الجيش، فما الذي يمنعه؟ فهؤلاء حوكموا ظلما، وكل يوم يبقوا في السجون سيسأل الله الجيش عنهم.

كما يجب إلغاء الطوارئ، وقد قال الجيش: بمجرد أن تنتهي هذه الظروف، سيُلغى قانون الطوارئ، وقد انتهت الظروف، ورجع الشباب إلى بيوتهم. فإلغاء الطوارئ التي كلَّفت الشعب المصري ما كلفت طوال ثلاثين سنة، ونريد -كما قال بعض الإخوة المتحدثون- نريد أن تبدأ محاكمة هذا النظام، لا بد أن يحاكم هذا النظام الفاسد، ويرى الناس جرائمهم، يرى الناس بأعينهم ماذا كان يفعل حبيب العادلي، وغرفة جهنم، كما قيل، وتعذيب الناس تحت الأرض، وموتهم تحت التعذيب وغير ذلك.

نشكر أيضا الجيش على اللجنة التي كلفها لتعديل الدستور، برئاسة أخينا العزيز المستشار: طارق البشري، فنشكر الجيش على كل ما يقوم به.

ثم أقدم شكري السادس، وهو شكر خاص أيها الإخوة لدولة قطر، وقناة الجزيرة، فلقد قامت هذه القناة بدور كبير، دور جوهري في إنجاح هذه الثورة، فلقد كان الإعلام المصري؛ المقروء والمسموع والمرئي، وخاصة المرئي والمسموع منه، أما المقروء فقد كان هناك بعض الصحف خاصة الغير قومية، تقول كلمة الحق، أما الصحف القومية، ظلت تنشر الأكاذيب إلى يوم 10 فبراير، وفي ثاني يوم خرجت تقول: أسقطنا النظام. انتصرنا. وعجبا فمن الذي انتصر؟!! انقلبوا 180 درجة.

أما قناة الجزيرة، فقد قامت بدور كبير، ولا أكتمكم، فبعد أن علمتُ بنجاح الثورة، اتصلت على أمير قطر، أهنئه وأشكره، فقال لي: لقد كان دورك أساسيا وقياديا، قلت له: ولكن لولا قناة الجزيرة ما وصل صوتي إلى الناس، فالذي أوصل صوتي إلى الميدان والناس في مصر، أوصل خطبي وبياناتي وكلماتي، كانت قناة الجزيرة، ولذلك فهي تستحق منا غاية الشكر.

هذه كلمات شكر أوجهها إلى كل هذه الجهات، وأشكر كل العرب الذين استطاعوا أن يعبروا عن فرحهم، فهناك من لم يستطع أن يعبر عن فرحته، في كثير من البلاد، في ليبيا، في سوريا، في بعض بلاد الخليج.

وفي رام الله -تصوروا- لم تخرج فيها مسيرة تهنئ مصر، على حين خرجت مسيرات بالآلاف في غزة ورفح وخان يونس، ومن حقهم؛ لأن مبارك هو الذي ساهم في حصارهم

وخنقهم، فلم يسمح بفتح معبر رفح، فعمل لهم جدارا فولاذيا وجدارا حديديا وجدارات كثيرة، وكلما فتحوا منفذا، أو نفقا هدموه، فلذلك كانت فرحتهم غامرة.

ونحن نسأل الله لثورة مصر أن تحقق آمالها وأن تستمر حتى تحقق كل هذه الآمال، ونحن معها، ونحن نشد أزرها، ونسند ظهرها، وندعو الله تبارك وتعالى أن يكون يومها خيرا من أمسها، وغدها خيرا من يومها، وأن يتم نعمته علينا بثورات وثورات، وأعظم ما أسأله تعالى أن يقر أعيننا به -وخصوصا أنا قبل أن أرحل من هذه الدنيا- أن يقر الله عيني وأعينكم بفتح القدس، وندخلها آمنين مكبرين مهللين، الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خطبة جمعة النصر في ميدان التحرير[1]

(18 فبراير 2011م)

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله, يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك, لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئتَ من شيء بعد.

الحمد لله ناصر المؤمنين, ومذل الكافرين, نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره, ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

نحمدك اللهم ونشكرك, ونخلع ونترك مَن يفجرك, لا إله إلا أنت, لا إله إلا الله وحده, صدق وعده, ونصر عبده, وأعزَّ جنده, وهزم الظالمين وحده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, نشهد أن لا إله إلا أنت, مالك الملك, تؤتي الملك مَن تشاء, وتنزع الملك ممَّن تشاء, وتعزُّ مَن تشاء, وتذلُّ مَن تشاء, بيدك الخير إنك على كلِّ شيء قدير.

ونشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله, صلوات الله عليه وسلامه, وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين, وخصوصًا أولي العزم من الرسل: نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين, ومَن اتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فيا أيها الإخوة: يا أبنائي وبناتي, ويا إخواني وأخواتي, ويا أحفادي وحفيداتي من أبناء مصر, جرت عادة الخطباء في الخطب, أن يقولوا: أيها المسلمون. وأنا أقول في هذا الميدان: أيها المسلمون والأقباط, يا أبناء مصر. هذا يوم أبناء مصر جميعا, ليس يوم المسلمين وحدهم.

أناديهم من هذا المنبر, ومن هذا الميدان – ميدان التحرير – بل هو منذ اليوم يجب أن يسمى: (ميدان شهداء ثورة خمسة وعشرين يناير), يا أيها الإخوة, أناديكم من فوق هذا المنبر, ومن ميدان ثورة الخامس والعشرين من يناير.

[1]- أذيعت الخطبة على الهواء مباشر على عدد من القنوات الفضائية، منها قناة الجزيرة والجزيرة مباشر، والقنوات المصرية الرسمية الفضائية والأرضية.

هذه الثورة التي علَّمت الدنيا كيف تكون الثورات, لم تكن ثورة عاديَّة, ولكنها كانت ثورة مُعلِّمة, الشباب الذي انتصر في هذه الثورة, لم ينتصر على مبارك فقط, انتصر على مبارك, وانتصر على الظلم, وانتصر على الباطل, وانتصر على السرقة, وانتصر على النهب, وانتصر على الأنانية, وأقام حياة جديدة بهذه الثورة.

أنا أول مَن أهنئ, أهنئ هذا الشباب، الذي ظنَّ بعضهم أنه لن ينتصر, وأنا في الخطبة الماضية أقسمتُ على المنبر, أقسمتُ بالله العظيم أن هذه الثورة ستنتصر, وأن هذا الشباب لن يُخذَل أبدًا, لأني أُومن بسنن الله التي لا تتخلَّف, وأُومن بوعد الله الذي لا يكذب أبدا, وقد وعد الله بنصر المؤمنين, ووعد الله بإظهار الحقِ على الباطل, **{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}** [الإسراء:81].

لا يمكن أن ينتصر الباطل على الحقِ, فدولة الباطل ساعة, ودولة الحقِ إلى قيام الساعة. **{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}** [الرعد:17].

كان لا بدَّ لهذه الثورة أن تنتصر, وأن ينتصر أبناؤها المؤمنون على ذلك الطاغوت, على ذلك الفرعون الذي هدَّد وتوعَّد, ولكن مصر حينما تؤمن لا تبالي بتهديد فرعون، **{قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ}** [طه: 71]. وهكذا قال الفرعون: أثُرتم قبل أن آذن لكم بالثورة!

لا يجوز للعقول أن تقتنع, ولا للقلوب أن تؤمن، ولا للجوراح أن تتحرَّك قبل أن يأذن الفرعون, أثُرتم قبل أن آذن لكم بالثورة! **{آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ}** [الشعراء:49], إن مصر حينما آمنت قالت لفرعون مُتحدِّية: **{لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ}** [طه: 72], انظروا إلى الإنسان حين يؤمن, والإنسان قبل أن يؤمن, السحرة الذين جمعهم فرعون من كلِّ أنحاء مصر: **{فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ}** [الشعراء:44], وقالوا لفرعون: **{أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ}** [الشعراء: 41], هل هناك مال؟ **{قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ}** [الشعراء:42], هناك مال ومناصب ومنافع كثيرة, ماذا قال هؤلاء المصريون الأصلاء حين آمنوا وظهر لهم الحق؟ **{قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}** [طه: 72-73].

هذه مصر حين تؤمن, لهذا رأينا هذا الشباب, من أنحاء مصر, من كلِّ الطبقات: أغنياء وفقراء, ومتعلِّمين وأميين, وعمالا ومثقَّفين, وكان الأكثرية من المثقَّفين والمتعلِّمين, ذابت الفوارق بينهم, أصبحوا شيئا واحدا, صُهروا في بوتقة واحدة, مسلمين ومسيحيين, ورجالاً ونساء, وشبابًا وشيوخًا, كلُّهم أصبحوا نسيجًا واحدًا, كلُّهم يعملون من أجل مصر, وتحرير مصر من الظلم والطاغوت, وكان لا بدَّ لمصر أن تتحرَّر, لأن هذا الشباب أراد, وإذا أراد الشباب فإرادته من إرادة الله, كنا نحفظ من قديم شعر أبي القاسم الشابِّي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة   فلا بد أن يستجيب القدر

وكان بعض الناس يقول: هل القدر تابع للناس؟! نعم, الله تعالى يقول: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}** [الرعد:11]، غيِّر ما بنفسك: يغيِّر الله حالك, ويغيِّر ما بك.

تغيَّر الشعب, فغيَّر الله ما به, صبر الشعب وضحَّى, لقد نُزع منه الخوف, كان الفراعنة من قديم يخوِّفون الناس .. ينتصرون بالرعب .. يقذفونه في قلوب الناس, ولكن الناس لم يبالوا بفرعون ولا بهامان ولا بقارون, ولا بأمن الدولة، ولا بالتعذيب, ولا بالخيل ولا بالبغال ولا بالحمير, ولا بالقنَّاصين, ولا بالهراوات ولا بالمولوتوف, ولا بشيء من هذا كلِّه.

أصرَّ الشعب, أصرَّ شباب الثورة على ألا يستمرَّ هذا كلُّه, فحقَّق الله آماله, وحقَّق الله أهدافه. تهنئتي لهذا الشعب, ولهذا الشباب الثائر, الذي أودُّ أن أقبِّل أيديهم واحدًا واحدًا, لأنهم رفعوا رؤوسنا بما حقَّقوا .. بما صبروا وصابروا ورابطوا.

هؤلاء الشباب هم الذين صنعوا هذه الثورة, وقدَّموا للناس المُثُل العليا, أنا أعتبرهم كأنهم الأنصار, الذين وصفهم الله في كتابه بقوله: **{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}** [الحشر:9], الأنصار الذين وُصِفوا بأنهم يكثرون عند الفزع, ويقلُّون عند الطمع, الذين كانوا يضحِّي أحدهم من أجل إخوانه, يجوع أحدهم ليشبع أخوه .. يتعب أحدهم ليرتاح أخوه .. يسهر أحدهم لينام أخوه .. يؤثره بالفراش والطعام والشراب على نفسه, هؤلاء هم شباب مصر.

أوصي هؤلاء الشباب أن يحافظوا على هذه الرُّوح .. إن الثورة لم تنتهِ, إن الثورة بدأت تُنتِج .. لا تظنُّوا أن الثورة انتهت .. اعتبروا أن الثورة مستمرة, لأنها ستشارك في البناء, في بناء مصر الجديدة, مصر التي تعلَّمت من هذه الثورة الشيء الكثير.

اصبروا على ثورتكم, وحافظوا عليها, إياكم أن يسرقها منكم أحد .. حافظوا على هذه الثورة .. احذروا من المنافقين، الذين هم مستعدُّون أن يلبسوا كلَّ يوم شيئا جديدا, ويتكلَّموا بلسان جديد, **{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ}** [البقرة: 14], كانوا بالأمس ضدَّ الثورة, واليوم مع الثورة, احذروا من هؤلاء.

أقول للشباب: حافظوا على ثورتكم, وكونوا على يقظة لهذه الثورة. هذا ما أطالب به أبنائي شباب هذه الثورة: أن يستمرُّوا في ثورتهم, وأن يحافظوا على وحدتهم, إياكم ممَّن يدخل بينكم ليفسد هذه الصلة الطيبة, وهذه الأخوَّة التي جمعت بينكم في هذا الميدان, هذه كلمتي إلى شباب الثورة.

وكلمة أخرى إلى الشعب المصري .. الشعب المصري كلُّه .. الشعب العظيم, الذي ذكره الله في القرآن, تصوَّروا أن القرآن لم يذكر بلدا باسمه إلا بلدين: بلدا ذكرها في مناسبة معينة هي: (بابل), وسحر بابل, **{وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ}** [البقرة:102].

و(مصر) ذكرها خمس مرات في القرآن الكريم, لا يوجد بلد ذُكر في القرآن مرات إلا هذا البلد, الذي قال الله فيه: **{اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ}** [البقرة:61]، **{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا}** [يونس:87]، **{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ}** [يوسف:21]، **{أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي}** [الزخرف:51]، **{ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ}** [يوسف:99], وشاء هؤلاء المبطلون أن لا يدخل أحد مصر إلا خائفا, بدَّلوا أمنه خوفا, وشرُّ ما يُصاب به مجتمع: الجوع والخوف، وهم جمعوا على الناس الجوع والخوف.

كانوا هم يسمنون, وشعب مصر يضيع من الهزال, كانوا يسرقون الملايين, وشعب مصر يتقاضي مرتَّبه بالملاليم, هم ينهبون البلد نهبا, ويهربون أموالها إلى الخارج, قالوا: إن ما نهب من مصر خلال هذه السنوات, (3) ترليونات دولار, هذه الأموال لو رجعت, أو رجع نصفها، أو ربعها إلى مصر, لسدَّدت ديون مصر, وغطَّت تكلفة المشاريع لبناء مصر في المستقبل.

أقول للشعب المصري: هنيئا لك أيها الشعب العظيم, الذي اعتنق المسيحية فبذل الآلاف أرواحهم ودماءهم من أجل المسيحية, وحاربهم الرومان وهم مسيِّحيون مثلهم, ولكنهم خالفوهم في المذهب, كانت هناك عصور تُسمَّى: (عصور الشهداء). فلما اعتنق الإسلام

كان فداء لهذا الإسلام .. حارب الصليبيين وأسر ملكهم (لويس التاسع) في المنصورة, وحارب التتار في معركة (عين جالوت) في الخامس والعشرين من رمضان سنة 658هـ, قادها الملك المملوكي (المظفَّر سيف الدين قطز) .. انتصر على التتار الذين لم يكن أحد يقف أمامهم .. انتصر عليهم جيش مصر.

مصر التي كانت قِبلة الثقافة الإسلامية طوال العصور الماضية, قِبلة للعلوم الإسلامية وللّغة العربية, مصر أيها الإخوة انتصرت في هذه الثورة.

وانتصرت على ما كان يُسمَّى (الطائفية) في هذا الميدان, ميدان شهداء الخامس والعشرين من يناير, وقف المسيحي مع المسلم جنبا إلى جنب, وأذكر أمس وأنا قادم من قطر, جاءني شاب وقال لي: أنا فلان الفلاني من مصر, وأنا مسيحي, وأنا ممَّن يتابعك في برنامجك (الشريعة والحياة), وأتابع خطبة الجمعة من قطر, وأنا أعتزُّ بك وأنت تدعو إلى وحدة الأمة, وأنت .. وأنت .. فقلت: الحمد لله عزَّ وجلَّ.

في ميدان التحرير كان الإخوة الأقباط يقفون يحرسون إخوانهم المسلمين حين يصلُّون, وأنا أدعوهم اليوم, لا إلى أن يحرسوا إخوانهم بل أن يسجدوا مع إخوانهم المسلمين شكرا لله تعالى, فالسجود مما يعمل به المسلمون والمسيحيون معا.

في هذا الميدان انتفت هذه الطائفية الملعونة, وذكر الأستاذ الكاتب الساخر (أحمد رجب) بالأمس أنه زار ميدان التحرير, ووجد فتاة مسيحية تصبُّ ماء الوضوء على رجل مسلم, فقال: الآن نجحت الثورة.

كانت حفيدتي تقود جيلا من الشباب يغسل وينظِّف الميادين, ويدهن بعض الجدران التي تحتاج إلى دهان, فمرَّ عليهم قسيس, فقال لهم: هل تحتاجون إلى مساعدة؟ قالوا له: تفضل, فأخرج لهم مبلغ مئة جنيه مصري وقال: هذه مساعدتي لكم. فقبلوها منه واشترَوا بها بعض ما يحتاجون للدهانات وغيرها.

هذه هي الرُّوح المصرية, الرُّوح التي تَسَع الجميع, أنا أرجو من شعب مصر أن يتمسَّك بهذه الوَحدة .. وحدة الصفِّ .. ليس هناك تعصُّب .. كلُّنا مؤمنون, يجب أن نعمِّق إيماننا بالله .. كلُّنا مصريون .. كلُّنا ثائرون على الباطل .. كلُّنا غاضبون للحقِّ, يجب أن تظلَّ هذه الرُّوح, يا أيها الإخوة والأخوات, ويا أيها الأبناء والبنات.

وكلمة إلى جيش مصر, أنا أحيي جيش مصر, أحيي هذا الجيش, فهو درع هذا الشعب وسنده وظهره, وقد قال لي بعض الإخوة: لا تسرف في مدح الجيش, ربما يخيِّب ظنَّك, ولا ينصر الثورة. فقلتُ له: والله لن يخيِّبوا ظنِّي.

وحينما خطبتُ الخطبة الماضية, بعد البيان الأول الذي صدر, وقد أصاب كثيرًا من الناس بالإحباط, قلتُ: إنني مؤمن أن جيش مصر لن يكون أقل وطنيَّة من جيش تونس, جيش تونس نصر ثورة تونس, وجيش مصر الذي دخل أربعة حروب من أجل مصر ومن أجل فلسطين, هذا الجيش لا يمكن أن يخون بلده, لا يمكن أن يضحِّي بالشعب من أجل شخص واحد.

هذا الجيش أشرف وأعقل من أن يفعل ذلك, وأقسمت أن الجيش سينضم إلى الشعب, وانضم الجيش فعلا إلى الشعب, وأصدر هذه القرارات التي رأيناها, وأعلن الجيش من أول يوم أن حق التعبير السلمي مكفول للشعب, وأنها ثورة سلمية, وأعلن أنه يتفهَّم مطالب الشعب, وأنه لم ولن يمدَّ يده, ولن يستخدم القوَّة ضدَّ أبناء الشعب المتظاهرين والثائرين.

هذا الجيش أعلن أنه ليس بديلا عن الشرعية التي يريدها الشعب, ويرتضيها شباب هذا الميدان, كما أعلن أنه متمسِّك بالحرية والديمقراطية, وأنشأ هذه اللجنة لتعديل الدستور في عشرة أيام, أي أنه متعجِّل أن تتغيَّر الحياة إلى حياة مدنيَّة.

هذه اللجنة التي يرأسها هذا الرجل الفاضل المستشار القانوني المؤرِّخ المفكِّر المعتدل المنصف المستشار (طارق البشري), نحن نريد من هذه اللجنة أن تؤدِّي دورها بأسرع ما يكون.

ونطالب الجيش المصري أن يحرِّرنا من الحكومة التي ألَّفها مبارك في عهده, نريد حكومة جديدة، ليس فيها أيُّ وجه من هذه الوجوه التي لم يعد يطيقها الناس, إن الناس كلَّما رأوها تذكَّروا الظلم, وتذكَّروا القتل, وتذكَّروا الباطل, وتذكَّروا وقعة الخيل والبغال والجمال والحمير, وتذكَّروا القنَّاصة التي تقتل الناس, وتذكَّروا السيارة التي تدهس الناس يمينا وشمالا ومن خلف, عشرون قتيلا دهستهم هذه السيارة, لا نريد أن نرى هذه الوجوه.

نطلب من الجيش ومن قيادته أن تحرِّرنا من هذه الحكومة, وأن تُنشئ حكومة مدنيَّة من أبناء مصر, وما أكثر أبناء مصر الشرفاء، الذين لم يرتكبوا مثل هذه الجرائم, نطالب الجيش أيضا أن يُفرج فورا عن المعتقلين السياسيين والمسجونين السياسيين, الذين ضمَّتهم

السجون، وعاشوا سنين طوالا في السجون, بحكم محاكم عسكرية, أو محاكم طوارئ, لا تقيم بيّنة، ولا تهتمُّ بالحقِ, آثار هذه المحاكم يجب أن تزول.

لا أريد لجيشنا الباسل والشريف أن يتحمَّل إثمًا كلَّ يوم، بل كلَّ ساعة تمرُّ وهؤلاء في السجون، يأثم كلُّ مَن تسبَّب فيها, ومَن لم يُزِل هذا الظلم, ما دام يقدر على إزالته، فلا بدَّ أن يزول هذا الظلم.

قبل أن أُتِمَّ كلامي، أريد أن أتوجَّه إلى أبناء مصر, فأنا أعرف أن أبناء مصر ظُلموا كثيرًا, والفئات المختلفة من العمال والفلاحين والموظَّفين طالما ظُلموا, ولكن الله لم يبْنِ السماوات والأرض في يوم، ولا في ساعات, بل بناها في ستة أيام, وكان قادرا أن يبنيها بـ(كن فيكون)؛ ليعلمنا الأناة والصبر والتحمُّل, لا بدَّ أن نصبر قليلا.

أنا أنادي كلَّ مَن عطَّل العمل, وأضرب أو اعتصم, أن يؤكِّد هذه الثورة بالعمل .. مصر تريدك أن تعمل, الاقتصاد المصري يتأخَّر يوما فيوم, ولا يجوز لنا نحن – الذين أيَّدنا الثورة – أن نكون سببا في تأخير بناء مصر .. في تأخير اقتصاد مصر, بل يجب أن نقنع كلَّ إخواننا الذين يُضربون, والذين يعتصمون, أن يصبروا قليلا.

وأنادي الجيش أن يتَّصل بهم ويطمئنهم, ويعدهم بأن يحُلَّ مشاكلهم. هذا ما نريده لمصر, أن تبدأ في مرحلة البناء .. وكلُّ أبناء مصر الآن مستعدُّون أن يبنوا .. كلُّ واحد مستعد أن يبني شيئا في هذا البلد.

وأنا أنادي أبناء البلد جميعا: أن يعملوا للبناء, نحن في مرحلة جديدة .. مرحلة يحقُّ فيها الحقُّ, ويبطل فيها الباطل, ومن حقِّ المصريين جميعا أن يأخذوا حقوقهم, وأن ينالوا ما يستحقُّون, وأن يُنصَفوا, ولكن من واجبنا أن نصبر على إخواننا في الجيش, حتى تتحقَّق الآمال كلُّها, واحدا بعد آخر.

{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة:105].

ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

<u>الخطبة الثانية</u>

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعد، وأشهدا أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد عبد ورسوله، وبعد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، **{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: 58].**

نسأل الله عز وجل أن يجعل يوم هذه الأمة خيرًا من أمسها, ويجعل غدها خيرًا من يومها, اللهم أكرمنا ولا تهنَّا, وأعطنا ولا تحرمنا, وزدنا ولا تنقصنا, اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.

اللهم افتح للشباب هذا البلد فتحا مبينا, اللهم اهدهم له صراطًا مستقيمًا, اللهم انصرهم نصرا عزيزا, اللهم أتمَّ عليهم نعمتك, وأنزل عليهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

وفي ختام دعائي هذا أقول كلمة للأنظمة الحاكمة في البلاد العربية: لا تكابروا, لا تناطحوا المريخ, ولا توقفوا التاريخ .. لن يستطيع أحد أن يحارب الأقدار, ولا أن يؤخِّر طلوع النهار .. الدنيا تغيَّرت, والعالم العربي تغيَّر من داخله, فلا تقفوا أمام الشعوب .. حاولوا أن تتفاهموا معها .. لا تضحكوا عليها .. لا تحاولوا أن تأخذوها بالكلام الفارغ .. حاوروها محاورة حقيقيَّة, لا بالترقيع, لكن بالعمل البنَّاء .. العمل البنَّاء يضع الأشياء في مواضعها, ويحترم عقول الناس, ويحترم عقول الشعوب, هذه رسالتي إلى حكَّام العرب.

ورسالتي إلى إخواننا في فلسطين, أنا عندي أمل, أن الله كما أقرَّ عيني بنصر مصر, أن يقرَّ عيني بفتح المسجد الأقصى, وأن يهيِّئ لي أن أخطب في المسجد الأقصى, اللهم هيئ لنا أن نخطب في المسجد الأقصى, وأن ندخل المسجد الأقصى آمنين, غير خائفين ولا وجلين ولا مفزَّعين! اللهم حقِّق لنا هذا الفتح المبين!

يا أبناء فلسطين، ثقوا أنكم منتصرون, سيفتح معبر رفح لكم, وهذا ما أطالب به الجيش المصري والمجلس الأعلى للقوات المسلحة, افتحوا معبر رفح, افتحوا ما بيننا وبين إخواننا, فغزة من مصر, ومصر من غزة, يجب أن تكون مصر حصنا ودرعا, مصر التي حاربت أربع حروب من أجل فلسطين, لا ينبغي لها أن تقطع الطريق, لا بدَّ أن تُفتَح المعابر التي في أيدينا, خصوصا معبر رفح, نفتحه للقوافل التي كانت تُمنع من إغاثة إخواننا, هذا ما أطالب به جيشنا العزيز الباسل الشريف, أسأل الله أن يهيِّئ لنا من أمرنا رشدا, ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.

وصلِّ اللهم على عبدك ورسولك محمد, وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أيها الإخوة المصلون: هذا الزحام المبارك, حوالي ثلاثة مليون, يجوز لمَن لم يستطع أن يصلِّي خلف الإمام, أن يصلِّي أمامه، ومَن لم يجد مكانا يسجد فيه, فليسجد على ظهر أخيه, هنا الزحمة رحمة, هذه رحمة إن شاء الله, وسنصلِّي الظهر والعصر جمعا إن شاء الله.

أخبار ومقالات

انهيار مراكز الدراسات والأبحاث

(بين رفرفات بوعزيزي.. وتحليق القرضاوي)

موقع أخبار الشرق

(الأربعاء 2 فبراير 2011م)



أحمد معاذ الخطيب الحسني

إهداء: إلى الرجل العظيم (سرهندي سورية، وغاندي الشرق الأوسط، ومانديلا العرب...) والذي كلما غاب يوماً آخر، كلما حُفرت في قلوبنا أخاديد أعمق...

إلى الذي علمنا أن الدين الحق وعمل الأنبياء هو حب وتسامح، وغيرة ووطنية، وعدل وحرية وكرامة، ودفاع عن المستضعفين في الأرض...

إلى القاضي الجليل هيثم المالح ابن الإحدى وثمانين عاماً، والذي لا يغيب عن قلوبنا ولا صلواتنا..

ما جرى في تونس ثم مصر جعل الأنظمة الغربية قبل العربية، ترتعد حتى الأعماق، ومن أقام الأصنام صار أول المتبرئين منها، وربما كان للثورة الفرنسية دوي في أوربة، ولكن انتفاضة الشعب التونسي ثم المصري أعظم بما لا يقاس، وقد دخلتا التاريخ رغم أنوف الجميع.

كثيرة هي المواقف المؤثرة، ولكن من أعظمها تأثيراً في النفس موقف إمامنا العلامة القرضاوي بارك الله لنا في علمه وفضله وحياته، فقد وقف موقفاً غير مسبوق من عالم مسلم، عندما طالب شعب تونس العظيم وشعب مصر قلب العروبة والإسلام، بأن يكملا رحلتهما في تقويض بقية كل نظام فاسد، وأن لا يسمحا لأحد بالالتفاف على مطالب الناس المقهورة، التي انفجرت لكثرة الإذلال والنهب وتمريغ الكرامة ومصادرة القرار والتجويع.

لقد أذل الفراعنة الجدد أمة العرب كلها، وجعلوها في نظر شعوب الأرض أحط الأمم، إذ كان كل ما يفعلون هو تمريغ كرامة أممهم لصالح القوى العالمية، إضافة إلى نهب واستئثار غير مسبوق!

موقف القرضاوي كان في حفظ الصفاء الشرعي لكل حركة مباركة توقد مشاعل الحرية والحياة.

ومعلوم أن كل صنم له كهنة يحرقون له البخور، ويصدعون كل ما يضطرم في قلوب الناس من معاني الحرية والكرامة والعدل، مستخدمين الدين، ومتلاعبين بوجدان الناس البسطاء، عندما يوحون لهم أن الحرية شيء يعارض قدر الله... أما يحصل عليه الناس من مكتسبات، فيقوم الكهنة بقضمه تدريجياً ومسخه حتى يفنى!

يصبح الدين عبئاً على الحياة، ويفقد عمقه الإنساني، ويصبح مجرد أداة تسبيح وحمد وتمجيد لآلهة مزيفة، ووسيلة استعباد شعوب خانعة لا يمكن أن يقودها لحتفها شيء مثل دين أشبه بالسراب.

اشتغلت بعض المجامع الفقهية (السلطوية) بإصدار الفتاوى بتحريم الانتحار وإحراق النفس، وكأن هناك إنساناً ما في الأرض كلها لا يعلم أن قتل النفس حرام، ولقد شويت الشعوب المسلمة بالنار، ولم يتحرك أحد من الكهنة، لأن الأسياد أرادوا ذلك الشواء.

أما عندما التقت الإرادة الكونية مع الإرادة الشرعية ليحصل قدر لله عظيم، فهناك حصل استنفار علماء السلطة في كل آن.

(إذا هبت رياح التغيير من الشعب لن يستطيع أحد أن يوقفها أو يحارب الأقدار، لذا فسيروا يا أبناء مصر في هبتكم السلمية).

للدين دائماً شروط فنية، ومعان ومقاصد عميقة، وعندما يسيطر الضعف ينهمك الناس في الحرفية أو السطحية، وينسون المقصد العميق، والبعد الإنساني غير المسبوق، الذي لا يمكن لشيء أن يصنعه مثل تدين وجداني مرفرف وفاتن وأخاذ..

بوعزيزي خالف الشروط الفنية والتي نسلم بوجوب طاعتها حرفياً، وأحرق جسده الفاني وقتل نفساً هي أمانة بين يديه ليس له حق التصرف فيها.

أعاد القرضاوي التذكير بأن قتل النفس كبيرة من الكبائر، ونهى الناس عن ذلك.

لكن محمد بوعزيزي أضرم النار في نفسه، لأن القهر الذي تعرض له أكبر من أن يحمله هذا الجسد الضعيف الفاني و(كان لابد أن يكون ما كان أمام هذا الشعب وهو يغلي في داخله.. انفجر هذا البركان وأحرق نفسه).

شهيد الحرية لم يكن معترضاً على قدر الله وهو يشعل النار بنفسه –التي حرم الله قتلها– بل كان يشعل روحه من أجل أن يستدعي قدر الله الذي أتى سريعاً فطوى في أيام ما بنته الديكتاتورية القاتلة وأمها الفرنسية خلال عقود.. قتل النفس في الأصل جريمة شرعية وانسحاب جبان من قدر الله، ولكن استدعاء قدر الله ليس جريمة، بل شهادة وسمو وتحليق.

لم يكتف القرضاوي بإعطاء الصفاء والصفة الشرعية لما حصل في الأرض، بل أيقظ المعنى العميق لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من ميت مسلم يقوم على جنازته أربعون رجلا، كلهم يشفعون فيه إلا شفعهم الله فيه"[1].

وقام القرضاوي بتفعيل البعد الغائب في الدين، وأعاد دوره الإنساني العميق، عندما سأل الله لبوعزيزي الرحمة والمغفرة، وطلب من المسلمين في الأرض أن يتجهوا إلى الله بطلب المغفرة لأخيهم العظيم. وإن الله ليستحي إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفراً خائبتين. فكيف بالملايين التي أحيا بوعزيزي الكرامة في قلوبها؟

هناك أمر نسي الخائفون من الانتحار أن يذكروه للناس، وهو ما جاء في صحيح مسلم عندما هاجر الطفيل بن عمرو، ومعه رجل من قومه إلى المدينة. فأصابه مرض جزع منه فقطع شرايينه، فنزف حتى مات، فرآه الطفيل ابن عمرو في منامه في هيئة حسنة، مغطياً يديه. فقال له: ما صنع بك ربك ؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم. فقال: ما لي أراك مغطيا يديك ؟ قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت. فقصها الطفيل على النبي المعلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم ! وليديه فاغفر "[2].

اللهم عبدك بوعزيزي أمسى في ضيافتك، اللهم فأسبغ عليه من حلل رضوانك ورحمتك بعدد من أحيا الحرية والكرامة في قلوبهم.

– حلق القرضاوي بفقهه الإنساني عندما تكلم عمن سفح دمه رخيصاً من أجل الحرية: (كلهم شهداء إن شاء الله، لأنهم يدافعون عن الحق ويقاومون الظلم والطاغوت... هناك

---

[1] – رواه مسلم في الجنائز (948)، وأحمد (2509)، وأبو داود في الجنائز (3170)، عن ابن عباس.

2 – رواه مسلم في الإيمان (116)، واحمد (14982)، جابر بن عبد الله.

أكثر من مائة شهيد).. ولم يدخل إمامنا في التفاصيل الفنية للشهيد بل من خلال بوابة أوسع، لأن النبي المعلم عليه الصلاة والسلام يقررفي الأحاديث الصحيحة أن الله غفر لرجل أزاح غصن شوك من الطريق[1]، وفي رواية: أنه لم يعمل خيراً قط! [2] كما أن الله غفر لإمراة بغي سقت كلباً شربة ماء[3].

– بين القرضاوي أن المتظاهرين لم يؤذوا شرطياً واحداً (وهؤلاء الناشطون من أجل الحرية والكرامة لم يكونوا يطلقون النار على أحد).. وإن المنهج السلمي في الحركة لإزالة الظلم هو المنهج الصحيح. وقد أفتى القرضاوي بتحريم إطلاق الرصاص على المتظاهرين وقال: (أي شرطي يطلق النار على متظاهر لم يبدر منه ما يستحق القتل مجرم وأثم)، وطالبهم بعدم الاستجابة لقادتهم: (ومن يقول إنه عبد المأمور أقول له: أنت عبد لله والقتل حرام). وفي المقابل حرم القرضاوي تحريما قاطعا الاعتداء على رجال الشرطة من قبل المتظاهرين، وقال: (هم منا ونحن منهم ودماؤهم محرمة، ولعلهم يشكون مما نشكو، ولو أتيحت لهم الفرصة لانضموا إلى الجمهور)، مشدداً على حرمة المساس بالممتلكات العامة والخاصة.

– ترحم القرضاوي على شهداء "يوم الغضب" الذين سقطوا ضحية، مؤكداً: (أن دماءهم لن تذهب سدى، ومن الممكن أن تتحول هذه الدماء إلى الشرارة التي تشعل النار)، وقال (فليحذر من يعيش في القصور بعيداً عن مطامح الناس من تلك الشرارة).

– رفض القرضاوي التفرقة التي رعاها الحكام، وأعاد التحام الأمة كلها مع بعضها: (كل تلك البلاد الإسلامية بلادي، وكل الشعوب أهلي).

هاهي الشعوب تسترد كرامتها وبقوة، ودون أن تستعين بأي غطاء سياسي دولي، وبشكل سلمي كامل يعطي الشعوب القوة الذاتية الهائلة والإنسانية البعيدة عن الاحتواء والتفريغ، وبوعي غير منظور، يحمله شباب وصبايا مثل أكمام الزهور، وكما كنس شعب تونس

1 – إشارة إلى الحديث المتفق عليه: "بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخذه، فشكر الله له، فغفر له". رواه البخاري في الأذان (652)، ومسلم في الإمارة (1914)، عن أبي هريرة.

2 – رواه أبو داود في الأدب (5245).

3 – إشارة إلى الحديث المتفق عليه: "بينما كلب يطيف بركية، كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته فغفر لها به". رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (3467)، ومسلم في السلام (2245)، عن أبي هريرة.

العظيم الفرعونية من بلاده، وكما يتوق شعب مصر العظيم للحرية، فقد أزاح العلامة القرضاوي بفقهه المتقدم مئات الأعوام من فقه سدنة السلاطين، عشاق الولائم وأذناب الفراعين والذين كانوا أكبر داعمين للظالمين، فأحد مصائب الأمة حقيقة هو تخديرها باسم الدين، وسلبها حريتها باسم الله، وتعبيدها للطواغيت باسم شريعة تئن مما صار يحمل على أكتافها من الموبقات وهي منه براء.. كمثل خرافة ولاية المتغلب، وطاعة ولي الأمر لمن لا ينتسب للأمة في شيء، بل إجبارها على الدعاء للحكام الظالمين في أخص خصوصياتها (كخطبة الجمعة) بينما تلعنهم الأمة في أعماق القلوب.

ًلقد حفظ القرضاوي بكلامه الواضح لأي حركة تقاوم الظلم صفاءها الشرعي، وحلق كما لم يحلق أحد مثله في هذا الزمان، ليعطي الدين بعده الإنساني المرفرف النبيل. ويجدد من بعض معانيه على مستوى التأصيل والتفعيل.

أئمتنا الكبار كانوا مدافعين عن خط الحرية في الأمة، فمات أبو حنيفة في السجن، وضُرب مالك لعدم اعترافه بشرعية الإكراه، وسجن أحمد وجُلد وحورب، كما تم جر الشافعي بالسلاسل من اليمن إلى بغداد.

أما الإمام زيد فقد نُكِّلَ به وبجثته المصلوبة تنكيلاً غير مسبوق، وبقي ذبح سعيد بن جبير شاهداً للحق إلى يوم الدين.

كما شقت الكنيسة في أميركا اللاتينية وكذلك في جنوب أفريقية خطاً إنسانياً رائعاً.. عندما انفصلت عن الخط الكنسي المرتبط بالقوى الدولية، وأعطت النضال ضد الظلم شرعية دينية.. وثار الرهبان البوذيون على الظلم في ميانمار بشكل غير مسبوق.

في تونس التقت هتافات الله أكبر.. مع صور غيفارا.. وأصحاب اللحى والمحجبات مع الصبايا اليساريات وناشطي الحراك المدني.. كلهم كان في موكب توحيدي من نوع خاص.. يعيد للأمة ما حرمت منه...

وفي مصر اندفعت الجموع المقهورة من كل الأطياف، لتعلن أن حبها لأوطانها أكبر من كيد الفراعين، وإذا بها تحمل رجال الجيش على الأعناق وتطوف بهم وهدير الرحيل للظالمين يدوي، بينما أرسل الحزب الحاكم مرتزقته لينهبوا ويسرقوا كي يشوهوا صورة الحركة الوطنية العظيمة، وبذلك أثبت الحزب الحاكم أنه مجموعة لصوص لا غير لا يهمها البلد في شيء.

في مصر العظيمة.. مصر أم التاريخ بل صانعة التاريخ ورمز كرامة العرب والمسلمين.. هدرت الأمة هديرها الذي يغيب عنه الحكام المساكين كلما سكروا بخمرة السلطة ونشوة الأمن ووهم السجون وغرور الدعم الخارجي. وتغيب عنه قوى الاستكبار العالمية.

سنوات تمر والشعوب تستجدي وتشحذ أبسط الحقوق، وغرور القوة يجعل الحكام عميان قلوب وأبصار، فيمعنون إذلالاً ونهباً وتحقيراً لشعوبهم وتغييراً في ثقافة الأمة وهويتها وتغريباً لها، وبذلها رخيصة في كل سبيل.

حركة تونس ومصر وما سيتلوها هي الرسالة التي لن يفهمها الأغبياء أبداً..

مراكز الدراسات الغربية مذهولة، والدبلوماسية الأميركية الحمقاء والإنكليزية الماكرة والفرنسية الخبيثة التي تتصرف في بلادنا وكأنها كلأ مستباح، كلها في حالة صدمة.

الأنظمة الغربية تعطي توجيهاتها وملاحظاتها، وكأننا أيتام بحاجة إلى وصايتهم السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية.. ومجرم الحرب توني بلير صرح من القدس بخشيته من تأثير الحركة في مصر على (إسرائيل). كما خرجت الخارجية الأميركية بتصريحات متذبذبة، أما الإعلام الأوربي فقد تعامل بتحيز واضح، ويكفي مقارنة تغطيته لأحداث جورجيا وأوكرانيا وحتى إيران، مع تغطيته الحالية لأحداث تونس ومصر، لتعرف قيم الحرية والعدالة والديمقراطية التي يتاجر بها الغرب، ولعل كلام أوباما هو الخلاصة، عندما فهم منه الناس مايلي: مرحبا بالديمقراطية إذا لم تخالف مصالحنا.

مهما كانت النتائج فقد انكسر السد وقد تفلح بلدان وتخفق أخرى، ولا أعتقد أن ما يجري في مصر سوف يمر بسهولة، لأن النظام هناك دعامة أساسية في التوازنات الدولية، من أجل دعم إسرائيل ولأسباب أخرى.. وسقوطه سيغير خريطة التاريخ بشكل مذهل، ولكن مهما حصل فالفعل الإنساني الرائع للشعوب غير قابل للعكس..

إن انهيار النظام المصري بداية انهيار النظام الاقليمي الدولي، ثم تداعي الدولة اللقيطة (إسرائيل) أما انهيار مصر نفسها فهو رغبة (إسرائيلية) هائلة من مشروعها المخيف لتشظية المنطقة إلى كيانات طائفية بغيضة.

لم تعد قرارات الأمم متعلقة بتيار أو حركة أو نخبة ما، بل هي تيار حقيقي نابع من صميم آلام الأمم والشعوب.

الوعي الإسلامي تقدم جداً، وليس للإسلاميين مطالب خاصة على الإطلاق، ونفضل أن يصل الإيمان إلى أصحاب الكراسي على أن يصل أصحاب الإيمان إلى كراسي الحكم، كما يقول الندوي، وإن أي بلد يحمل الحرية والعدل لشعبه فهو بلد مسلم أصيل ولا تهمنا الشعارات.

إننا نشارك كل الناس في أي بلد في المطالب الإنسانية الأساسية وأهمها:

إلغاء أحكام الطوارئ واحترام القانون، ومنع هيمنة الحزب الواحد، وإطلاق الحريات العامة، والإفراج عن المعتقلين السياسيين، واحترام كرامة الناس من خلال تكافؤ الفرص، ومنع النهب للأموال والاستئثار بمقدرات البلاد، إضافة إلى أمر صار مهما جدا: منع توريث الحكم وعدم السماح لأي حاكم بأن يجدد فترة حكمه أكثر من مرة مهما اعتبر نفسه من حكماء الزمان.

ليرحمك الله يا بوعزيزي فقد كانت عربة الخضار التي تقودها تدفع عربة أخرى تقود التاريخ.

وبارك الله بإمامنا العظيم العلامة يوسف القرضاوي، والذي لا يعلم الأكثرون أن آثار السياط قد حفرت أخاديدها في ظهره من التعذيب في سجون الظالمين وحتى اليوم وقد تجاوز الثمانين.

{وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا...}[الحشر:2].



تصريح جورج إسحاق حول خطبة النصر

(19 فبراير 2011م)

أبدى جورج اسحق المنسق العام لحركة كفاية لوكالة فرانس برس السبت الإعجاب الشديد بخطبة القرضاوي.

وقال: انه خطاب قومي مصري, وليس فيه أي إشارات بأنه يقود الثورة, أو أن الثورة إسلامية, بل هي تجمع كل أبناء الأمة.

وحيا ما جاء في الخطبة من إشارة إلى شهداء المسيحية تاريخيا في مصر.



القرضاوي في إحدى أعظم خطب العصر الحديث
يؤكد استمرار الثورة
(19 فبراير 2011م)

سمير فريد

خطبة القرضاوي في ميدان التحرير أمس، أمام ما يقرب من ثلاثة ملايين مصري، في احتفال جمعة النصر، من النصوص التي يجب أن تدرَّس للطلبة والطالبات مع استئناف الدراسة في المدارس والجامعات بعد نجاح الثورة.

كان ميدان التحرير أمس، أشبه بساحة الكعبة يوم الحجِّ، ولكنه حجٌّ اشترك فيه المسلمون والمسيحيون من المصريين تقرُّبًا إلى الله؛ ليبارك ثورتهم من أجل العدل والحرية، حتى إن القرضاوي وجَّه الدعوة إلى المسيحيين للسجود مع إخوانهم المسلمين في صلاة الجمعة، لأن كلَّ المؤمنين بالله يسجدون له سبحانه وتعالى، ولا يتعارض ذلك مع إيمانهم بالمسيحية.

ولم تكن ملايين ميدان التحرير إلا تعبيرًا مكثَّفًا عن الملايين التي خرجت في كلِّ ميادين مصر، من الإسكندرية إلى أسوان، للاحتفال بنجاح ثورتهم الشعبية الكبرى، ولم تكن خطبة القرضاوي لملايين ميدان التحرير فقط، وإنما لكلِّ المصريين، وكلِّ العرب، وكلِّ المسلمين، وكلِّ الدنيا؛ لتعرف ما هو الإسلام الحقُّ. وبئس مَن يقارن بين عودة القرضاوي إلى مصر بعد الثورة ضدَّ نظام مبارك، وعودة الخميني من باريس إلى إيران بعد الثورة ضدَّ نظام الشاه، فقد عاد الخميني ليحكم ويقيم دولة دينية، ولكن القرضاوي عاد ليعبِّر عن ثورة الشعب المصري بمسلميه ومسيحييه، من أجل إقامة دولة مدنيَّة للدين والدنيا.

كم ابتذل تعبير (خطاب تاريخي)، حيث أطلق على أي كلام فارغ يردِّده أي ديكتاتور يحكم بالقوَّة المسلحة ضدَّ إرادة الشعب، ولكن ها هو خطاب القرضاوي يعيد المعنى الحقيقي لعبارة (الخطاب التاريخي)، بل إنه من أعظم الخطابات في العصر الحديث، في

مصر والعالم، مثل خطاب مارتن لوثر كينج في أمريكا (لديَّ حلم)، ومن قبله خطاب غاندي في الهند، ومن بعده خطاب مانديلا في جنوب أفريقيا.

استمع إليه يحيى شهداء المسيحية الأوائل في مصر، وشهداء الحرية الأوائل في ثورة (٢٥) يناير المصرية.

استمع إليه يحيى الجيش المصري، الذي انتصر على الصليبين الذين حاربوا باسم المسيح وهو منهم براء، والذي اشتبك مع إسرائيل في أربع حروب من أجل فلسطين، ويدعوه لتحقيق كلِّ أهداف ثورة الشعب، ويثق أنه سيفعل.

استمع إليه يتمنَّى أن يكون خطابه المقبل في المسجد الأقصى، وسوف تحقِّق مصر الحرة أمنيَّته بعون الله؛ ليسود العدل، ويسود السلام في فلسطين والعالم العربي وكلِّ الدنيا.

استمع إليه يدعو الشعب إلى العمل والإنتاج، واستمع إلى الشعب بعد خطابه يطالب بتطهير البلاد.

اليوم السابع

هيكل والقرضاوي والخميني

(الأحد 20 فبراير 2011م)



قطب العربي

لم يستطع الأستاذ محمد حسنين هيكل في أول إطلالة له على التليفزيون المصري مع محمود سعد أن يخفى تحيزاته الفكرية والسياسية، حين تحدث عن مشهد إمامة الدكتور يوسف القرضاوي لصلاة جمعة النصر في ميدان التحرير إذ شبه هذا المشهد بمشهد عودة الخميني إلى إيران عقب نجاح ثورتها عام 1979، ورغم أن مشهد عودة الخميني إلى إيران كان أهم مشاهد الثورة الإيرانية بالنسبة للإيرانيين وغيرهم ممن فرحوا لتلك الثورة في حينها، إلا أن هيكل قدم المقارنة بطريقة سلبية مدعيا أن هذا المشهد (وأقصد مشهد القرضاوي في التحرير) يعد مشهدا مزعجا للخارج، ويعد تجسيدا لمحاولة قفز الإخوان على الثورة، ولم يكتف هيكل بمشهد القرضاوي للتدليل على هذا القفز، لكنه جاء بمشاهد أخرى مثل وضع المنصة وتحكم أحد نواب الإخوان فيها قاصدا الدكتور محمد البلتاجي.

تحدث هيكل بلغة الخصم السياسي، رغم أنه أثنى على القرضاوي وخطبته، وأكد حق الإخوان في البروز، ويبدو أن الأستاذ هيكل، مع تقديم حسن الظن، وقع فريسة النقل غير الأمين لما يدور في الميدان سواء عبر وسائل الإعلام أو عبر بعض أصدقائه المنحازين فكريا أيضا، استكثر الأستاذ أن يذهب ولو مرة واحدة إلى ميدان التحرير لمعايشة الثوار، ومشاهدة الوضع على الطبيعة ولو لدقائق أو ساعات، وهو الذي كان ينتظره الكثيرون وعلى رأسهم أصدقائي الناصريون الذين كانوا يبدون متلهفين لطلة هيكل على الميدان، ولو في ساعات الفجر حيث يخف الزحام، قد يقول قائل إن الأستاذ لم يستطع الذهاب إلى التحرير بسبب شيخوخته، ونرد على ذلك بأننا شاهدنا في الميدان من هم أكبر سنا وأضعف صحة منه، لقد كنت أقف كثيرا في الميدان إلى جوار الأستاذ الكبير والناصري المخضرم

عبد العظيم مناف لفترات طويلة حتى وقت متأخر من الليل أتعلم منه وأستلهم منه روح المثابرة، وأجمع له الشباب حتى يأخذوا منه القدوة في النضال، وهو الذي كان يستحي من ذلك، مرجعا الفضل لهؤلاء الشباب، ربما كان الأستاذ مناف سبعيني العمر أي أصغر من هيكل، حسنا، فماذا إذن عن الشيخ حافظ سلامة قائد المقاومة في السويس في حرب 1973م، وهو رمز الثورة الحالية في السويس وهو تسعيني العمر، لم تكن هناك حجة أو مبرر للأستاذ هيكل أن يتأبى على الحضور إلى ميدان التحرير، وليس من حقه إذن أن يحكم على ما جرى ويجرى في الميدان وهو متكئ على أريكته أمام شاشات التلفزة.

لو حضر الأستاذ إلى الميدان لعرف منذ اليوم الأول حجم وحقيقة الدور الإخواني في الثورة، وهو الدور الذي حرص الإخوان على إخفائه بهدف توفير شرط أساسي لنجاح الثورة، حتى لا يتمكن النظام من القضاء عليها متحالفا مع القوى الكبرى بزعم أنها ثورة إخوانية، لقد أنكر الإخوان ذواتهم، وذابوا في بقية الشعب الثائر، ولم يرفعوا أي شعار يدل على هويتهم، وكانوا هم الذين يتصدون لأي هتاف ذو صبغة إسلامية، وحتى الهتاف الذي رصده الأستاذ هيكل يوم الجمعة الماضي عقب الصلاة وكان عبارة عن تكبيرات العيد، باعتبار أن الناس تعيش في عيد، هذا الهتاف تصدى له الإخوان أنفسهم وخرج البلتاجى– الذي انتقد هيكل ظهوره– ليهتف تحيا مصر، وليوحد الناس مرة أخرى على هتافات جامعة، وهذا يحسب للإخوان لا عليهم، وهو أمر يستحقون عليه التحية والتقدير، وقد فعل ذلك المنصفون، وسمعت بنفسي في الميدان إشادات بالغة بأداء الإخوان من أصدقاء ناصريين ويساريين وعلمانيين.

لو أن الأستاذ هيكل ذهب لدقائق إلى ميدان التحرير لعلم أن هذه الإذاعة التي توجس منها كانت موجودة منذ بداية الثورة، أنشأها شباب الإخوان، ولكنهم فتحوها لكل المصريين سواء من الرموز السياسية المختلفة، أو من شباب الثورة، أو حتى شيوخها، ولم يقصروها يوما على أنفسهم، وهذا ما فعلته أيضا الإذاعات الأخرى التي أطلقتها بعض التيارات السياسية والشبابية، ولو أن الأستاذ هيكل حضر إلى الميدان لعرف أن الدكتور البلتاجى

يقف هذا الموقف منذ بداية الثورة بشهادة الجميع، وهو صاحب الحركة الدائمة على مدار 24 ساعة، وصاحب الهتافات الجامعة المعبرة عن مطالب كل الثوار.

وبالعودة إلى موضوع القرضاوي الذي زعم الأستاذ هيكل أنه لم يشارك في الثورة، ولم يكن من رموزها، وكان أحرى به أن يبتعد عن مسرحها، أقول له إنه هو الذي لم يتابع جيدا تطورات الموقف حتى عبر شاشات التلفزة التي كان يرابط أمامها، وأسأل الأستاذ ألم تشاهد صرخات القرضاوي مستنفرا الشعب لنجدة إخوانه وأبنائه في التحرير حين هجم عليهم بلطجية النظام بخيلهم وجمالهم وحميرهم، وهى المعركة التي أدعوه أن يسأل أصدقاءه ومحبيه عمن تصدوا لها وردوها خاسرة؟، وهذا بطبيعة الحال لم يكن الدور الوحيد للقرضاوي بل إنه كان في طليعة من مهدوا لهذه الثورة بكتاباته وتصريحاته، وبرنامجه الشهير "الشريعة والحياة"، وهو الذي ظل محفزا للثوار في خطبه المنبرية منذ اندلاع الشرارة الأولى لهذه الثورة، وكيف لا وهو من أكثر الذين اكتووا بنار النظام الهالك.

أعرف أن الإخوان لا يريدون من أحد أن يكتب مفاخرا بدورهم، وأعرف أنهم ربما كانوا أكثر سعادة بمن كتب منكرا لدورهم، لأن هدفهم الأساسي هو نجاح الثورة، ولكن ليس من حق هؤلاء المنكرين أن يتمادوا، ويصدقوا أنفسهم حتى النهاية بدواع خبيثة هي حرمان الإخوان من جنى ثمرة مشاركتهم في الثورة.



القرضاوي:لا علاقة لي بتنظيم الإخوان

(الاثنين 21 فبراير 2011م)

أماني ماجد

برغم الترحيب الواسع الذي حظيت به خطبة الدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، فإن الأمر لم يخلُ من الكثير من الانتقادات، ليس لمضمون الخطبة، ولكن لما قيل عن منع حرَّاس القرضاوي الناشط وائل غنيم من إلقاء كلمة للمحتفلين، وتوصيف البعض الآخر الخطبة علي أنها بداية لسيطرة إخوانية، وتدشين دولة دينية، فضلا علي تشبيه القرضاوي بالخميني .كما قال الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل مساء أمس الأول في برنامج (مصر النهارده) . ونشطت الأقلام والمواقع تتناول هذه الواقعة .. وقبل ساعات من عودة الشيخ القرضاوي إلي الدوحة – يغادر اليوم – التقته الأهرام تفنِّد الانتقادات .. ليردَّ عليها الواحد تلو الآخر.

بداية أكَّد الشيخ القرضاوي أنه لم يرَ الناشط وائل غنيم علي المنصَّة، ونفي وجود حرَّاس لديه، وقال كان معي أولادي، وليس لي حرس علي الإطلاق، بل لقد طالبني كثير من العلماء بأن يكون لي حرس، فقلتُ لهم: الله يحرسني.

وأضاف القرضاوي أحاط بي الشباب وعملوا كردونا حولي، حتى لا يتمَّ إيذائي وأنا في التحرير بسبب التدافع والزحام الشديد، وتابع ولستُ أنا ممَّن نظَّم الاحتفال، ولا مسئولا عمَّن يلقون الكلمات، وكان يسعدني أن أرى هذا الشاب – في إشارة لوائل غنيم – الذي أكبرتُه كثيرا عندما خرج من المعتقل، وحيَّاه الشباب كمفجِّر لثورة (25) يناير، لكنه قال: إن الشهداء هم الذين يستحقُّون التحيَّة. وتابع القرضاوي أشدتُ بوائل غنيم في برنامج الشريعة والحياة، فكيف أمنعه ولماذا؟ إننا ضيوف في الاحتفال.

وأكد الشيخ أن علاقته بتنظيم الإخوان انتهت محليًّا وعالميًّا، مشيرا إلي رفضه تولِّي منصب مرشد الإخوان قائلا: تركتُ الإخوان نهائيا، ورفضتُ عروضا كثيرة بأن أتولَّي منصب المرشد العام، لكني رفضت. إنني أتمنَّي أن أظلَّ مرشدا للأمَّة كلِّها، وليس لجماعة من الجماعات. وأشار القرضاوي إلي أن إلقاءه خطبة الجمعة ليست إيذانا ببدء دولة دينية، متابعا بل علي النقيض من هذا الكلام يأتي توجُّهي لإقامة دولة مدنية لكن بمرجعية إسلامية، وهذا لا يعيب دولتنا، فكثير من الدول اختارت الاشتراكية كمرجعية، وأخري اختارت القومية .. فأنا ضدَّ الدولة الدينية تماما، فلسنا دولة مشايخ ولا ملالي.

وأوضح القرضاوي في تصريحه للـ(الأهرام) أنه جاء محتفلا بالثورة موجِّها كلامه لكلِّ المصريين، داعيا لإعادة البناء، والتوقُّف عن الاحتجاجات الفئوية، والصبر علي تلك المشكلات حتى يستطيع الجيش أن يعبر بالبلاد هذه المرحلة الحرجة، وجاء أيضا يحيي جميع الشهداء، وقال: لا أطمع في مغنم ولا منصب، جئت مهنِّئا وداعيًا للخير فحسب، وليست لي أي مآرب في مصر، ولا أسعي لأيِّ مناصب.

ونفى القرضاوي أنه جاء مصر مثل الخميني، وقال: الخميني كان صاحب ثورة، أما أنا فكنتُ مؤيِّدا للثورة فقط. وردًّا علي وسائل الإعلام الإسرائيلية التي وجَّهت الانتقاد للشيخ القرضاوي، رد مبتسما: طبيعي أنهم يكرهونني، وصنفوني على أنني من العلماء الأشد كرها لهم، حيث أفتيتُ بحلِّ العمليات الاستشهادية ضدَّ الاحتلال الصهيوني.

وحول ما يقال عن عودة الدكتور يوسف القرضاوي لمصر بعد تغير النظام، قال: إنه لا يفكِّر الآن في العودة لمصر بشكل نهائي. متابعا: مصر ليست بعيدة عنِّي، ولم تكن بعيدة حتى في ظلِّ أسوأ الظروف، لكنِّي مرتبط بمشروعات علمية كثيرة في الدوحة، وهذا الأمر غير مطروح الآن.



عيون وآذان

(التوراة ليست تاريخا)

(الأربعاء 23 فبراير 2011م)

جهاد الخازن

الزلزال الذي ضرب الأنظمة العربية من المحيط الى الخليج يكاد يلهينا عن كلِّ خبر آخر، غير أن ثمَّة أخبارًا أخرى مهمَّة أريد مراجعتها مع القرَّاء قبل أن تضيع في الزحام.

(هتلر جديد في مصر)، كان عنوان موضوع نشره موقع ليكودي أميركي يكره العرب والمسلمين، وحاولتُ قبل أن أقرأ النصَّ أن أحاول اكتشاف اسم هذا الهتلر، إلا أنني عجزتُ، وفوجئتُ وأنا أقرأ أن هتلر هو الشيخ يوسف القرضاوي.

المقال تزامن والداعية الإسلامي المعروف يخطب في ميدان التحرير يوم الجمعة الماضي، وأريد قبل أن أكمل أن أسجِّل أنني أعترض على كثير من تصريحات الشيخ ومواقفه وأفكاره الدينية والسياسية، إلا أنه ليس هتلر أو موسوليني، ثم أنه لن يحكم أيَّ بلد عربي أو إسلامي ليمارس (هتلريته) المزعومة.

أقرب كثيرًا إلى هتلر زعماء الحكومة الإسرائيلية: بنيامين نتانياهو، وأفيغدور ليبرمان، وإيلي يشاي، والحكومة الإسرائيلية نفسها هي نموذج النازية الجديدة. أما إذا كان المطلوب هتلر من رجال الدين فهو حتمًا الحاخام عوفايدا يوسف، مع أنني أجده أقرب إلى خنزير، مما هو إلى هتلر، أو ربما ابنه الخنزير مثله.

الشيخ يوسف القرضاوي لم يقتل أحدًا، ولكن العصابة الصهيونازية الإسرائيلية تقتل النساء والأطفال، أو تحرِّض على قتلهم.

أقول هذا، ثم أشدِّد على أنني لستُ من أنصار فكر الشيخ، بل ضد كثير منه.

الموقع الليكودي نفسه (فرونت بيج) استغل الاعتداء على لارا لوغان، مراسلة شبكة التلفزيون الأميركية (سي بي أس) في ميدان التحرير، وما ذُكر عن التحرُّش الجنسي بها ولكن ليس الاغتصاب، لينشر تحقيقًا عنوانه (عذر الإسلام للاعتداء الجنسي على اللحم غير المغطى)، وليعيد نشر مقال قديم له عنوانه الجديد (الإسلام والهجوم الجنسي الوحشي على لارا لوغان).

وهكذا، فالاعتداء يتجاوز المعتدين المتطرِّفين المنحرفين في ميدان التحرير، ليصبح وكأن الإسلام نفسه هو المعتدي.

لا شيء أسهل من مهاجمة الدين اليهودي، وأرفض أن يهاجم الإسلام ويبقى الليكوديون المتطرفون من دون ردٍّ. ولن أبديَ رأيًا، ولكن أسجل معلومات من التوراة، ففي أسفارها جرائم حرب وإبادة جنس ترتكب باسم (الرب)، وهناك مومسات، وهناك الذي يشغل زوجته عند فرعون ليكسب مالاً منها، وهناك الذي ينام مع ابنتيه، وهناك رجم وقتل وحرق.

كلُّ ما سبق موجود بالنصِّ في التوراة، ولا يوجد شيء مثله في القرآن الكريم، ثم يعتدي مجرمون عاديون على امرأة أميركية فتصبح الجريمة ذنب الإسلام.

ومن الدين الى يومنا هذا، فلا يوجد بلد عربي أو مسلم فيه من الجرائم ما يوجد في الغرب، غير أن الجرائم يتحمَّل وزرها المجرمون، لا اليهودية أو المسيحية أو الإسلام.

بعد كل هذا أعتذر للسيدة لارا لوغان عما تعرَّضت له في ميدان التحرير، وأقول: إننا جميعًا نرفض ذلك الاعتداء المشين، الذي يهيننا جميعًا، وأطالب بأشد عقاب للمجرمين جميعًا، بمَن فيهم الذين اعتدوا على مراسل (سي أن أن) اندرسون كوبر، ومراسلة (أي بي سي) كريستين امانبور.

ألغى جورج بوش الابن زيارة مقرَّرة الى جنيف خشية اعتقاله بتهمة ارتكاب جرائم حرب، خصوصًا بعد اعترافه في مذكراته الأخيرة (نقطة القرار) بأنه سمح بالتعذيب بالماء في معتقل غوانتانامو.

جماعات حقوق الإنسان كانت أعدَّت طلبًا لاعتقال بوش بتهمة ارتكاب جرائم حرب، وأركان إدارته كلها مجرمو حرب مثله، من نائبه ديك تشيني ودونالد رامسفيلد الى الليكوديين اليهود الأميركيين، من نوع بول وولفوفيتز وايليوت ابرامز وغيرهم.

بوش كان سيلقي خطابًا في جماعة (النداء الإسرائيلي الموحد)، الذي يشجع على الهجرة الى إسرائيل، أي فلسطين المحتلة، فإسرائيل المزعومة لم تقُم يومًا في تاريخ أو جغرافيا، وأنبياء اليهود اختُرعوا بعد ألف سنة من دينهم، ولا أثر لهم إطلاقًا في بلادنا أو أي بلاد.

أكثر من مليون عربي ومسلم قُتلوا في حرب بوش، ولا يزال القتل مستمرًّا، ولو نفَّذنا حكم التوراة في عصابة الحرب، لكان بوش والمجرمون الآخرون رُجموا أو أُحرقوا أو صُلبوا.

كل ما سبق تزامن مع نشر الـ(غارديان) مقابلة مع رفيد أحمد علوان الجنابي، الذي اعترف بأنه كذب في تصريحه الى الاستخبارات الألمانية عن أسلحة الدمار الشامل في العراق، الذي استعملته إدارة بوش عذرًا، وهي تعرف أنه ملفَّق لمهاجمة العراق وقتل أهله. والجنابي يستحق مصير عصابة بوش.

إسرائيل في هلع، وهو كاذب ككلِّ شيء في حكومتها، التي تصدر يومًا بعد يوم من حوالى أسبوع (معلومات) عن أن حزب الله يعتزم شن هجمات (إرهابية) على مصالح إسرائيلية في الخارج، وإلى درجة أن القنصليتين الإسرائيليتين في أنقرة واسطنبول أغلقتا أسبوعًا توقُّعًا لهجوم.

هم يتمنَّون أن يشن حزب الله هجمات خارجية، إلا أنه حركة تمرُّد وطني في وجه الإرهاب الإسرائيلي ونضاله في أرض المعركة فقط، ومَنْ يعِش يرَ.



رئيس الموساد السابق يدعو نتانياهو للتفاوض مع "القرضاوى"

(الخميس **24 فبراير 2011م**)

محمود محيى

كشفت صحيفة، يديعوت أحرانوت، الإسرائيلية عن أن، أفرايم هليفى، رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلي "الموساد" السابق دعا رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتانياهو، لفتح حوار مطول مع الشيخ، يوسف القرضاوي، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، لاتقاء عداوته ضد إسرائيل.

ونقلت الصحيفة العبرية عن هليفى قوله إن الولايات المتحدة كانت قد فتحت حوارا من قبل مع القرضاوي، من خلال لقاءات عديدة من جانب بعض المسئولين الأمريكيين بقطر منذ عدة سنوات، وكان من بينهم دبلوماسيون رفيعو المستوى، مضيفا بأنه لا يوجد ما يمنع تل أبيب من اتخاذ مثل تلك الخطوة.

وأوضحت يديعوت أن هليفى المعروف ببعض العلاقات مع عدة دول عربية دون أن تذكر أسماء تلك الدول أن الإدارة الأمريكية عرفت سياسة الحوار مع مثل تلك الشخصيات الإسلامية منذ فترة طويلة، وليس فقط فى عصر الرئيس الأمريكي الحالي باراك أوباما الذي يقوم بالحوار مع العالم الإسلامي بصورة جيدة.

مشيرا إلى أن الولايات المتحدة كانت قد فتحت حوارا من قبل مع حركة "الإخوان المسلمين" بمصر فى الخمسينيات من القرن الماضي في عصر الرئيس الأمريكي الأسبق، آيزنهاور، حيث كان من بين مما حاورتهم الإدارة الأمريكية السابقة نجل مؤسس الجماعة حسن البنا.

ورأى رئيس الموساد السابق أن الدبلوماسية الصحيحة التي يجب على تل أبيب تبنيها هي المفاوضات مع أعداء إسرائيل، مؤكدا في الوقت نفسه على أنه لم يغفل أبدا حقيقة أن

الإخوان المسلمين وبعض القيادات الحركات الأصولية الإسلامية من أمثال القرضاوي يعادون بشدة كل من الولايات المتحدة وإسرائيل، ولكنه بالرغم من ذلك يجب محاورتهم.

ونصح هليفى الحكومة الإسرائيلية بعدم النظر إلى تصريحات القرضاوي خلال خطبة الجمعة الماضية بميدان التحرير بوسط القاهرة، خلال احتفالية المصريين بانتصار ثورتهم وتنحى الرئيس السابق حسنى مبارك عن الحكم التي أدان فيها اليهود بشكل مباشر بالمسئولية عن أحداث النازية بالقرن الماضي، والتي تمنى فيها أيضا أن يحمل السلاح والتوجه نحو المسجد الأقصى لمحاربة كل من هو يهودي، مشدداً على أن تل أبيب يجب أن تخرج من كل هذا بعمل حوار معه على طريقة واشنطن.

الجدير بالذكر أن هليفى عمل خلال فترة الثمانينات من القرن الماضي عميلا للموساد، في كل من العراق وسوريا ولبنان والأردن واليمن بهدف تهجير اليهود من تلك الدول إلى إسرائيل، وفى عام 1997 استغل رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتانياهو، خلال ولايته الأولى لرئاسة الوزراء الإسرائيلية في تلك الفترة علاقات هليفى مع العديد من المسئولين بالأردن، لإنهاء فضيحة الموساد بعد الكشف عن محاولة اغتيال القيادي بحركة حماس، خالد مشعل الذي يشغل حاليا منصب رئيس المكتب السياسي للحركة، وذلك عن طريق إرسال مضادات وأمصال طبية لعلاج مشعل، والإفراج عن الزعيم الروحي لحماس الشيخ، أحمد ياسين، وبعد هذا النجاح عينه نتانياهو رئيسا للموساد عام 1998 حتى عام 2002.



لا لزعامة القرضاوي!

(2 مارس 2011م)

أنس زاهد

لستُ من مريدي الشيخ يوسف القرضاوي، ولستُ ممَّن لا يختلفون معه حول العديد من النقاط التي ميَّزت خطابه الديني، لكن هذا لا يعني أنني لا أُكنُّ له صادق الاحترام، على الأقل الرجل له تاريخ وطني مشرّف، وسجل نضالي عظيم، ولم يكن في يوم من الأيام أداة من أدوات السلطة، أو بوقًا من أبواقها التي تلبس الحقَّ بالباطل، وتلبس الباطل بالحقِّ.

الشيخ يوسف القرضاوي تعرَّض منذ أن زار القاهرة وأمَّ المصلين في صلاة الجمعة بميدان التحرير، لحملة استهدفت التشكيك في صدق نواياه تجاه وطنه وشعبه. وهو شيء غريب جدًّا!

البعض اتَّهمه بمحاولة سرقة الثورة، التي قام بها الشعب المصري ضدَّ نظام حكمه المستبد، والبعض شبَّه عودته إلى القاهرة بعودة الإمام الخميني لطهران، والبعض ادَّعى دون أن يُقدِّم دليلًا واحدًا، بأن الرجل يسعى إلى تحويل مصر إلى جمهورية إسلامية على طراز جمهورية الولي الفقيه، حتى إن بعض الكتاب وصفوه صراحة (بآية الله القرضاوي)!

العجيب أن الشيخ يوسف القرضاوي لم يدَّعِ شرف الاشتراك في الثورة، ولم يسعَ إلى الحصول على نصيبه من الكعكة، ولم يروّج لتيار سياسي في مصر دون الآخر، ولم يفعل أكثر من تأييد مطالب الثوَّار المشروعة، والدعاء لهم.

بالتأكيد هناك بعض الكُتَّاب الذين يريدون تحميل الأمور فوق ما تحتمل، وهو ما لا يمكننا فَهمه إلا بالعودة إلى كتاباتهم خلال الثورة، حيث انحصر طرحهم على تخويف

الجمهور مما يُسمَّى بحالة (الفراغ الأمني) و(الأجندات الخارجية) و(المشروع الإيراني) و(المخطط الأمريكي لإيجاد حالة من الفوضى الخلاَّقة بالمنطقة.

الشيخ يوسف القرضاوي ليس مستهدفًا كشخص.

الهدف الأول: هو ضرب الوحدة الوطنية للشعب المصري.

والهدف الثاني: هو إعادة الحياة في أوردة الفزَّاعة الإسلامية، التي أدَّت دورها خلال مراحل سابقة. لكن الثورة المصرية التي شاهدنا خلالها أصدق مظاهر التوحُّد والتلاحم بين المسلمين والأقباط، قضت أو كادت تقضي على هذه الفزَّاعة، مما أفزع أصحاب المصلحة في بقائها على قيد الحياة.

سيظل القرضاوي رمزًا وطنيًا، ولن يتحوَّل إلى زعيم سياسي .. وهذا بالتحديد ما يزعج خصومه وخصوم الشعب..



تكذيب رواية شائعة

(3 مارس 2011م)

فهمي هويدي

اختطف الشيخ يوسف القرضاوي ثورة شعب مصر بالخطبة التي ألقاها في ميدان التحرير يوم جمعة النصر (2/18)، وأعاد إلى الأذهان صورة الإمام الخميني حين عاد إلى طهران بعد سقوط الشاه. ومن ثمَّ نصَّب نفسه مرشدا أعلى للثمانين مليون مصري، ولم يحتمل حرَّاسه أن يظهر إلى جانبه أحد الشبان الذين أسهموا في تفجير الثورة، إذ منعوه من الصعود إلى المنصَّة لمخاطبة الجموع المحتشدة، وبفعلته تلك الشنعاء فإن خطرا داهما بات يهدِّد ثورة الشعب، لذلك فإن الجميع ينبغي استنفارهم للحيلولة دون تكرارها.

كانت تلك هي الصورة التي أبرزتها أغلب المنابر الإعلامية في مصر، والتي كادت تستقرُّ في الوجدان العام، ومن ثمَّ صارت موضوعا للتنديد والنقد من جانب بعض الرموز المحترمة، ولا تسأل عن أصدائها لدى غير المحترمين من المتربِّصين والصائدين والهجائين. إلا أنني فوجئتُ بحوار يرسم صورة مغايرة للمشهد، جاءت على النقيض تماما مما روَّجته تلك المنابر، هذا الحوار نشرته مجلة المصوِّر (عدد 23 فبراير)، وأجرته الزميلة مروة سنبل مع الشاب سيد أبو العلا، أحد المنظمين الذي قيل إنه منع وائل غنيم أحد رموز الثورة من الحديث إلى الجماهير.

الحوار المنشور دار كما يلي:

- ما هو انتماؤك السياسي؟

مؤمن بالأفكار اليسارية، وغير منتمٍ لأي حزب سياسي.

- ومَن كان يقود تنظيم المليونية يوم الجمعة؟!

اللجنة التنسيقية لجماهير الثورة، وتضمُّ ستة ائتلافات شبابية تمثِّل شبابًا من جميع الانتماءات والتيارات السياسية بمَن فيهم شباب الإخوان، بالإضافة لمجموعات كبيرة من الشباب غير المُسَيَّس إطلاقا. وتتولَّى هذه اللجنة التنسيقية تنظيم (مليونيات) ميدان التحرير.

● لماذا منعتَ وائل غنيم من الصعود إلى منصَّة الاحتفال؟

كان لدينا برنامج مُحدَّد مسبقا لستة متحدِّثين عن الائتلافات الستة. ووائل لا يشارك في أي ائتلاف شبابي في مصر الآن، بالإضافة إلى أنه دعا إلى عدم تنظيم (مليونية)، فلماذا جاء إلى الميدان؟ غنيم أخطأ في حقِّ نفسه والآخرين من شباب الثورة، عندما طلب من الناس مغادرة الميدان، لذلك هناك انقسام حوله بسبب تصريحاته وآرائه المختلفة والمتناقضة.

● ما هي تفاصيل الحوار الذي دار بينك وبين غنيم؟

كان حوارا مقتضبا، حيث حضر غنيم للميدان في حوالي الثانية ظهرا وأراد اعتلاء المنصَّة، فقامت مجموعة من الشباب الذين يتولَّون تنظيم سُلَّم المنصة – وهم متطوِّعون غير مُسيَّسين – بمنعه، فذهبتُ وقلتُ له: أنت دعوتَ لعدم التظاهر .. فلماذا أتيتَ؟ كما أنك لستَ ضمن البرنامج المقرَّر لهذا اليوم.

● وماذا كان ردُّ فعله؟

انصرف، وانتهى الموقف عند هذا الحدِّ. ولم يكن هناك دور فعلي للإخوان في هذا الأمر.

● مَن الذي اختار القرضاوي ليؤمَّ الصلاة والخطبة في الميدان؟

الشيخ يوسف القرضاوي طلب من الشباب المنظِّمين أن يحضر للصلاة في الجمعتين السابقتين على جمعة النصر، وكان ردُّنا هو تأجيل هذا الأمر؛ لأن الثورة ما زالت مستمرَّة، ولم تحقِّق مطلبها الأول بعد، وهو التنحِّي، وقد استشرنا وقتئذ مجموعة من العلماء المقرَّبين من القرضاوي، فأيَّدوا رأينا. وحين كرَّر الفكرة في الجمعة التالية، وكانت بعض المطالب قد تحقَّقت بالفعل، فكان قرار اللجنة التنسيقية بالموافقة.

● وماذا عن دور الإخوان في ذلك؟

الإخوان أبَدوا تحفُّظا على حضور القرضاوي، حتى لا تُحسب الثورة للتيار الديني، ولكن كان القرار النهائي للَّجنة التنسيقية.

● البعض يعتبر أن منع غنيم من المنصة يوم الجمعة تمَّ بأمر الإخوان الذين تصدَّروا المشهد؟

لم يحدث هذا .. الإخوان كغيرهم من التيارات المشاركة، إلا أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أنهم من أكثر القوى تنظيما، وقد شاركت في الثورة بشكل كبير. وأؤكِّد على أنهم لا يقودون أيَّ عمل من الأعمال الثورية.

● ماذا تعني بذلك؟

أقصد أن النسبة الأكبر من المشاركين في الثورة من المستقلِّين وشباب غير مُسيَّس وهي النسبة الأكبر والأهم في ميدان التحرير وغيرها من ميادين مصر، ولكنهم غير منظَّمين، لذلك ظهر في المشهد الإخوان، لأنهم الأكثر تنظيما.

* * *

عندي ملاحظتان على هذه الشهادة:

الأولى: أنه كانت هناك مسارعة إلى التأويل والتنديد والاتهام، تكاد تصبُّ في محاولات التخويف والترويع، حتى من خطبة شديدة التوازن، ألقاها واحد من أكبر علماء المسلمين في يوم الجمعة. وقليلون هم الذين وقفوا عند مضمونها الإيجابي، في حين أن الأكثرية ظلَّت تحت تأثير ظاهرة (الإسلاموفوبيا)، التي روَّجت لها أبواق أمن الدولة، ورحَّب بها الناقمون والكارهون.

ملاحظتي الثانية: أن تلك الصورة الشائهة لما جرى يوم جمعة النصر صدَّقها بعض المسئولين في الدولة، مثل رئيس الوزراء وبعض أعضاء مجلس الدفاع، ودعَوا في أحاديثهم إلى الحذر من تكرارها. في حين يفترض أن هؤلاء يستقون معلوماتهم من مصادرهم التي تتحرَّى حقائق ما يجري، وليس من الصحف السيَّارة أو البرامج التليفزيونية، التي مازالت تعيش أجواء مسلسل (الجماعة)! ولو أنهم يتَّخذون قراراتهم بناء على معلومات مصادرها من ذلك النوع الأخير لأصبحنا بصدد مشكلة كبيرة!



أولاد البلد

مصر المدنية ترفض العلمانية

(الأحد 6 مارس 2011م)



محمد عبد القدوس

عدد لا بأس به من المثقَّفين عندهم (أرتكاريا) من كلِّ ما هو إسلامي!! وفي ظلِّ حكم مبارك كانوا خير عون له في محاربته لهذا التيار، بل بلغت الصفاقة ببعضهم أن دعوا دون خجل إلي إلغاء ما نصَّ عليه الدستور في التأكيد علي أن مصر مسلمة، خاصة المادة الثانية التي تؤكِّد علي أن مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع، وقاموا بالتوقيع علي عريضة رفعوها إلي المسئولين بالنظام القديم!

وهؤلاء لا يعبِّرون أبدًا عن الغالبية الساحقة من أبناء مصر، لكن أصواتهم عالية في الصحافة والإعلام ووزارة الثقافة، وبعد نجاح ثورتنا العظيمة استمرُّوا في تلك الأسطوانة المشروخة! مع أن الدنيا تغيَّرت! ورأيناهم يشنُّون حملة شديدة جدًّا علي شيخنا الجليل الدكتور يوسف القرضاوي، بعدما ألقي خطبة جمعة النصر في ميدان التحرير، مع أن كلامه وموضوع خطبته كان لها صدي رائع بين الثوَّار الذين حضروا الصلاة. وهؤلاء المثقفون (مالهمش دعوة) بالتحرير أو صلاة الجمعة، فهم في أبراجهم العالية بعيدًا عن الناس!

وانتقل هجومهم بعد ذلك علي الشاب الرائع محمد عبدالمنعم الصاوي، صاحب المنارة الثقافية العظيمة بالزمالك، التي تحمل اسم والده الراحل، وما فعله إضافة جديدة وكبيرة لحياتنا في مجال الثقافة لا تزال مستمرَّة حتي اليوم، وقد تولَّي وزارة الثقافة، فشنَّ هؤلاء العلمانيون حملة عليه، بحجة أنه لا يعبِّر عن المثقَّفين في مصر، مع أن إنجازاته تتفوَّق عليهم جميعًا، وهي عبارة عن مشروع متكامل علي أرض الواقع، في مواجهة هؤلاء الذين لا يملكون إلا ثرثرة الصالونات وكلام في كلام!

وقد فضح هؤلاء أنفسهم عندما اتَّهموا الوزير الجديد بأنه متديِّن! ويا لها من تهمة فظيعة! وقالوا: إنه ينظر إلي الأعمال الفنية التي تقدم في ساقية الصاوي من منظور ديني، ويعترض علي ما يراه عيبًا ويتنافي مع الأخلاق، وهذا ضدَّ الإبداع.

الغريب أن هؤلاء النفر من المثقَّفين يزعمون أنهم أنصار الدولة المدنية، وقد كذبوا، فهم يريدونها علمانية صريحة، لا مكان فيها للإسلام في الدولة، علي طريقة أتاتورك بتركيا، قبل تصحيح الأوضاع فيها في السنوات الأخيرة، علي يد رئيس حزب العدالة والتنمية برئاسة (رجب طيب أردوجان) ورفاقه.

وهناك فارق شاسع جدًّا بين هؤلاء العلمانيين والشعب المصري، الذي يرفض التطرُّف بأنواعه! وإذا كان أبناء مصر يرفضون الدولة الدينية، التي تجعل حياتهم حرامًا في حرام! وقائمة طويلة من الممنوعات، فهم في ذات الوقت لا يقبلون بنظام علماني يجعل التديُّن محصورًا في دور العبادة، ولا مكان له في الحياة! وتكفي العبادات وخلاص وكفاية كده، وتعيش مصر الفرعونية التي تعادي جيرانها العرب الأوباش! وقد حاربت بلادنا طويلاً من أجل القضية الفلسطينية فلم تجنِ إلا الخسارة والتخلُّف، الذي زاد مع قدوم المصريين من بلاد السعودية والخليج، محمَّلين بالأفكار الوهابية، ومصر لازم تبقي عصرية مع أوروبا وأمريكا وعلاقة زي الفل مع إسرائيل! والتفكير في إعادة النظر بمعاهدة السلام ضرب من الجنون!

وأقول لهؤلاء: أفكاركم تلك لن تتحقَّق إلا في المشمش!! بلادي دولة مدنيَّة إسلامية، فلا تناقض أبدًا بينهما، وستظلُّ قلعة العروبة والإسلام، والشقيقة الكبري لكلِّ العرب، وثورتنا المجيدة لن تسمح لكم باختطاف بلادنا إلي الوجهة التي تريدونها.



فوق المنصة

(7 مارس 2011م)



د.علي حمزة العمري

قبل ثلاثة أسابيع كنتُ في زيارة العلاَّمة الشيخ يوسف القرضاوي في منزله العامر، مهنِّئا له بثمرة ثورة شباب يناير، ووقوفه الشامخ منذ بدايات الثورة، وعدم (هزهزة) موقفه ككثير من العلماء والمثقَّفين والمفكِّرين، فضلاً عن غيرهم في بلاد مصر. لقد سجل التاريخ اسمه بكلِّ وضوح في ثورة مصر، في اللحظة التي كانت تنادي جهات عدَّة رسمية ومؤسَّساتية وتياراتية في مصر بأن يعود الشباب الثائر إلى بيوتهم! ولن ينسى التاريخ كلمة الشيخ القرضاوي التاريخية لحاكم مصر: اخرج من السلطة على رجليك، قبل أن يخرجك الشعب!

وسمعتُ في جلستي مع الشيخ يوسف أنه سيذهب لمصر لإلقاء خطبة جمعة النصر، بعد أن طلب مجموعة كبيرة من العلماء والحقوقيين، فهو رمز مصر الشرعي الأشهر، ويستحقُّ أن يشارك إخوانه فرحتهم في خطبة الجمعة بميدان التحرير. ولم يشأ الشيخ القرضاوي أن يذهب في الأسبوع الذي قبله؛ لكي لا يفهم العالم أن الثورة دينية، وأن الإسلاميين جاءوا ليخطفوا ثمرتها، وهذا بلسان الشيخ لي، ولكن بعد النصر عرَف القاصي والداني دور الجميع من المشاركين، ودور مَن سُجِّلوا في قائمة العار!

وفي يوم جمعة النصر حضر الشيخ القرضاوي محاطًا بالحبِ والثقة من كلِ التيارات المصرية، وأجزم أنه لو لم يكن هو لما حضر هذا الجمْع، الذي لم يحصل في تاريخ الأمة الإسلامية منذ بدايات فجر البعثة، وإلى يومنا هذا! إنه حدث استثنائي وتاريخي: أن يجتمع في خطبة ثلاثة ملايين مسلم، يسمعون، ويدعون، ويصلُّون، ويشكرون المنعم جلَّ جلاله.

وبعد هذه الفرحة واللحظة التاريخية لأرض الإسلام والعروبة، تقزَّمت خلايا التفكير والمنطق السليم، وتشرذمت أوعية الدماء حتى صارت قليلة دم! لدى جملة من كتاب صحفنا وللأسف، الذين تكلَّموا جميعًا بمعلومة زور، أن حرَّاس الشيخ القرضاوي منعوا الشاب (وائل غنيم) أحد صنَّاع الثورة من الصعود للمنصَّة، ليستأثر الشيخ القرضاوي بها! وكأن الشيخ القرضاوي بحاجة إلى مَن يبرزه!!

إن هؤلاء الكتبة المساكين تعمَّدوا رواية مختلقة، ونسجوا عليها ملاحظات دقيقة في نظرهم، ولكنها للأسف تهزمها خيوط عنكبوت صغار شباب (الفيسبوك)، فضلاً عن الشباب والمثقَّفين!! والأغرب من هذا أن يأتي كاتب صحفي، وله برنامج فضائي مشهور، ليسند الخبر إلى وكالة فرنسية، ولو أراد التأكد فإن مراسلاً في المحطة التي يشارك في إدارتها يمكن أن ينفي له في ثوانٍ الخبر المكذوب! وإلى هذا الحد فطريقة هؤلاء في ترويج الشائعات معروفة، لكن المشكلة أنهم لا يزالون يفكِّرون بنفس طريقتهم في السابق، أن (الإخوان المسلمين) في مصر أرادوا كسب الثمرة، وتقوية نفوذهم بحضور الشيخ القرضاوي، ولأنهم (ديمقراطيون) اقترحوا عن قوس واحدة أن يُعطى المنبر للشاب (وائل غنيم)!

إن هؤلاء الكتبة المساكين لا يزالون يعيشون بنفس عقليَّتهم السابقة، التي تجعلهم مسؤولين فكريًّا عن كلِ الدول والتيارات والاتجاهات والغايات. إنهم يظنون أنفسهم صنَّاع التأثير والتغيير والقرار في كلِ الدول، ولكل الأجيال! نسوا أو فقل: تغافلوا، أن شباب مصر ورجالها ونساءها هم أصحاب القرار الحقيقي، وهم أدرى بشؤون بلادهم. هم الأحرار الذين صنعوا الثورة، وشاركوا فيها، سواء كانوا إخوان مسلمين، أو سلفيين، أو ليبراليين، أو فنانين، أو رياضيين، أو مستقلِّين، أو عامَّة الشعب، أكاديميين أو فلاحين. هؤلاء المشاركون وحدهم

لهم الحقُّ أن يتَّخذوا قرارهم، ويصنعوا بلادهم، هؤلاء وحدهم لهم الحقُّ أن يمثِّلهم مَن يشاؤون، وأن ينالوا ثمرة جهدهم وعطائهم، ليس في واحد وعشرين يومًا، بل في ثلاثين عامًا مضت.

أتمنى من هؤلاء الكتبة الكرام أن يستيقظوا من سُباتهم، وأن يفهموا جيلهم، وأن يستشعروا دورهم، ومآل كلماتهم، التي ربما لا تعدو محيط موقعهم الإلكتروني!! لقد صعد الشيخ القرضاوي المنصَّة وقال خطبته التاريخية، صعدها لأنه رمز شرعي، ومكانه منبر الجمعة، ومنصة الجمعة، إنه مكانه اللائق به، ودوره اللائق به. وغيره لهم الحقُّ في الصعود في منابر التغيير الأخرى، بل على نفس المنصَّة لو شاءوا في غير خطبة الجمعة. ليس لأنهم يلبسون (بنطلونًا) والقرضاوي يلبس (جُبَّة)، لكن لأن لأهل مصر منابرهم، ولكلٍّ ميدان رجاله!

وإلى لقاء آخر أيُّها الزملاء في مواسم تغيير أخرى، وعند الانتهاء من صناعة التغيير، وإلقاء البيانات والخطب، وصناعة الحياة الجديدة، يمكنكم التعليق، وزيارة المنصَّات لالتقاط الصور!!

مراكز صهيونية: القرضاوي كابوس لإسرائيل

(الخميس 10 مارس 2011م)

محمد كمال الدين

حظي الشيخ يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، في الآونة الأخيرة باهتمام غير مسبوق في وسائل الإعلام والمراكز البحثية الإسرائيلية، التي عكفت على نشر التقارير والدراسات الأكاديمية والمخابراتية، حول شخصيته ومعرفة أبعادها وتوجُّهاتها، لرصد مدى قدرته على التأثير في الشارع المصري بأفكاره الإسلامية، وأيديولوجياته السياسية.

واعتبرت وسائل الإعلام والمراكز البحثية، أن القرضاوي أكثر خطورة على إسرائيل ومستقبلها، في الشرق الأوسط من أيِّ شيء آخر في المرحلة الراهنة.

وقال الدكتور سامح عباس – الخبير في الشئون الاستراتيجية الإسرائيلية – أن هذه المراكز اهتمَّت بدرجة كبيرة بتحليل شخصية القرضاوي، لدرجة أنها أفردت له دراسات نوعية، تعمل على دراسة تاريخه، ومواقفه على مرِّ التاريخ، سواء الوطنية أو الدينية، لمعرفة أسرار تلك الشخصية المؤثِّرة على قطاعات كبيرة من المسلمين.

وأشار إلى أن إيلي أفيدار – الخبير الاستراتيجي الإسرائيلي، وأحد أكبر المسئولين السابقين بالخارجية الإسرائيلية – قال في مقالة نشرها بصحيفة (إسرائيل هيوم) العبرية، أن الشيخ القرضاوي يمثِّل بمعان كثيرة (الكابوس العربي المتعلِّق بمستقبل مصر)، وهو أن يكون صورة سنيّة مصرية لثورة آيات الله في إيران، مما يسقط قوَّة إقليمية أخرى بين أذرع الإسلام السياسي.

ووصف الخبير الصهيوني دعوة الشيخ القرضاوي في ميدان التحرير إلى تغليب الديمقراطية على الدولة، بأنها لم تنبع من تصوُّر سياسي ليبرالي، بل من حساب تكتيكي هادئ، وأنه كان يهدف توجيه رسالة إلى العالم، بأنه لا قلق من حكم تيار ديني – أي الإخوان المسلمين – لمصر خلال الفترة القادمة.

ومما يعكس مدى المخاوف الصهيونية من الرمز الديني الإسلامي، الذي يمثِّله الشيخ القرضاوي، وصف أفيدال عودته إلى مصر، بأنها كانت أحد الأحداث المهمَّة التي أعقبت إسقاط نظام مبارك، على اعتبار أنه الزعيم الديني الأهم في العالم الإسلامي.

وشرع الخبير الصهيوني في تحليل خطبة الجمعة، التي ألقاها القرضاوي أمام الملايين من المصريين، على اعتبار أنها تحمل الكثير من المعاني والرسائل داخليًّا وخارجيًّا، وقال: إن خطبة القرضاوي التي استغرقت (27) دقيقة، يمكن أن تبدو للأذن غير الخبيرة معتدلة وجارية على النمط.

وتابع: لكن رغم امتداحه للجيش المصري وأخلاقيَّاته، لكنه وجَّه له بين السطور تهديدا صارخا، عندما أعلن: قال لي الإخوة هنا: لا تؤيِّد الجيش المصري لأننا لا نعلم هل يفي بوعوده بنقل السلطة! قال القرضاوي للجماهير: لكنني أجبتُ أن هذا غير ممكن, فالحديث عن جيش مستقيم وأخلاقي وبطل، دافع عن مصر دائما. لا اعتقد أنه سيخون كلامه وشعبه ودولته.

وعلق أفيدال، بطريقة معهودة وخبيثة لدى اليهود، الهدف منها الوقيعة وإثارة الفتنة بين القرضاوي وقيادات الجيش المصري قائلاً: عندما يُقال هذا الكلام أمام مليونين من المصريين، فله معنى خاص قوي بالنسبة لقادة الجيش الذين فهموه.

ولعل ما أثار اهتمام أفيدال في خطبة الجمعة، للشيخ القرضاوي هو هجومه المباشر ضدَّ إسرائيل، وقال: لم تغِب إسرائيل عن خطبة القرضاوي. مشيراً إلى أن الفلسطينيين أيضا هم من بين منتصري الثورة المصرية، ووعد بأن معبر رفح سيُفتح أمامكم، كأنه يُقر حقيقة محسومة. بعد ذلك تغيَّر ذلك إلى طلب من الجيش المصري أن يفتح المعبر.

ويبدو أن أكثر ما أقلق الخبير الصهيوني – وليس هو فحسب – في خطبة القرضاوي: هو دعوته للمصلِّين بأنهم سيحظون قريبا بالصلاة في المسجد الأقصى الشريف، وسط نداءات الجمهور العالية في الميدان بصيحات، آمين.

من ناحية أخرى، اعتبر خبير الشئون العربية جاي باخور عودة القرضاوي إلى مصر أكبر خطر تواجه إسرائيل حاليًا، معربًا عن مخاوف تل أبيب من سعى القرضاوي، إلى تحويل مصر إلى دولة خامنئية سنيَّة.

وقال باخور في مقالة نشرها على موقعه الخاص على شبكة الانترنت (جي بلانت) : إن عودة القرضاوي إلى القاهرة جاءت لتعطي الثورة المصرية وجها وهُويَّة إسلامية، فهو ضدَّ الولايات المتحدة والشيعة، وبالطبع هو مع نظام إسلامي للشريعة في مصر، وهو ما يعتبر ضربة شديدة، لكلِّ مَن اعتقد أن مصر تسير نحو الديمقراطية، ومؤشِّرا لما هو آتٍ فى مصر.

وفى محاولة للتحذير والترهيب من عودة الشيخ القرضاوي إلى مصر، زعم باخور في مقالته أن السيناريو الأكبر خطورة على مصر حاليًا، هو تحوُّلها إلى إيران الثانية, فمثلما حدث في طهران عام 1978م عندما كافح متظاهرو اليسار العلماني، لإسقاط الشاه، ومع عودة الخميني لإيران، أزاحهم عن الطريق، وتولى مقاليد الحكم هناك.



فزّاعة الإسلام!

(الخميس 21 مارس 2011م)

د. حلمي القاعود

في ثورة الشعب المصري الظافرة يناير 2011م سقطت فزَّاعة الإسلاميين، التي رفعها الغرب الاستعماري وأنصاره من الحكَّام العرب والنخب الثقافيَّة المحليَّة؛ التي لا تؤمن عمليًّا بالإسلام، وإن كانت تتسمَّى بأسماء المسلمين.

جاور الفرقاء المختلفون بعضهم بعضًا في ميدان التحرير، الماركسي والعلماني، الأزهري والإخواني والسنِّي والسلفي، المثقَّف والعامل والأمِّي، المسلم والنصراني، الصعيدي والبحيري والمنوفي والشرقاوي والفيومي، الرجال والنساء والأطفال .. لم تكن هناك فروق أو حساسيات تمنع التقارب بين أفراد الشعب المصري، الذين خرجوا لإسقاط النظام الفرعوني الظالم، الذي أذلَّ العباد وهزم البلاد!

كان المصريون يدًا واحدةً، سهروا الليل تحت البرد والمطر معًا، ضحكوا معًا، وحزنوا على الشهداء معًا، وصلَّوا في الميدان جماعةً، وعاشوا الوحدة في ظلِّ التنوُّع معًا، وتحقَّقت أمنيتهم في الحادي عشر من فبراير معًا، وسقط النظام، وتمَّ حلُّ الحكومة ومجلسي الشعب والشورى، وأُلغي جهاز الرعب والترويع، وتهاوَى رموز الفساد والإرهاب الحكومي جماعاتٍ ووحدانًا، وشرَّفوا سجن طرة بالحقِّ، بعد أن حشروا فيه الأبرياء بالباطل.

في خلال هذه الفترة لم يكن الإسلاميون بُعبعًا مخيفًا، ولم يكن الإسلام يمثِّل فزاعة مخيفةً لهذا الطرف أو ذاك، حتى الغرب الاستعماري الصليبي الذي طالما صوَّر الإسلام تصويرًا مرعبًا مخيفًا، وسمَّاه تارةً بالإرهاب، وأخرى بالتطرُّف، وثالثة بالأصوليَّة؛ لم يستطعْ

أن يجد ثغرةً يتسلَّل منها إلى الثورة أو الإسلاميين، وقد رأى العالم كلُّه كيف أبلى الشباب الإسلامي بلاءً حسنًا، وهو يدافع عن الثورة والثوَّار في ميدان التحرير وميدان عبد المنعم رياض، بعد أن تقدَّمت جحافل الغزاة في موقعة (الجمل) الشهيرة، مسلَّحة بالسنج والسيوف والمطاوي والحجارة والسياط؛ لقهر الثوَّار، والقضاء على الثورة، ولكنَّ بسالة الشباب الإسلامي ردَّت الغزاة على أعقابهم، وشجَّعت بقيَّة الثوار على مطاردتهم وهزيمتهم.

فجأةً انقلب هذا الموقف الموحَّد الرائع الذي بهر الدنيا، وعبَّر عن التسامح والتحضُّر؛ لنجد كلامًا رخيصًا يدَّعي أن الإسلاميين أنزلوا شابًّا من فوق المنصة في ميدان التحرير بعد صلاة جمعة النصر، وأن الشيخ القرضاوي يمثِّل دور الخميني الذي عاد إلى البلاد بعد نجاح الثورة، وأن الإسلاميين يخطفون الثورة، وأن ما يسمَّى (الدولة الدينيَّة) قادمة .. ثم تبدأ حملات رخيصة لتشويه صورة المستشار الجليل طارق البشري ولجنة تعديل الدستور، واتِّهامها بالأصوليَّة والرجعيَّة، والعمل على تقنين الدولة الدينيَّة، وترتفع أصوات منكرةٌ لتغيير المادة الثانية من الدستور؛ بحجَّة إقامة الدولة المدنيَّة وما يسمَّى (المواطنة)، ثم يبدأ لغط غريب لدعوة الناس إلى رفض التعديلات الدستوريَّة، واتّهامها بأنها ترقيعٌ لدستور فاسد، وأنها تهيِّئ لسيطرة الحزب الوطني والإخوان على مجلس الشعب، ثم صراخ وعويل؛ لأن التليفزيون المصري استضاف بعض الإسلاميين المفرج عنهم في قضايا سياسيَّة، مع التنادي لمواجهة الخطر الإسلامي القادم بتأجيل الاستفتاء، وضرورة وضع دستورٍ جديد في الحال، وتمديد الفترة الانتقاليَّة حتى يتمَّ إنجاز هذا الدستور، واتِّهام الموافقين على التعديلات بالخيانة وموالاة النظام البائد والتحالف مع الحزب الوطني .. إلى غير ذلك من اتِّهامات وادِّعاءات!

ثم كان استغلال أيام ما قبل الاستفتاء على التعديلات الدستوريَّة في التشهير بالحركة الإسلاميَّة، والتركيز على الاستقطاب الطائفي، وشحن الأقليَّة ضدّ الأغلبيَّة، والتخويف من مشاركة الإسلاميين في الانتخابات، والتحريض السافر على المادة الثانية من الدستور؛ التي تعني إسلاميَّة الدولة وعروبتها، وللأسف الشديد فقد قام اليساريون بقيادة الحملة ضدَّ الإسلام، ورفع الفزَّاعة الإسلاميَّة لإخافة الناس، وتحقيق الحلم اليساري الشرير باستمرار الوضع الاستثنائي، الذي يوافق هواهم ومصالحهم، ويعوِّض قصورهم السياسي، وعدم وجود

قاعدة شعبيَّة لهم، وقد تأمَّلت صفحة جريدة يسارية على الشاشة الضوئيَّة، فوجدت عناوينها تنضح بملامح هذه الحملة وذلك الحلم الشرير، ولنقرأ معًا بعض هذه العناوين يوم إجراء الاستفتاء 2011/3/19م: ((حشود من الطبقة الوسطى في اللجان .. و(نعم) السلفيين من أجل المادة الثانية.. و(لا) الأقباط لـ(منع صعود تيارات دينية) .. إقبال شديد في شبرا الخيمة وأصحاب اللحى: الستات العريانين والعلمانيين وبتوع الوطني بيقولوا (لا) للمادة الثانية .. طوابير على أبواب اللجان في الإسكندرية .. وسلفيون يكفِّرون مَن يدعو للتصويت بـ(لا) .. إقبال شديد على لجان الاستفتاء بالفيوم .. وتحالف للوطني والإخوان والسلفيين يدعو للتصويت بـ(نعم) .. عبود الزمر لـ(رويترز): عصر الاحتكام إلى السلاح ولَّى في مصر الحرَّة .. 58% من القراء يرفضون التعديلات الدستورية .. و41% يوافقون .. 50 مثقفًا بينهم .. و.. و.. يرفضون التعديلات الدستوريَّة)).

يجب أن نعود إلى رُوح ميدان التحرير، وأن نتقبَّل أصول المباراة الديمقراطيَّة، وأن تحترم الأغلبيَّة رأي الأقليَّة، وأن لا تصادر الأقليَّة قرار الأغلبيَّة، وأن تتخلَّى عن الإقصاء والاستئصال، فالتوافق والتفاهم أكثر جدوى، وأفضل ربحًا.

موقع (تحذف)

القرضاوي

القرضاوي الفقيه الثائر على ظلم الحكام والطغاة

(الاثنين 11 إبريل 2011م)

أكرم كساب

بزغ فجر عام 2011 من ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وبزغت معه ثورات فاعلة في العديد من دول عالمنا العربي والإسلامي، وكان القرضاوي فيها ثائرا منتفضا، ومسلما غيورا، وإماما موجها.

وظن البعض أن القرضاوي في هذا الثورات يمتطي موجها العالي ليتبوأ مكانة بين الشعوب، ورماه البعض بأنه طالما سكت عن ظلم الظالمين وبغي الباغين، وما درى هؤلاء أن القرضاوي عاش طيلة حياته ثائرا على الظلم والطغيان، حتى ناله من سياط البغي ما ترك آثارا في بدنه ما زالت تؤلمه حتى يومنا هذا.

والحق أن القرضاوي في هذه الثورات كان إماما في جرأته كما كان إماما في كلمته، لم يكتف بتأصيل الفتاوى وتقريز البيانات، وإنما كان في ميدان المعركة من وراء الشاشات جاهرا بكلمة الحق، مدافعا عن المظلومين، راميا الظالم بما يراه من حكم الشرع، فكانت كلماته بردا وسلاما على الشباب في ميادين الثورة، وبلسما شافيا لمن أصابته حيرة أو تردد، بسبب فتوى جاءت من عالم آثر السلامة لنفسه، أو خاف على كرسي وهبه له سيده.

ولئن كان من العلماء من آثر السلامة لنفسه فسكت عن الجهر بالحق، ومنهم من ساير الحكام رغبة أو رهبة، ومنهم من اعتزل الحياة السياسية متأثراً بالنزعات الصوفية, فإن نشأة القرضاوي الإخوانية جعلته لا يسكت عن قول الحق، ولا يفتأ أن يبصر الناس بما لهم من حقوق عند الحكام، وما على الحكام من واجبات للمحكومين.

وكان وجود القرضاوي وإخوانه، والغيورين على الوطن نسمة عليلة من نسمات الرجاء التي هبت على قلوب اليائسين، وومضة من ومضات النور التي أضاءت دياجير الظلام، وسوطاً من سياط الحق سلطه الله على ظهور الطغاة الظالمين.

وقد كلف الصدع بالحق القرضاوي وإخوانه البلاء الكثير، والحق أن هذا البلاء كان ولا بد؛ فإن طريق الدعوات ليس مفروشاً بالورود؛ ولكنه محفوف بالمخاطر والمخاوف، وقد سجل الشيخ شعراً يناطح فيه الطغاة من الحكام؛ فيقول في قصيدة تحت عنوان (هجمة الجند):

قل للطغاة الحاكمين بأمرهم إمهال ربي ليس بالإهمال
إن كان يومكمو صحت أجواؤه فمآلكم والله شر مآل
سترون من غضب السموات العلا حتماً، ويؤذن ظلمكم بزوال
وتزلزل الأرض التي دانت لكم يوماً، وما أعتاه من زلزال !
البغي في الدنيا قصير عمره وإن احتمى بالجند والأموال
يا جند فرعون الذين تميزوا ببذيء أقوال، وسوء فعال
لا تحسبوا التعذيب يخمد جذوتي ما ازددت غير تمسك بحبالي

وفي هذه الكلمات سأبين موقف القرضاوي من الحكام ليس في أيام الثورات، وإنما من قبل الثورات، حتى يتضح للجميع موقف القرضاوي الثابت، الذي جعلني أصفه بأنه الشيخ الثائر[1].

[1]- أورد الكاتب في مقاله نصوصا من كتاب سماحة الشيخ العلامة يوسف القرضاوي، ينكر فيها الظلم والديكتاتورية والاستبداد، ويطالب بالحرية والعدالة والمساواة.



القرضاوي.. والإسلام الثوري
(٦ مايو ٢٠١١)

وحيد عبد المجيد

عندما ساند الشيخ يوسف القرضاوي انتفاضة السوريين، التي تتحول إلى ثورة الآن، ودعا لها وصلى على شهدائها صلاة الغائب، سبق بموقفه هذا كل أنصار الحرية والمناضلين من أجلها في العالم العربي. فقد سبق ليبراليين يعتبرون الحرية مرجعيتهم وقيمتهم العليا، ويساريين يساندون المظلومين والمستغلين، وإسلاميين تجرع «إخوانهم» في سوريا ويلات القمع ما لم يذقه غيرهم.

وليس هذا غريبا على الشيخ الذي وقف مع ثورة ٢٥ يناير في وقت مبكر للغاية، وساهم بدور معتبر في حمايتها ونجاحها عندما ناشد المصريين المشاركة فيها. فقد نقض بموقفه هذا فتاوى سلفية حرّمت التظاهر والنزول إلى الشارع، وزعمت أنهما يخلقان فتنة نهى الله عنها. ويصعب الآن تقدير ما كان يمكن أن يترتب على تلك الفتاوى المعادية للثورة، التي صدر بعضها عن شيوخ لهم شعبيتهم، لو لم يبادر الشيخ القرضاوي بالموقف الذي أسكت الباطل بالحق، فانشرحت له صدور الناس، ونزلوا فرادى وجماعات سعيا إلى إحقاقه.

وليت الباحثين الذين يقومون الآن بتوثيق ثورة ٢٥ يناير، سواء في دار الكتب المصرية أو غيرها، يعنون بدور القرضاوي فيها من حيث توقيت تدخله، واتخاذه الموقف الشجاع، الذي أكد مجددا أن الإسلام هو دين الحرية رغم كل ما يصدر عن بعض من يرفعون رايته دون وعى أو إدراك. ولعلهم يهتمون، في مهمتهم التوثيقية الجليلة، ببحث أثر موقف القرضاوي في مسار الثورة من أجل الحقيقة والمعرفة، وليس فقط لإعطاء الحق إلى أهله.

فهو ليس في حاجة إلى تقدير أو تكريم. ولكن شعبنا هو الذي يحتاج إلى بوصلة تساعد على التقدم إلى الأمام في الوقت الذي يُساء فيه استخدام الإسلام، ويُزج به في معارك طائفية وسياسية تهدد الثورة، التي لم تحقق أهدافها كاملة حتى الآن.

يحتاج البسطاء المتدينون إلى من يذكّرهم بأن «الإسلام الثوري» الذي ساند ثورة شعبهم لا يمكن أن يصبح ضد هذه الثورة أو يستخدم أداة في معارك صغيرة متهافتة، فيما المعركة الكبرى من أجل مصر الحرة العادلة لا تزال في الميدان. وهم في حاجة إلى من ينبههم إلى أن هذا الإسلام الكبير لا تزيده أو تنقص منه سيدة أو سيدتان يعتقد البعض أنهما أسلمتا، فيما يقول آخرون إنهما على مسيحيتهما باقيتان.

كما يحتاج كثير من المصريين إلى إبراز دور «الإسلام الثوري» في تخليصهم من الظلم والطغيان، عبر توثيق دور القرضاوي في ثورة ٢٥ يناير، التي تبتعد عنا روحها يوما بعد يوم.

ولا يقل أهمية عن ذلك كله تقديم نموذج ملهم بشأن الموقف الذي ينبغي أن يقفه علماء الإسلام ودعاته، ومن يرفعون رايته مع شعوبهم ومن أجل مصلحة أوطانهم، بمنأى عن الأهداف الضيقة والمطالب الصغيرة، التي قد لا يستطيع البسطاء إدراك أنها من نوع الحق الذي يُراد به باطل.

وهذا هو الموقف الذي يقفه القرضاوي في مرحلة تستيقظ فيها الشعوب العربية من سبات طويل، سعيا إلى استرداد حريتها، دون أن يحسب حسابا إلا لما يمليه عليه دينه وواجبه وضميره.

وليس هناك دليل على ذلك أكثر من مساندته السوريين، الذين يتطلعون إلى نيل حريتهم في الوقت الذي لا يزال معظم علماء الدين والتيارات الإسلامية في حساباتهم الخاصة غارقين. فبينهم من يظن أن النظام الذي يتخذ مواقف قوية ضد طغيان العدو الإسرائيلي، وهى مواقف مقدّرة في ذاتها، يحق له أن يطغى ويتجبر. ولا يزال أغلب الإسلاميين مترددين في الالتحاق بالموقف الثوري الذي يتخذه القرضاوي، ويشجع قوى وحركات عربية على مثله. ومع ذلك ضرب بعض شباب ثورة ٢٥ يناير مثلاً يُحتذى عندما أعلنوا مؤخرا تضامنهم مع انتفاضة الشعب السوري السلمية.

وكان القرضاوي أحد أبرز من أضاءوا الطريق أمامهم وغيرهم ممن ساندوا هذا الشعب، بالرغم من البلبلة التي يثيرها موقف النظام السوري المقدّر والمحترم ضد الطغيان الإسرائيلي.

غير أن مهمة أكبر تنتظر القرضاوي الآن في مصر، التي تهددها فتن عدة يساهم بعض من ينتسبون إلى الإسلام في صنع الكثير منها. ويفرض هذا الخطر عليه التدخل قبل أن تُشعل نيران قد يصعب إطفاؤها لاحقا، وأن يقول كلمته وهو الذي ينتظر الملايين رأيه.

وربما تفرض صعوبة المهمة أن يُلحق كلمته المنشودة بتحرك يقوم به لرعاية حوار جاد بالتعاون مع فقهاء وعلماء وسياسيين ومثقفين يدركون جسامة هذه المهمة وحيويتها.

الثورة المصرية

في صور





الثورة في بدايتها مظاهرة سلمية تنادي بالحرية والعدالة

اعتداء الأمن على المتظاهرين ومحاولة فض المظاهرة بالقوة، وذلك قبل اختفائهم من شوارع مصر كلها







اعتداء الأمن على المتظاهرين ومحاولة فض المظاهرة بالقوة، وذلك قبل اختفائهم من شوارع مصر كلها

نزول الجيش وتضامنه مع المتظاهرين وحمايته لهم بعد الغياب الأمني في البلاد







نزول الجيش وتضامنه مع المتظاهرين وحمايته لهم بعد الغياب الأمني في البلاد



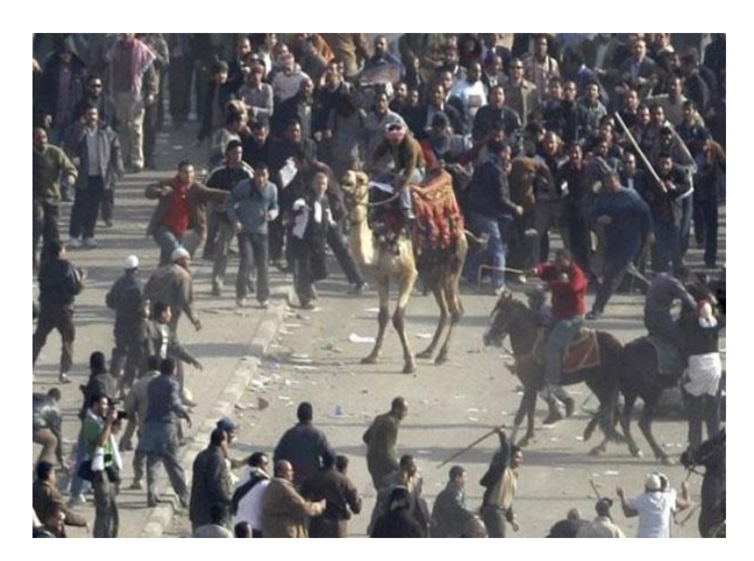


عمليات السرقة والنهب، والتي لم يسلم منها المتحف المصري، ووقوف الجيش بجوار اللجان الشعبية في حماية البيوت والمنشآت

اعتداء البلطجية على المتظاهرين، ونزولهم إلى الميدان بالجمال والخيول والبغال، فيما سميت بعد ذلك بـ(وقعة البغال والجمال والخيول)







اعتداء البلطجية على المتظاهرين، ونزولهم إلى الميدان بالجمال والخيول والبغال، فيما سميت بعد ذلك بـ(وقعة البغال والجمال والخيول)



احد أفراد القوات المسلحة يبكي أمام أحد المتظاهرين بعد أن هاجمهم البلطجية؛ لعدم تمكنه من حمايتهم



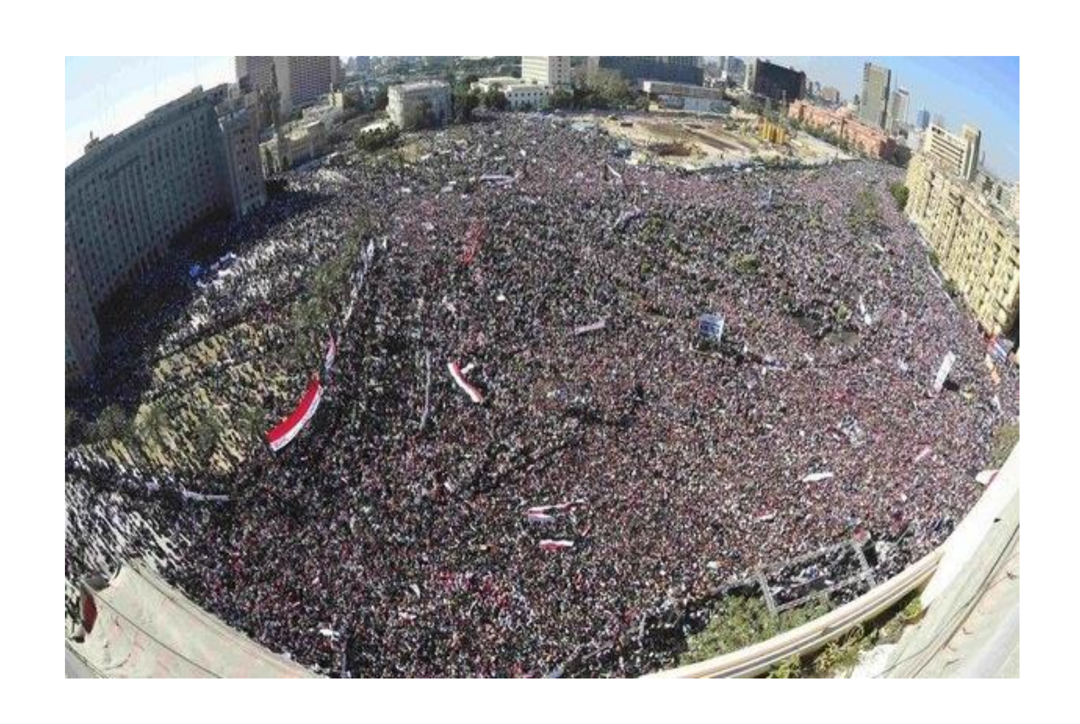
وقوف الجيش بين المتظاهرين والبلطجية بعد وقعة **الخيول والجمال**



القبض على أحد البلطجية وتسليمه للجيش



انضمام الشعب بجميع أطيافه لشباب الثورة لتصبح ثورة الشعب كله



صورة تظهر مدى امتلاء ميدان التحرير بالمتظاهرين



لافتة كتب عليها المطالب التي يطلبها المحتجون

بعد نجاح الثورة وتنحي مبارك







فرحة الثوار برحيل مبارك ونجاح الثورة ومشاركة الجيش لهم







مشاركة الشباب في حملة تنظيف ميدان التحرير بعد الثورة



مداخلة الشيخ القرضاوي على الجزيرة، وهو في شدة تأثره لما يحصل في مصر، وفيها يقول للرئيس حسني مبارك: ارحل يا مبارك لا تخرب مصر



كلمة الشيخ القرضاوي على قناة الجزيرة يوم 2 فبراير 2011م، وختمها بدعاء للمتظاهرين







الشيخ القرضاوي في المهرجان الذي أقامته الجالية المصرية في قطر بعنوان (فرحة مصر) 16 فبراير 2011م ونقلته قناة الجزيرة مباشر



وصول الشيخ القرضاوي يوم الخميس 17 فبراير2011م إلى القاهرة لإلقاء خطبة جمعة النصر وعلى يمينه الدكتور محمد يوسف القرضاوي. وعلى يساره المهندس أسامة يوسف القرضاوي، ويرافقه بعض أفراد عائلته



وصول الشيخ القرضاوي إلى المنصة في ميدان التحرير،

والشيخ محمد جبريل يرفع الأذان







القرضاوي يخطب خطبة جمعة النصر بميدان التحرير





كثير من القنوات الإعلامية تنقل خطبة الشيخ القرضاوي في ميدان التحرير





كثير من القنوات الإعلامية تنقل خطبة الشيخ القرضاوي في ميدان التحرير

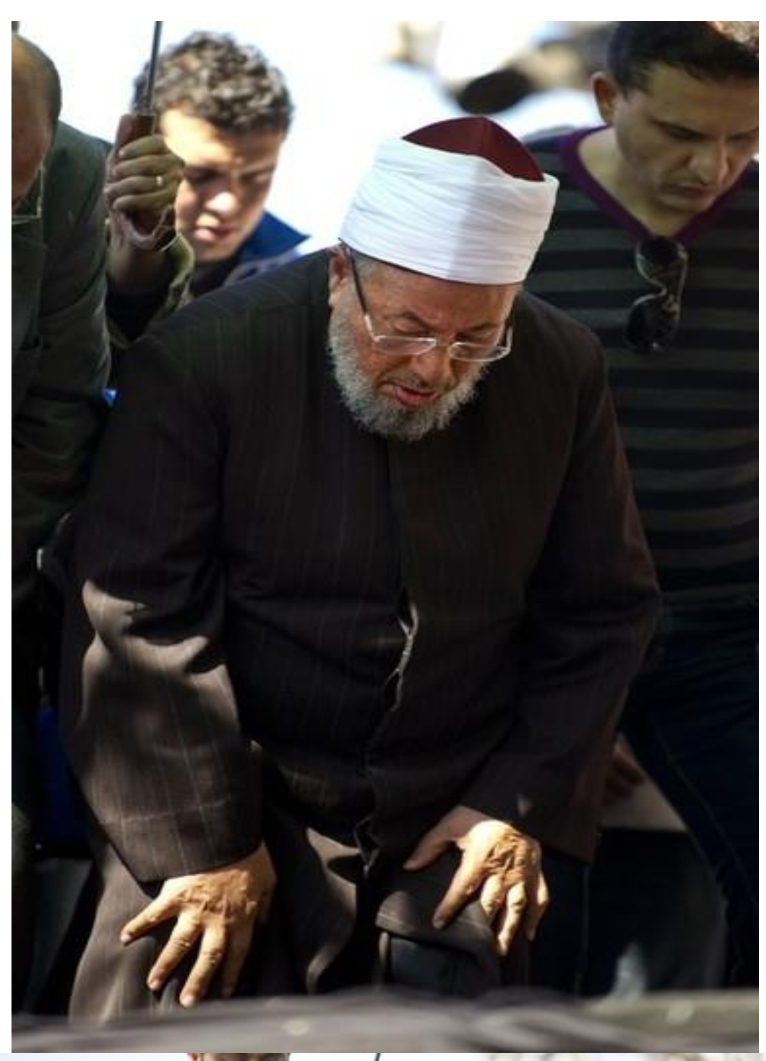


نقل خطبة الجمعة والصلاة على قناة يورونيوز الأوروبية



جمع كبير يحتشد لصلاة الجمعة خلف الشيخ القرضاوي بميدان التحرير

إمامة الشيخ القرضاوي للمصلين صلاة الجمعة بميدان التحرير يوم جمعة النصر وعلى يمينه الشيخ صفوت حجازي، وعلى يساره ابنه المهندس أسامة يوسف القرضاوي





إمامة الشيخ القرضاوي للمصلين صلاة الجمعة بميدان التحرير يوم جمعة النصر وعلى يمينه الشيخ صفوت حجازي، وعلى يساره ابنه المهندس أسامة يوسف القرضاوي





نحو أربعة ملايين يصلون صلاة الجمعة بميدان التحرير خلف الشيخ القرضاوي في جمعة النصر











دعاء الشيخ المؤثر في صلاة الجمعة بميدان التحرير





الشيخ القرضاوي يحيي الشباب ويحيوه، وقد استمرت هذه التحية لدقائق









التفاف الشباب حول الشيخ القرضاوي أثناء خروجه من ميدان التحرير بعد أدائه خطبة جمعة النصر





تدخل الجيش لتيسير خروج الشيخ القرضاوي من ميدان التحرير بعد خطبة جمعة النصر





كانت جمعة النصر يوم 19 فبراير 2011م

المحتويات

أخبار ومقالات

1- انهيار مراكز الدراسات والأبحاث (بين رفرفات بوعزيزي.. وتحليق القرضاوي)، أحمد معاذ الخطيب الحسني، الأربعاء 2 فبراير 2011م.

2- تصريح جورج إسحاق حول خطبة النصر يوم 19 فبراير 2011م.

3- القرضاوي في إحدى أعظم خطب العصر الحديث، يؤكد استمرار الثورة، سمير فريد يوم 19 فبراير 2011م.

4- هيكل والقرضاوي والخميني، قطب العربي، يوم الأحد 20 فبراير 2011م.

5- القرضاوي:لا علاقة لي بتنظيم الإخوان، أماني ماجد يوم 21 فبراير 2011م.

6- عيون وآذان، جهاد الخازن يوم 23 فبراير 2011م.

7- رئيس الموساد السابق يدعو نتانياهو للتفاوض مع القرضاوي، محمود محيي يوم 24 فبراير 2011م.

8- لا لزعامة القرضاوي، أنس زاهد يوم 2 مارس 2011م.

9- تكذيب رواية شائعة، فهمي هويدي يوم 3 مارس 2011م.

10- مصر المدنية ترفض العلمانية، محمد عبد القدوس يوم 6 مارس 2011م.

11-فوق المنصة، علي العمري يوم 7 مارس 2011م.

12-مراكز صهيونية: القرضاوي كابوس لإسرائيل، محمد كمال الدين يوم 10 مارس 2011م.

13-فزّاعة الإسلام، حلمي القاعود يوم 21 مارس 2011م.

14-القرضاوي الفقيه الثائر على ظلم الحكام والطغاة، أكرم كساب، يوم 11 إبريل 2011م.

15- القرضاوي والإسلام الثوري، وحيد عبد المجيد، يوم 6 مايو 2011م.